٣٠ قصة حب واقعية

أقنعة الحب السبعة!

عبد الوهاب مطاوع

بحر الحب.. بلا شطآن!

«بيت من الشعر الفارسي القديم»

لماذا الحب ..
ولماذا أقنعته السبعة ؟

على عكس كل كتبى السابقة بدأت عند إعداد هذا الكتاب للنشر بما انتهى إليه عادة عند إعداد كتاب جديد وهو اختيار العنوان !

فلقد اخترت العنوان أولا أو « استعرته » بمعنى أصح ثم بدأت فى اعداد مادته للنشر واختيارها .

أما لماذا لم أستطع مقاومة نداء استعارته من مبدعه الأصلى وهو الأديب الفرنسى أندريه موروا ، فلأننى منذ قرأت كتابه الذى يحمل نفس هذا العنوان.. وأنا أفكر فى تكرار تجربته فى عرض مجموعة من قصص الحب التى تعكس أشكاله وأحواله المتنوعة !

ولقد اختار موروا تعبير « الأقنعة السبعة » رمزا لتعدد الأشكال والألوان التى قد يتمثل فيها الحب ، وعرض لسبعة ألوان مختلفة منه من خلال عرضه لسبعة أعمال روائية لأدباء عالميين .

وكانت فكرتى هى أن أجمع بين دفتى كتاب ثلاثين قصة صنعها الحب بأشكاله المتعددة فى دنيا الواقع وليس فى عالم الخيال الروائى، فإذا قلت عنها انها تتخفى وراء « أقنعة الحب السبعة »، فليس معنى ذلك أنه ليس للحب سوى سبعة أشكال محددة، فقد استعمل أدباء ومفكرون عديدون تعبير « الأقنعة السبعة » كإشارة للأقنعة السبعة أو الغلالات السبع التى قيل إن الأميرة اليهودية سالومى قد ارتدتها وخلعتها خلال رقصتها الخليعة أمام عمها هيرودوس حاكم الجليل .

وأصل القصة التاريخية هى أن هيرودوس حاكم الجليل فى أرض فلسطين القديمة قد اغتصب زوجة أخيه هيروديا واتخذها لنفسه عروسا ، فندد يوحنا المعمدان النبى اليهودى الذى بشر بظهور المسيح، بفعلته

النكراء المخالفة للشريعة وأمر هيرودوس بالقبض عليه وايداعه السجن وهم بقتله لولا أنه خشى من إغضاب الشعب الذى التف حول النبى الشجاع ، وأحنق هيروديا تنديد يوحنا المعمدان بها حتى من سجنه ودبرت أن ترقص ابنتها الجميلة سالومى فى حفل ميلاد عمها رقصا خلابا يأخذ بلبه ثم تطلب منه بعده رأس يوحنا كمكافأة لها على إجادة الرقص ، ورقصت سالومى بالفعل رقصتها الخليعة أمام عمها وزوج أمها واستخدمت فى رقصتها سبعة أقنعة أو سبع غلالات خفيفة فاضحة وخلبت لبه فسألها أن تطلب ما تشاء « ولو إلى نصف مملكته » فكان مطلبها هو أن يقدم إليها رأس يوحنا المعمدان واستجاب لها هيرودوس وأمر بقتله وجز رأسه .. وقدم إليها بالفعل على طبق من الفضة ، وعلى مدى العصور التالية سجلت ريشة الفن هذا المشهد الفريد فى لوحات فنية عالمية عديدة وعولجت القصة التاريخية فى أعمال مسرحية وأوبرالية عديدة منها مسرحية شهيرة للكاتب البريطانى أوسكار وايلد وأوبرا أخرى تحمل نفس الاسم للموسيقار شتراوس .

وبعد أكثر من سبعة قرون قال سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن على رضى الله عنه تعليقا على نفس القصة :

— من هوان الدنيا على الله .. أن رأس يحيى بن زكريا « يوحنا المعمدان » قد أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل !

أما تعبير « الاقنعة السبعة » رمزا للتعدد والتنوع فلقد أصبح تراثا أدبيا وتقليديا فكريا ، يتكرر فى كتابات الأدباء والمفكرين رمزا للتنوع والتعدد .

وحين بدأت التفكير فى إعداد هذا الكتاب تلبية لدعوة كريمة من الزميل الأستاذ نبيل أباظة مدير عام قطاع الثقافة بمؤسسة أخبار اليوم ، « وبتحريض » ثقافى عظيم من الزميلة الأستاذة نوال مصطفى المحررة بالأخبار، لم أجد فى ذهنى عنوانا لكتاب يقدم نماذج مختلفة من قصص الحب الواقعية التى تعاملت معها فى بريد الجمعة سوى هذا العنوان .

فإذا كان قد فاتنى استئذان أحد فى استعارته فلأن العنوان نفسه قد أصبح من التراث الأدبى المشاع .

وإذا كنت قد عانيتُ من قبل فى اختيار نماذج من أفضل القصص

الإنسانية التى نشرت فى بريد الجمعة لإصدارها فى كتب ، فلقد كان عنائى مع هذا الكتاب أكبر وأعظم لأن الموضوع محدد .. والأشكال متعددة ومتنوعة .. ولابد من اختيار الأفضل والأكثر تميزا وإيحاء من غيره من القصص .

وهكذا فقد راجعت كل ما نشر فى بريد الجمعة خلال ١٤ عاما كاملة واخترت منه ثلاثين قصة حب صنعها الزمن وكتب لى عنها أبطالها الحقيقيون يستشيروننى فى أمرهم ورددت عليهم بما رأيت فيه خيرهم .

وفى هذا الكتاب بانوراما واقعية عريضة لألوان متعددة من الحب « بأحواله » المألوفة .. ففيه الحب الصادق .. والحب الموهوم .. والحب الطاهر .. والحب الآثم .. والحب البانى .. والحب الهادم .. والحب الهادىء .. والحب العنيف .. والحب من أول نظرة .. والحب الذى نضج على نار هادئة بطيئة .. وفيه أيضا الحب الأبدى .. والحب قصير العمر كالزهور سريعة الذبول .

فإذا كنت قد اخترت هذه المرة تلك النوعية وحدها من قصص بريد الجمعة الإنسانية ، فلأنى أؤمن مع الفنان الإيطالى العظيم ليوناردو دافنشى بأنه :

— كلما عظُمت النفس الإنسانية .. زاد الحب عمقا !

ولأنى أؤمن أيضا بأن الإنسان القادر على الحب هو الإنسان القادر على العطاء للحياة .. وعلى العدل والرحمة والرفق بالإنسان والحيوان والنبات .

فمفهوم الحب الإنسانى عندى أوسع وأشمل كثيرا من مفهوم العاطفة التى تربط بين رجل وامرأة ، وإلا فبماذا نصف مشاعر الأم تجاه طفلها .. ومشاعر الطفل تجاه أمه وأبيه ومشاعر الأب تجاه أبنائه والأخ تجاه إخوته والصديق تجاه أقرب أصدقائه . إلا بأنها أحد أشكال الحب العاطفى العميق وإن اختلف « القناع » واختلف أسلوب التعبير عنه .

إن الحب العاطفى بين الرجل والمرأة شكل من أشكال الحب لكنه شكل متعدد الألوان كقوس قزح .. أما بحر الحب الإنسانى نفسه فلا حدود له .. ولا حد لأشكاله وأنواعه وصوره .

ولو تأملنا تاريخ البشر لعرفنا أن كل من أرادوا خير الإنسان وأضافوا

للحياة إضافات ثمينة كانوا عشاقا محبين للإنسانية لكن دائرة عشقهم اتسعت فشملت إلى جوار حبيبة القلب حب النوع الإنسانى كله وحب القيم الدينية والأخلاقية والمثاليات . ولا عجب فى ذلك لأنك لن تجد أبدا كارها للإنسان يقدر على الحب الحقيقى والعطاء المخلص لأحد من البشر ، ولأنه كلما ازدادت مساحة الحب فى الحياة ضاقت مساحة الشر والغدر والخديعة والظلم .

وقديما قال الكاتب والشاعر الأمريكى هنرى ثورو إن « الإنسان المجرد من المشاعر والذى لا تحركه إلا غرائزه هو ابن عم أشجار الصنوبر وأحجار الصخور ! » .

وهذا صحيح إلى حد كبير .. وكلما اتسعت مساحة العناء والقسوة والشر فى مجتمع ما كان ذلك دليلا على أن عدد « أبناء عم » أشجار الصنوبر وأحجار الصخور ، فى هذا المجتمع قد تخطى حاجز الأمان !

وكلما زاد العطف الإنسانى وعلت قيم العدل والرفق والرحمة والتكافل والمشاركة كان ذلك دليلا على كثرة عدد أصحاب القلوب الحكيمة الذين يؤمنون بخيرية الحياة ويتعاملون مع البشر بفروسية المُحب النبيل .. وقيمه الأخلاقية والمثالية .

وهل كانت الأديان السماوية كلها فى جوهرها إلا دعوة للحب والرحمة والعطف والعدل والسلام ؟ وهل كان الأنبياء والمصلحون جميعا إلا محبين للبشر والإنسانية وقادرين على العطاء لهم والتضحية واحتمال الأذى من أجلهم ؟ وكل ذلك فى النهاية من « أحوال الحب » الصادق .. وإن اختلفت المجالات .. وتنوعت أساليب التعبير .. وتعددت الأقنعة !

عبد الوهاب مطاوع

قالوا عنه !

الحب هو أن تهرب مع شخص واحد .. من تفاهة الأشخاص الآخرين !

إبيل بونار (كاتب فرنسى)

الحب هو الاستمتاع برؤية شخص يعجبنا ويحبنا والاستمتاع «بإدراكه» بكل الحواس .. وبكل الطرق الممكنة !

الأديب الفرنسى ستاندال

حين يتحاب اثنان فلن يسعدهما شىء أكثر من أن يعطى كل منهما للآخر حياته وأفكاره وعصارة نفسه .

الأديب الفرنسى جى . دى . موباسان

لكل إنسان رائحة خاصة لا تشمها إلا حبيبته !

د . محمد فتحى

لا اعتدال فى الحب وليس فى الحب وسط ولا بين بين وحيث يكون السأم تكون الكراهية !

ميشيليه (مفكر فرنسى)

الحب تجربة حية فريدة لا يعانيها إلا من يعيشها .

الأديبة الفرنسية سيمون دى بوفوار فى كتابها عن الجنس الآخر

تحاببنا .. ونحب .. وسوف نحب !

عبارة نقشت على شاهد قبر يضم زوجين متحابين بناء على طلبهما قبل أن يودعا الحياة هما الروائى الانجليزى تشارلس كنجسلى وزوجته

الحب الحقيقى صداقة اشتعلت فيها نار العاطفة !

من أمثال الشعوب

أحبك لأنى أحب الله !

الفريد تنيسون (شاعر إنجليزى)

الحب دواء وداء وجنة وجحيم وأشواك وأزهار .

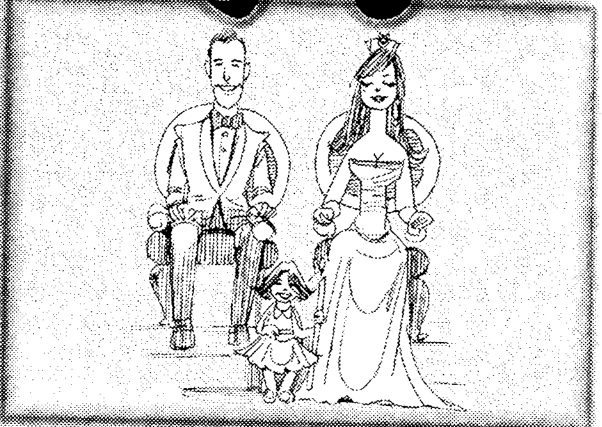
من أمثال الشعوب

من علاماته أن ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من نفسه وجميع خاصته !

الإمام الفقيه ابن حزم الأندلسى

٣٠ قصة حب واقعية

حفل الزفاف



أنا يا سيدى شاب عشت تجربة فريدة وأود أن أضعها أمام قرائك ليستفيدوا منها مثلما أستفيد أنا من تجارب الآخرين . فقد نشأت فى أسرة ميسورة الحال .. ووالدى ضابط شرطة وصل إلى أعلى رتبها.. وهو ابن «باشا» سابق أما والدتى فسيدة مجتمعات مثقفة جدا ، ولى شقيقة وشقيق يشغلان الآن وظيفتين محترمتين.. وأنا الابن الأكبر لأبوى.. وقد نشأنا جميعا فى جو أرستقراطى يهتم كثيرا بالشكليات والتقاليد وكل شىء فيه بمواعيد ونظام .. وصداقاتنا العائلية كلها من نفس المستوى..

ولأسباب لا أعرفها حتى الآن وجدت نفسى لا أميل كثيرا إلى هذه الحياة.. ولا أجد نفسى فى صداقات الشبان والفتيات من وسطنا الاجتماعى.. فاتجهت صداقاتى كلها إلى الشبان البسطاء المكافحين مما جعلنى موضع نقد من أفراد أسرتى الذين اتهمونى بأنى لا أحافظ على مستواى الاجتماعى !

ولأن أبى قد ورث عن أبيه ميراثا ضخما فلقد كنا نعيش حياة مترفة وعندما التحقت بكلية الطب كانت لى سيارة بويك كبيرة أذهب بها إلى الكلية وكثيرا ما رجوت أبى أن يستبدلها لى بسيارة صغيرة لكيلا أشعر بالحرج من زملائى وأساتذتى فكان يرفض بإصرار وكنت أتعمد تركها بعيدا نسبيا عن مبنى الكلية..

وأثناء دراستى بالكلية ارتبطت عاطفيا بإحدى زميلاتى شدتنى إليها ببساطتها ولمست فى أعماقها حنان الدنيا فضلا عن جمالها وذكائها وكانت متفوقة وكنت أيضا متفوقا وتعاهدنا على الارتباط الأبدى بإذن الله وجاء يوم التخرج ونجحنا نحن الاثنين بتقدير عال.. وجاءت اللحظة التى ينبغى أن أحول فيها حلمنا إلى حقيقة وفاتحت أسرتى برغبتى فى خطبتها ودعوتها لزيارتنا فجاءت ورآها أبى وأمى وأخوتى وأعجبوا جميعا بجمالها وهدوئها وذوقها فى اختيار ملابسها ..

وبعد الزيارة سألنى أبى عن مهنة أبيها وما إن أجبته حتى انفجرت

براكين الغضب فى أعماقه وهب واقفا يحطم بيديه الأكواب التى أمامه يعلن بكل إصرار أن هذا الزواج لن يتم أبدا.. فهل تدرى لماذا؟ لأن والد حبيبتى.. حلاق نعم حلاق واقولها بكل فخر واعتزاز لأنه رجل شريف كافح أدى واجبه تجاه أسرته وحقق ما لم يحققه بعض «الباشوات» فأهدى إلى الحياة ثلاثة أطباء ومهندسا معماريا وضابطا رغم انه لم ينل حظا كافيا من التعليم.

وانحازت أمى إلى جانب أبى وانحاز معهما شقيقى وشقيقتى، ووجدت نفسى وحدى أتساءل ما ذنبى أنا وفتاتى فى أن يُحرم كل منا من الآخر.. وأنا الذى لم أعرف للدنيا معنى إلا بعد أن أحببتها؟ وقررت أن أدافع عن حبى وحياتى وتوجهت إلى بيت حبيبتى وقابلت أباها.. وأعطيته صورة صادقة عن الموقف ففوجئت به بعد أن عرف بمعارضة أسرتى يرفض هو أيضا زواجى من ابنته ويقسم انه لن يسمح بذلك أبدا لأنه لا يرضى لنفسه ولا لأسرته أن يقال عنهم انهم قد «ضحكوا على» وخطفونى من أسرتى، وحين رأى تمسك ابنته بى أعلن بكل وضوح انه سيتبرأ منها لو تزوجتنى على غير إرادته وإرادة أسرتى.

ووجدنا نفسينا حائرين.. أسرتى ترفض بسبب نظرة اجتماعية بالية.. وأسرة حبيبتى ترفض دفاعا عن كرامتها.

وقررت بعد تفكير طويل أن أضع حدا لهذا العذاب فاصطحبت فتاتى ذات يوم ومعى صديقان إلى مكتب المأذون وأخرجنا بطاقتينا وطلبنا منه عقد زواجنا.. وحين قال لى قل يا سيدى: قبلت زواجك على سنة الله ورسوله وعلى الصداق المسمى بيننا وعلى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه.. انهمرت دموعى ودموعها ودموع صديقىَّ.. وخرجنا من مكتبه زوجين أمام الله والناس لنواجه قدرنا وحدنا بلا سند إلا الله سبحانه وتعالى، ولم تتأخر المتاعب طويلا فما إن علم أبى بما حدث حتى طردنى من البيت وسحب منى السيارة فخرجت من البيت أحمل حقيبة ملابسى الصغيرة وفى جيبى سبعة جنيهات هى كل ما بقى معى بعد أجر المأذون، وما إن علم أبوها بما جرى حتى طردها هى أيضا فخرجت من البيت ومعها حقيبة ملابس صغيرة وأربعة جنيهات، ووجدنا نفسينا فى الشارع بلا

مأوى.. وكنا فى شهر فبراير ولم يبق سوى شهر على تسلم عملنا كطبيبى امتياز حيث سيتقاضى كل منا أربعين جنيها، وكانت ليلة طردنا ليلة شديدة البرودة.. فجلسنا فى محل نحتمى داخله من الصقيع ونفكر فيما سنفعل.. وكلما مرت ساعة ولم نجد مأوى ازداد خوفنا.. حتى جاء الفرج ونجحت فى الاتصال بأحد أصدقائى واقترضت منه خمسين جنيها وذهبنا إلى إحدى اللوكاندات الشعبية الرخيصة.. وحين احتوتنا الغرفة المتواضعة لأول مرة.. كان كل منا يعرف فى أعماقه ان أمامنا أياما صعبة لن يخفف منها سوى عطف كل منا على الآخر وحمايته له.. وعشنا فى هذه اللوكاندة فترة تسلمنا خلالها العمل فى المستشفى، ثم وفق الله أحد أصدقائى فى أن يجد لنا شقة من حجرتين على الطوب الأحمر فى بيت صغير فى زقاق ضيق بأحد الأحياء الشعبية، وكانت هدية من السماء لأن صاحبها كان فى حاجة إلى نقود فقبل تأجيرها لنا بلا مقدم ولا خلو بخمسة وعشرين جنيها، وفرحنا بها فرحة كبرى وأسرعنا ننتقل إليها.. واشترينا أول أثاث عرفناه لبيتنا وكان مرتبة من الاسفنج ووسادتين ومكتبا خشبيا صغيرا وكرسيين ووابور جاز.. وبرادا وكوبين وحلتين فقط لا غير!

وفى هذا العش الهادىء عشنا حياتنا سعداء بوجودنا معا لا يزعجنا فيه شىء سوى كثرة الفئران والحشرات وكانت زوجتى قوية الارادة فتعاهدنا على أن نبنى حياتنا دون مساعدة من أحد.. وكانت أيضا مدبرة فكان مبلغ الخمسة والخمسين جنيها التى تتبقى لنا بعد دفع الايجار تكفينا طوال الشهر للأكل والمواصلات ولكن بلا أى ترفيه أو شراء ملابس، وأحببنا جيراننا البسطاء.. وأحببناهم وكانوا يشفقون علينا من شظف حياتنا ويتعجبون من سوء حالنا ونحن طبيبان حتى قال لى أحدهم مرة بتلقائية غريبة «كنا فاكرين ان الدكاترة كلهم أغنياء لكن ياما فى الحبس مظاليم!»

وخففت عنا صداقاتهم بعض صعوبة الحياة فكانت جاراتنا يعرضن خدماتهن على زوجتى بشهامة صادقة فتطلب منها جارة مثلا ملابسنا لكى تغسلها مع غسيلها لأننا طبيبان مشغولان بالعمل.. وتتطوع أخرى بشراء حاجيات البيت لها.. وتصر ثالثة على أن تشاركها تنظيف الشقة بهمة، وأنا أتذكر هذه الأشياء البسيطة الآن.. لأنى كثيرا ما وجدت فيها

تعويضا لنا عن جفاء أهلنا وقسوتهم علينا فى هذه الأيام الصعبة رغم علمهم بكل ظروفنا، ففى مقابل هذا العطف من الجيران البسطاء.. لم يحاول أحد من أهلنا زيارتنا أو السؤال عنا.. بل ولم يتركونا أيضا فى حالنا ففوجئت فى إحدى الليالى وانا وزوجتى نائمين بعد يوم شاق فى العمل بأربعة وحوش يقتحمون شقتنا، ويحطمون المكتب والكرسيين ويمزقون المرتبة الوحيدة التى ننام عليها وكتبنا وأوراقنا ويسبوننا بأفظع الشتائم.. بحجة انهم يفتشون الشقة! ثم خرجوا ورئيسهم يهددنى قائلا: أنتم لسة شفتم حاجة.. عشان تبقى تتحدى الباشا! يقصد أبى الذى كان قد ترقى وقتها إلى رتبة اللواء!

وخرج الرجال الأربعة.. وانحنينا نحن نلملم الاسفنج الذى تفزز من بطن المرتبة ونعيد حشوها ونخيطها.. ونجمع كتبنا الممزقة.. ونحاول إصلاح المكتب والكرسيين.. ثم غلبنا التعب فنمنا على المرتبة وقد أمسك كل منا بالآخر بقوة كأنه يحتمى به مما تخفيه له الأيام.. وبالفعل فلقد انتابنى الاحساس بأن أبى لن يدعنا فى حالنا.. وتحققت مخاوف حين أبلغنى صديق لى بأن أبى يدبر أن يلفق لزوجتى قضية آداب! إن هذا ما حدث والله العظيم ولم يرجع أبى عن نيته إلى بعد أن أقسم له صديقى بأنه سيقنعنى بتطليقها راجيا منه ألا يفعل ذلك لكيلا «أعاند» وأتمسك بها أكثر لو حدث لها مكروه، وأصبحت مهمة صديقى هى أن يزوره كل عدة أيام ليطلب منه الصبر.. حتى ينجح فى إقناعى بالطلاق وذلك بهدف إضاعة الوقت لعله يهدأ وينسانى قليلا.. وخلال ذلك جاءت فترة التجنيد وأمضيت عاما لا أتقاضى فيه سوى ستة جنيهات كل شهر وكنت أعمل لهذه الفترة ألف حساب لكن الله لم ينسنا فوجدت زوجتى عملا فى مستوصف قريب من البيت وأصبحت هى التى تتولى الانفاق على الأسرة..

وانتهت فترة التجنيد وخرجت من الجيش لأجد زوجتى مصممة على تسجيل الماجستير لى ولها فظننت أن عقلها قد أصابه الجنون! فقد كنت انتظر بفارغ الصبر انتهاء فترة التجنيد لكى نبحث عن عمل فى الخارج ونهرب بعيدا عن قسوة الأهل وتربصهم بنا، لكنها صممت وقالت لى اننا

متفوقان وقد صمدنا للضيق والشدة والمضايقات فلماذا لا نكمل مشوارنا العلمى ثم نحقق بعد ذلك أحلامنا.

واستجبت لاقتراحها مرغما ومعجبا بها وبقوة إرادتها فى نفس الوقت وسجلت أنا وهى للماجستير.. وبدلا من أن نستريح بعد كل ما لقيناه.. بدأنا نستعد لفترة أخرى أشد قسوة ومرارة.. لأن الماجستير يحتاج إلى تكاليف وإلى كتب وإلى عناء كثير..

وبدأنا نذاكر للماجستير.. وقاسينا من الضيق والحاجة أشد مما قاسيناه فى بداية زواجنا.. ويكفى أن أقول لك ان طعامنا خلال الشهرين الأخيرين من الدراسة كان لا يتجاوز الخبز والدُّقة والملح والماء تقريبا، وأننا كثيرا ما قاسينا الجوع فى ليالى المذاكرة الطويلة.. ولم نكن نجد ما نسكته به سوى الماء، ومازلت أذكر حتى الآن أنى أسرفت ذات ليلة فى شرب الماء لكى أتقى الجوع فانقلبت معدتى وتقيأت وشعرت بالجوع أكثر وأكثر ولم نجد بدا من التضحية ببضعة قروش فخرجت فى الليل أبحث عن شىء يؤكل..

ورغم ذلك كنا سعداء.. ولم نشك يوما.. ولم نندم ولم أر زوجتى مرة باكية.. أو حزينة.. أو غاضبة لأى سبب من الأسباب.. بل كنت كلما رفعت رأسى عن الكتاب.. متململا وجدتها تنظر لى بعينيها الجميلتين والابتسامة الحبيبة تغطى وجهها.. فأبتسم لها ثم أحنى رأسى مرة أخرى على الكتاب.. وقد زال ضيقى!

وكلّل الله جهودنا بالنجاح فحصلنا على الماجستير فى زمن قياسى خلال عامين فقط.. لكن أزمتنا لم تنفرج بل عشنا عاما آخر بعد الماجستير نعانى من شظف العيش وننام فوق المرتبة وليس فى حياتنا أية نسمة راحة حتى وفقنى الله بعد جهد جهيد فى الحصول على عقد عمل لى ولزوجتى فى إحدى الدول العربية ولأول مرة بعد ٥ سنوات من العناء عرفت حياتنا أول لحظة راحة.. فعشنا فى شقة جميلة وعرفنا النوم على الفراش.. وعرفنا التليفزيون بعد أن كنا قد نسيناه.. وعرفنا الطعام الجيد بعد أن كنا قد ودعناه منذ ٥ سنوات وخلال عامين كنا قد تمكنا من شراء شقة تمليك فى أحد أحياء القاهرة وأثثناها.. واشتاقت نفسى للعودة إلى بلدى بعد أن وجدنا لأنفسنا

فيها مأوى كريما، لكن حبيبتى «المجنونة» خرجت على مرة أخرى بطموح جديد هو أن نحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية بلندن.. وبنفس المنطق: نحن متفوقان.. وقد مضت أيام الشدة ولدينا الآن النقود التى تسمح لنا بالانفاق على الزمالة.. الخ.. وباختصار فقد حصلنا على الزمالة من لندن بتوفيق من الله.. وبجدّنا واجتهادنا وبعد الحصول عليها تعاقدنا للعمل فى دولة أخرى بمرتبين خياليين وتقدمنا فى عملنا فأصبحت مديرا فنيا للمستشفى الذى أعمل به وأصبحت زوجتى مديرة للقطاع الطبى بالشركة التى تعمل بها.. ورزقنا الله بطفلة جميلة لم أتردد فى أن أسميها باسم شريكة كفاحى وشقائى وسعادتى أى باسم زوجتى..

وبعد ٣ سنوات من الغربة.. عدنا إلى القاهرة فى اجازة.. وفى داخلى تصميم على شىء لم أصارح به زوجتى إلا بعد وصولنا لمصر بأسبوع.. هو أن نحتفل بزفافنا الذى لم نحتفل به يوم تزوجنا منذ ٨ سنوات لأن من حق حبيبتى أن ترتدى ثوب الزفاف الأبيض الذى لم ترتديه وأن أرتدى أنا أيضا بدلة الفرح التى لم يكن لى مثلها حين تزوجت.. وصممت ونفذت وتحديت الجميع وأقمت حفل الزفاف فى نادى الشرطة! ودعوت كل أصدقائى الذين وقفوا إلى جوارنا فى وقت الشدة.. وتصدر الحفل جيرانى البسطاء فى شقة الطوب الأحمر فرحين مندهشين ودخلت القاعة مع زوجتى بثوب الزفاف وأمامنا المشاعل.. والشموع وفرقة الزفة.. وطفلتى تجرى بين أقدام المدعوين وتضحك سعيدة وهى لا تدرى انه حفل زفاف أبويها! ونمت ليلتها قرير العين شاكرا لربى نعمته التى أنعمها علىّ..

اننى أكتب إليك الآن لأنى سعيد وراض عن كفاحى لأقول لكل إنسان ان الصبر والكفاح يحققان للإنسان ما يريده لنفسه وأن على كل إنسان ألا ييأس من رحمة الله لأن لكل شدة نهاية ولكل ضيق آخر وعلينا فقط أن نؤدى واجبنا تجاه أنفسنا ثم نسلم الأمر للخالق جل شأنه ليختار لنا ما يشاء. والسلام عليكم ورحمة الله..

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

منذ زمن طويل لم أتلق رسالة واحدة كرسالتك هذه لا يطلب فيها كاتبها شيئا سوى أن يضع تجربته السعيدة أمام الآخرين ليستفيدوا

منهـا، ولا عجب فى ذلك لأن من يكتب عن نفسه يميل به قلمه غالبا إلى النجوى وبث الهموم كاننا نردد جميعا مع المتنبى قوله:

ليت شعرى هل أقول قصيدة   فلا أشتكى فيها ولا أتعتبُ ؟

لكنك قلت « قصيدتك » يا صديقى فلم تشك فيها ولم « تتعتب» رغم ما لقيته من شقاء فى حياتك ولذلك فلقد سعدت بها كثيرا ودهشت لحفل الزفاف المؤجل منذ ٨ سنوات ولم أعجب له لأن من حق من يشقى أعظم الشقاء أن يسعد أيضا أعظم السعادة، كما لم يخف عنى معنى «مغزى» اختيارك لنادى الشرطة بالذات لإقامة هذا الحفل الغريب فيه كأنك تريد أن تبعث به إلى أبيك رسالة تقول له فيها انك قد صمدت لعدوانه عليك وكافحت ونجحت وحققت لنفسك السعادة التى أردتها باختيارك لشريكة عمرك..

والحق أن زوجتك تستحق هذا الحفل وأكثر.. لأنها من بانيات الرجال وقد دفعتك خطوات واسعة إلى الأمام بإرادتها الصلبة وبصبرها وكفاحها معك وإخلاصها لك ولأنك ايضا وجدت معها جنتك الحقيقية وأنتما ترقدان فوق حشية الاسفنج فى شقة الطوب الاحمر.. وسوف تجدها معها دائما بإذن الله وسوف تحقق معها الكثير والكثير أيضا..

وبالرغم من تقديسى دائما لرمز الأب واعترافى له بحقه فى أن يحجب موافقته على زواج ابنه وفقا لما يراه من اعتبارات، إلا انى فزعت من أن تصل معارضته لزواجك إلى حد استخدام الأساليب البوليسية الكريهة معك لإكراهك على الانفصال عنها..

فلقد كان يكفيه أنه طردك من بيته وحرمك من معونته وقبض عنك يده وتركك تقاسى شظف العيش وتغالب الجوع والحرمان مع زوجتك، نعم كان يكفيه كل ذلك ثم يدعك لتخوض تجربتك وفقا لاختيارك، أما أن يطلق عليك وحوشه ليقضوا مضجعك، ويهدد بتلفيق قضية ماسة بالشرف لزوجتك فهذا هو الجُرم الذى ما كان ينبغى له أن يرتكبه فى حق ابنه أبدا.. ذلك أن الأب لا يملك لابنه الرشيد فى النهاية سوى النصح والارشاد، فإن لم يمتثل لنصيحته فليدعه لحياته ولمصيره وربما كان الأقرب إلى الرحمة ولمعنى الأبوة بعد ذلك أن يمده من بعيد بمعونته حتى ولو تمسك بموقفه

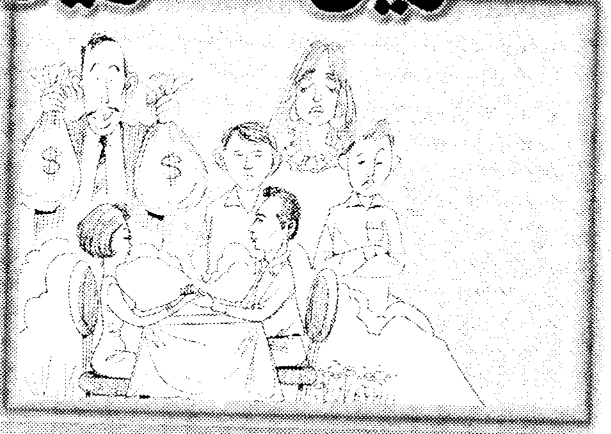
الرافض منه، أما أن يطارده بهذا الشكل المفزع فهذا هو التجبر وغرور السلطة بعينهما إذ ماذا كان يملك أن يفعل لو لم يكن فى موقع يسمح له بإرسال الوحوش إلى بيت ابنه!

فلنترك على أية حال هذا الحديث المؤلم.. ودعنى أقل لك بعد كل ذلك ان الأيام تأسو الجراح وان أيام الشقاء قد مضت بخيرها وشرها.. وأنتما الآن زوجان سعيدان وشريكان ناجحان متفوقان ولستما فى حاجة إلى معونة أحد لكنكما فى حاجة بالتأكيد إلى أن يكون لكما أهل وأقارب، فالانسان الوحيد الذى تشغله رحلة الكفاح عن نفسه.. يبحث حين تستقر سفينته عن أهله، وقد يتلمس أقاربه البعيدين لينتسب إليهم ويجدد صلاته بهم..

أنتما لستما فى حاجة إلى البحث عن الأهل والأقارب لأنهم موجودون والحمد لله لكن ظروف حياتكما قد باعدت بينكم، فلماذا لا تستكمل سعادتك بأن تفتح صفحة جديدة حتى مع من أساءوا إليك وظلموك؟ ولم لا تستعيد صلاتك بأسرتك وتستعيد زوجتك صلاتها بأسرتها وأنتما الآن زوجان تفخر بهما أية أسرة! بل ولماذا لا تتيح لأسرتك فرصة أن تعرف زوجتك على حقيقتها.. وطفلتك التى لم ترها حتى الآن؟ إنك ان فعلت فسوف يكون ذلك تأكيدا جديدا لاستقامة خلقك وعلى انك من ذوى النفوس الكبيرة التى لا تؤثر فيها الصغائر ولا الأحقاد، فلم لا تفعل لكى يعرف من أساءوا إليك أى جرم ارتكبوه فى حقك حين باعدوك وطاردوك لغير شيء سوى لأنك قد وجدت نعيمك وسعادتك مع هذه الشريكة الرائعة !

٣٠
قصة حب
واقعية

الطريق الطويل



سيدى .. أكتب إليك هذه الرسالة من « استراحة » صغيرة فى الطريق الذى أقطعه كل يوم إلى عملى الشاق فأنا شاب فى السابعة والعشرين من عمرى تخرجت فى كلية الهندسة منذ عامين ، وقبل انتهاء دراستى بثلاثة أعوام ارتبطت عاطفيا بزميلة لى وهى فتاة رائعة جميلة اختار كل منا الآخر وتعاهدنا على أن نكمل معا مشوار الحياة . ولأننى إنسان مستقيم وواضح فلقد طلبت منها يوم إعلان النتيجة أن تقدمنى لأسرتها وزرت الأسرة وتعرفت بالأب والأم والأشقاء واختليت بأبيها وقلت له إننى شاب لا يملك إلا مستقبله وإنى يتيم لا أملك سوى معاش أبى وقد سعيت لهذا اللقاء لكى أدخل البيوت من أبوابها وإنى أريد إذا قبلنى خطيبا لابنته فى المستقبل أن أقرأ الفاتحة معه وأقدم لها دبلة الخطبة وبعد أن أعمل أواصل خطوات الزواج ، فاستمع إلى باهتمام شديد ووعدنى بأن يعطينى الجواب بعد عشرة أيام ..

وعدت إلى بيتى سعيدا وصارحت أمى بما حدث فأنا ابنها الوحيد إلى جانب شقيقتين متزوجتين وأعيش معها فى شقة مقبولة . وقبل انتهاء المهلة بيوم اتصلت بفتاتى لأعرف الجواب فوجدتها حزينة لأن أباها لم يرحب بى! وسألت عن الأسباب .. فقالت لى أن وجهة نظر أبيها هى أننى شاب طيب مستقيم لكنى لا أملك شيئا ولا أمل لى فى إيجاد شقة أو فى المساهمة فى تكاليف الزواج .

سمعت صوتها الحزين ينعى إلى أحلامى بهذه الكلمات فأحسست بأن الدنيا تدور بى .. نعم لا أمل لى فى شقة خلال فترة قصيرة .. لكن ألست إنسانا من حقه أن يكون له عش أحلامه مع الفتاة التى اختارها ، كنت غارقا فى أفكارى فلم أتنبه إلى صوتها وهى تنادينى .. وتسألنى هل مازلت أسمعها .. فاستردت نفسى سريعا وقلت لها نعم أسمعك .. وسأحضر إلى أبيك الآن وأناقشه . وفى تصميم من يدافع عن حياته أسرعت إلى بيتها .. وفوجىء بى أبوها .. فقلت له بلا مقدمات : إننى لم أحضر لأعرف جوابك

لأنى قد عرفته لكنى جئت لأدافع عن حياتى وأملى .. فلقد تخرجت فى كلية الهندسة وسوف أجد عملا وسأسعى للسفر للخارج وأنا مرتبط بابنتك ولا أتصور لنفسى حياة بعيدا عنها .. وهى كذلك .. وأنا أعرف عنك أنك أب رحيم وحريص على سعادتها .. فلماذا لا تمنحنا فرصة لكى نحقق أحلامنا معا ؟ .. إنها صغيرة فى السن وأنا فى مقتبل حياتى .. والحياة ممتدة أمامنا.. فماذا يضيرنا أن نكافح عدة سنوات لبناء بيتنا ؟ وسمعنى الأب وهو متحرج وصمت طويلا حتى أشفقت عليه من حيرته ثم تكلم أخيرا فقال لى إنه يوافق على ارتباطى بابنته بشرط عدم إعلان الخطبة الآن وبشرط ألا أحضر لزيارتها فى البيت وأن أبدأ بالبحث عن عمل فى الخارج .. وألا أعود إليه إلا ومعى عقد العمل .. فإذا جئت به أعلن خطبتنا وخرجت وأنا لا أدرى هل نجحت .. أم فشلت فى تحقيق أحلامى فكيف أجد عملا فى الخارج .. وأين هو هذا العقد السحرى الذى يفتح لى الأبواب المغلقة .

واستمر اتصالى بها تليفونيا وعرفت منها أن أباها وافق مضطرا لكيلا يكون قاسيا معها .. لكنه مقتنع بأنه لا أمل لنا وأن من الأفضل أن يبحث كل منا عن مستقبله فى طريق آخر .. فلم يغير ذلك من تصميمى .. وقبلت عملا بسيطا فى مكتب خاص لا يدر علىّ سوى ١٥٠ جنيها ورغم شدة حاجتى إلى النقود فقد حرمت نفسى منها وبدأت أدخر حوالى ١٠٠ جنيه كل شهر .. وواصلت رحلة البحث عن العمل فلم أترك شركة لم أتصل بها . وأحس صاحب المكتب الذى أعمل معه بمشكلتى فسألنى عن ظروف فرويتها له بأمانة فوعدنى بتقديمى لمقاول محاجر من معارفه سيعطينى مرتبا أكبر وتسلمت عملا جديدا لديه بـ ٤٠٠ جنيه فى الشهر .. وبدأت الكفاح الحقيقى .. فأصبحت أخرج من بيتى فى الخامسة صباحا فأركب الاتوبيس إلى ميدان المحطة بالجيزة حيث تنتظرنا سيارة نقل فأركبها إلى موقع العمل .. وهناك أعمل كل شىء وأى شىء .. أشارك فى قطع الأحجار.. وأقوم بإصلاح سيارات النقل .. وإصلاح موتورات المناشير التى تستخدم فى قطع الحجر .. وأراقب العمال .. وأركب سيارة النقل لأحضر المازوت والبنزين الذى يحتاجه العمل .. ثم أعود إلى بيتى فى العاشرة مساء لأستلقى على السرير بلا حراك وأنام وفى يوم الجمعة أذهب

إلى بيت فتاتى رغم « التعليمات » فلا يجد الأب مفرا من استقبالى فأرى فتاتى ونواصل أحلامنا ثم وافق الأب أخيرا على التخلى عن شرط « عقد العمل » وأن أقدم دبلة الخطبة بغير احتفال ، فقدمتها وسعدت أنا وخطيبتى بذلك سعادة كبرى ، وواصلت عملى .. وكلما مر شهر وقبضت مرتبى أعطيت أمى جزءا منه ووضعت الباقى فى مظروف المدخرات .. وأنا أحسب كم بلغت .. فلا أجد للطريق نهاية لكنى لا أفقد الأمل ومن ناحية أخرى فقد وجدت خطيبتى عملا مرهقا بعد اشتغالى بحوالى سنة وبدأت تدخر كل ما تتقاضاه منه لكى تساهم به فى مقدم الشقة التى نحلم بها .. وفجأة ونحن نحصى الجنيهات كل شهر .. ونتبادل التشجيع .. تعرضت خطيبتى لتجربة عائلية أثرت فيما بعد على علاقتنا أثرا كبيرا . فلقد عاد قريب لها لم يزر مصر منذ ٤ سنوات من الخارج ، وزار بيتها محملا بالهدايا وجلس فى الصالون يتحدث بالآلاف .. ويحكى عن الشقة التى حجزها فى مصر ودفع ثمنها بالدولارات ثم تساءل فجأة عن الدبلة التى فى يدها .. وأبدى دهشته لأنه لم يعرف بخطبتها وأظهر شيئا من خيبة الأمل لأنه كان يعتقد أنها غير مخطوبة ! وبعد هذا اللقاء تكررت زياراته لهم وأحدث ظهوره قلقا فى محيط الأسرة لأنه جاء ليقيم فى مصر لمدة سنة يحصل خلالها على الماجستير فى الطب ثم يعود لعمله .. وقد جاء منتويا أن يتزوج خلال هذا العام .. ويعود بزوجته إلى مقر عمله وتقدم لخطبة خطيبتى .. فرفضت لارتباطها بى ، لكنه أصبح يمثل أمام الأب الحل المثالى لكل المشاكل وصهرنى الألم لكنى لم أتكلم وآلمنى ذات مرة أنها عبّرت عن خواطرها بطريقة عفوية فقالت لى ذات مرة : لماذا لم تكن واحدا ممن يعملون بالخارج هل من يتزوجن عرسانا جاهزين أفضل أو أجمل منى ؟ ورغم أنى متأكد من أنها لم تكن تقصد سوى الفضفضة فلقد حزنت .. وقررت أن أعطيها الفرصة للتراجع إذا أرادت ليس إشفاقا عليها فقط .. وإنما أيضا لأنى قد بدأت أحس باليأس ، فالعمل يزداد إرهاقا .. وظهرى أصبح يؤلمنى من قلقلة سيارة النقل كل يوم لمدة ٣ ساعات ذهابا وإيابا فوق المدق الصحراوى وصارحتها بذلك .. فاتهمتنى بالجنون وانصرفت غاضبة ووجدت نفسى لا أتصل بها تليفونيا .. وأتخلف عن الذهاب إليها

يوم الجمعة لمدة ٤ أسابيع متوالية ، فلم تتصل بى ومع الأيام بدأت لسعة الألم تخف قليلا لكن صورتها لا تفارقنى إلى أن كان يوم ، نزلت فيه من الأتوبيس فى ميدان المحطة فى الساعة السادسة صباحا لاتجه إلى السيارة فسمعت صوتا ينادينى : يا باشمهندس .. يا باشمهندس ، فالتفت ورائى فوجدتها تقترب منى باسمة .. فتوقفت مندهشا ثم أسرعت إليها .. ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أمسك بيديها مبتهجا وقالت لى أنها تريد أن تذهب معى إلى العمل هذا اليوم لأنها فى أجازة .. فقدمتها للعمال وانحشرت فى كابينة السائق معى ومعه، وانطلقت السيارة بنا والجميع سعداء لسعادتى .. وفى الطريق عرفت منها أن قريبها لم يقتنع برفضها وحاول كثيرا أن يقنعها بعدم جدوى انتظارها لى وأبدى استعداده لتلبية كل مطالبها ، وأنها مرت بلحظات لا تنكر أنها راجعت نفسها فيها .. لكنها لم تتردد واختارتنى لنواصل معا رحلة الألف ميل بعد تفكير طويل وقد انتظرت ذهابى إليها من الأسبوع الأول لتصارحنى بذلك لكنى احتجبت عنها .

أمضيت يوما سعيدا فى الموقع وشاركتنى العمل بيديها وتناولنا الغداء فى استراحة الطريق .. وكان يوما من أجمل أيام حياتى لكن القصة لم تنته بعد يا سيدى فخلال شهر العذاب هذا .. كانت الأفكار السوداء قد أفسدت على حياتى وتساءلت طويلا ما جدوى العمل إذا كان لا يحقق لنا أهدافنا فى الحياة .. إن العمل الشريف شاق ومرهق وعائده قليل ، فكيف يصنع الناس الثروات .. وكيف يدفعون أثمان الشقق وفى هذه الأثناء دعانا المقاول أنا وأربعة من العمال الذين يعملون معه للغداء فى بيته فى العمرانية بالجيزة بمناسبة نجاح ابنه فى الاعدادية وهناك قدمنا لأسرته ومن بينها ابنته الكبرى التى تقترب من الأربعين ودميمة وغير متعلمة .. وفى الصالون المذهب حكى لى قصتها بطريقة خاصة .. وكيف كانت قليلة البخت وتزوجت من « ولد ابن حرام » تعذبت معه عشر سنوات أنجبت خلالها ولدين .. ثم طلقها وسافر ليعمل مقاولا للأعمال الصحية فى دولة عربية .. ولم يعد من يومها لأنه مدين له بمبلغ كبير من المال فعاشت وحيدة مع ابنيها فى المنزل الذى يملكه وهو منزل من دورين .. الخ .

وأحسست فى حديثه بشىء ما لم يفصح عنه.. لكنى فهمته وتلقيت الرسالة.. ولا تلمنى إذا قلت لك أنى لم أوصد الباب بل تركته مواربا !

إننى أرجو ألا تتسرع فى الحكم على فلقد هزتنى تجربة العريس الجاهز الذى ظهر فى حياة خطيبتى إلى درجة كبيرة.. فاهتزت ثقتى فى أشياء كثيرة وسألت نفسى : لقد كادت خطيبتى تضعف تحت وطأة الظروف لولا حبها لى فمن يضمن لى ألا تضعف مرة أخرى إذا واجهت امتحانا أصعب ؟

ثم ألمح لى «ريّس العمال» وهو صديق قديم للمقاول عن الموضوع.. وحثنى على التفكير فى مستقبلى مؤكدا لى أن كل شىء جاهز.. ولاينتظر سوى موافقتى فلم أعده بشىء.. ووقعت فريسة للحيرة. إن هذا المقاول رجل طيب ويحتاج إلىّ ويثق فىّ ولو سددت باب الحديث فى هذا الموضوع فلن يؤثر ذلك على عملى معه كما انى أستطيع أن أعمل مع غيره لو أردت.. وقريبا سأحصل على وظيفة أكثر استقرارا لكنى اعترف لك وبداخلى إحساس بالذنب.. اننى اهتززت فعلا أمام هذا العرض.

وساعدنى على ذلك.. ما حدث من خطيبتى حين اهتزت هى الأخرى أمام إغراء مماثل. إننى أحبها ولا اتخيل لنفسى حياة إلا معها.. لكن الطريق طويل ياسيدى وصعب فما رأيك ؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

لست فى حاجة إلى رأيى ياصديقى.. لأنك لست جادا فى حيرتك هذه بين فتاتك وبين هذا الحل «السينمائى» لمشكلتك الذى تفكر فيه، فأنت أكثر تمسكا بفتاتك وأكثر رغبة فيها مما يبدو من كلماتك الحائرة فى نهاية رسالتك.. لكنك فقط «تنتقم» منها بافكارك هذه .. كانك تريد أن تقول لنفسك : لقد فكرت هى للحظات فى أن ترتبط بغيرى زهدا فى الكفاح.. لا افكر أنا أيضا فى الارتباط بغيرها لنفس السبب؟

ولا باس بذلك فى بعض اللحظات فمن حقنا أن نزفر.. وأن نتوجع وأن نصرخ وأن نضيق بأوضاعنا التى تفرض هذا التمزق على الشباب الراغب فى تحقيق أحلامه.. فتدفعه إلى التساؤل أحيانا عن جدوى العمل الشريف، لكنه ليس من حقنا أن نحول هذه الزفرات العابرة إلى استسلام لحلول انهزامية كهذا الحل الذى فكرت فيه، أو إلى كفر بقيمة العمل الشريف الجاد

وقيمة الكفاح من أجل بناء المستقبل ذلك أن هذا الحل ليس فقط حلا انهزاميا لكنه أيضا حل « انتهازى » تبيع فيه أحلامك بلا ضرورة وبلا ثمن أيضا !.. إذ ماذا يربطك بهذه السيدة لكى تفكر فى التخلى عن خطيبتك والاقتران بها ؟

لا شىء بالتأكيد .. فلا حب .. ولا ماضى مشترك ولا اهتمامات متبادلة ولا تقارب ثقافى واجتماعى.. ولا حاضر جميل ولا مستقبل واعد بالسعادة .. فماذا إذن يغريك بها ؟

الشقة والاستقرار المادى؟ انك لا تكافح من أجل جدران الشقة الصماء.. وإنما من أجل شقة تجمع بينك وبين فتاتك التى تنصهر نفسك ألما إذا تصورت فراقها، فإذا كانت المسألة مسألة شقة فأنت تقيم مع والدتك وحدكما وتستطيع إذا أردت اختصار الطريق أن تتزوج فتاتك فى شقتها كما يفعل كثيرون من الشباب الآن، وإلى أن تنجح فى الحصول على مسكن مستقل.

أما الاستقرار المادى فسوف تصل إليه من غير هذا الطريق فأنت شاب مكافح وارادتك قوية.. ومثلك يحقق أحلامه بساعده وليس بالزواج من سيدة ليست من عالمه ولا يجمعها به سوى رغبته فى اختصار الطريق ولو أردت أن أروى لك عن تجارب مماثلة لم تورث أصحابها سوى التعاسة لما اتسعت المساحة لذلك، لكنى سأقول لك فقط أنك لست فى ظروف تبرر لك أن تتصرف بطريقة «أنا الغريق فما خوفى من البلل»؟ لأنك لست فى حاجة ملحة إلى الزواج لمجرد الزواج.. وإنما أنت فى حاجة إلى الزواج ممن اخترتها واختارتك ومشيت على طريق الأشواك من أجلها وهى فتاة تستحق أن تكافح من أجلها وتمثل بالفعل شبابك وأحلامك.. وبراءتك وكفاحك الشريف أما الأخرى فلن تكون سوى رمز لانهزامك وانهيار أحلامك ـ ثم عفوا ـ وانتهازيتك أيضا! كما أنك أيضا تظلم فتاتك بتصور أنها قد ضعفت أمام الاغراء.. ولو أرادت أن تضعف حقا لاستجابت للحل الجاهز وتخلت عنك بلا ندم لكنها لم تفعل ذلك وجاءتك تسعى بابتسامة سعيدة لكى تواصل الكفاح معك فكيف يليق بك وأنت الشاب الأمين المكافح أن تحطم أحلامها على هذا النحو ؟

إننى مازلت أعتقد أن هذا التردد ليس سوى سحابة عابرة سوف تنقشع سريعا إن لم تكن قد اختفت بالفعل.

ولقد وضعت أقدامك على أول الطريق فإذا كان صعبا وطويلا ومريرا فإنه أيضا الطريق الصحيح رغم كل ذلك وهو سنة الحياة.. أن يبدأ الانسان صغيرا ثم يكبر وأن ينسج خيوط أحلامه بالعرق والدموع والكفاح المضنى. لكى يصل ف النهاية إلى السعادة! ولسوف تصل إليها وتحقق ذات يوم كل أحلامك ويجىء يوم تنظر فيه إلى الوراء وتتذكر بحنين ذكريات هذه الأيام المشحونة بالكفاح وساعتها سوف تتعجب كثيرا من أنك قد فكرت ذات مرة ف أن تهدر سعادتك كلها ف لحظة ضعف بشرية عابرة!

٣

٣٠ قصة حب واقعية

خاطر فى الليل



سيدى .. لن أقـول لك : إنى ترددت كثيرا فى الكتابـة إليك كما يقول كثير من القراء.. وإنما سأقول لك : إنى كتبت لك بـالفعل أكثر من عشر رسائل.. ولم أكمل قط أية رسالة منها فأنا يـاسيدى مهندس شاب عمرى ٣٥ سنة، تـزوجت منذ عشر سنـوات زواجـا تقليديـا عن طـريق الأسرة، وعلى عكس مايتصور البعض عن الـزواج التقليدى فلقد كان زواجا مـوفقا والحمد لله ، وبالـرغم من أننا لم نكن نعـرف بعضنا قبل الـزواج.. بل ولم أرها إلا حين دعيت لرؤية فتاة مرشحة للـزواج منى فى بيت بعض الأقارب، فلقد تفاهمنا منذ اليـوم الأول الذى أغلـق علينا فيـه باب شقـة الزوجيـة.. وازددنا فهما لبعضنا البعض مع مرور الأيام.. ثـم بدأ هذا الحب الهادىء الرزين يتسلل إلى قلبينا رويدا رويـدا.. ويجمع بيننا بالربـاط المتين، حتى تحولنا بعد أقل من عـام إلى عـاشقين متيمين يحب كل منـا الآخـر ويخاف عليـه.. وعلى مشاعره وأحاسيسه وخلال السنـوات الأربع من الزواج جاء الأبناء ورزقنا بطفلين ومضت الأيـام هـادئة سعيـدة.. وليست لى حياة بعيـدا عن زوجتى، فأنـا أعـود من عملى فى الظهـر فألازم أسرتى حتى اليـوم التـالى.. ونمضى اليـوم كلـه معا فى البيـت.. أو نخرج معـا نحن الأربعـة لنشترى متطلبـات البيت.. أو نزور أسرتى.. أو أسرتها أو بعض الأقارب.

وذات صبـاح خـرجت زوجتى لتشترى بعض الأشيـاء للبيت وحـدهـا فصدمتها سيارة مسرعة وسقطت على الأرض وفرت السيارة بالطبع فنقلها المارة والجيران إلى المستشفى وحين عـرفت بما حـدث أسرعت إليهـا هنـاك فعـرفت أن عمـودهـا الفقرى قـد أصيب فى الحـادث.. وقـال لى الأطبـاء أن زوجتى قد أصيبت بشلل نصفى لكنهم طمأنـونا وأكدوا لنـا أنه شلل وقتى وسـوف يزول تـدريجيا مع العـلاج وجلسـات العلاج الطبيعى، وخـرجت زوجتى من المستشفى بعـد معاناة طـويلة.. وبـدأنا رحلـة العلاج الطبيعى لكن التحسن للأسف كان بسيطا جدا ولفترة محدودة توقف بعدها ومازال الأمل قـائما مع استمـرار العـلاج، فكيفنـا حيـاتنـا على هـذا الأسـاس..

ولم ينقص حبنـا ذرة واحـدة بل ازداد قـوة ومتـانـة.. فحبيبتى الآن قـد أصبحت فى أشـد الاحتيـاج لى وإلى حبى ورعايتى بعـد أن أطعمتنى حبهـا وحنانها طوال سبع سنوات وأصبحنـا نمضى معظم الأوقات معا كما نفعل قبل الحادث. فأبدأ يـومى فى الصباح بمسـاعدتها على الانتقـال إلى الكرسى المتحرك ثم تتحـرك هى بنشاط لاعداد الافطار والشـاى ونجلس على مائدة الافطار ومعنا الطفلان فنشرب الشاى ونتبادل الأحاديث والابتسامات.. ثم تتحـرك إلى غرفـة النوم لتعـد لى ملابس الخروج وتصر على مسح حـذائى وتلميعـه.. وتقـدم لى المشط لأسرح شعـرى وتشرف على كل شئـونى كما كانت تفعل قبل الحادث وتجمع الملابس لتضعها فى الغسـالة.. ثم تودعنى بـابتسامتهـا الحلـوة وبقبلتها الـرقيقـة وأنا ذاهب إلى عملى وتظل تـرقبنى بجوار الباب إلى أن أختفى فى السلم ثم تعود إلى شقتها وتدبر شئون حياتنا بحبها الكبير للنظافة والجمال ولأنها من هؤلاء الذين منحهم الله حب الناس لهم فإن كل جيراننا وأقـاربنا يتسـابقون إلى تلبية مطـالب البيت لها، وكل جارة تحرص على أن تسألها عن حاجتهـا قبل النزول إلى السوق، ولا تعود جارة إلى شقتهـا إلا إذا طرقت بـابها لتسألها : هل تريـدين شيئا ؟ فتقـابل الجميع بابتسامـة الشكر والعرفان.. وتعطى من قلبهـا وحنانها لهم جميعا فما من جـارة عندهـا شكـوى من شىء أو حزينـة لشىء إلا وتأتى إليهـا لتبثهـا همهـا وتسألها الرأى فتسمـع لها باحترام وتهون عليهـا ولا تبـوح بأسرارهـا حتى لى شخصيا.. وعنـدما أعـود إلى بيتى فى الظهر أجـد شقتى نظيفة ومنسقـة.. وينبعث منهـا شذا أعواد البخـور الجميلة التـى تشعلها لتغطى على رائحة المطبخ بعد الطهى، ولأجد الطعام جاهزا والسفرة معدة.. وطفلىَّ فى أجمل الملابس المتاحة لنا يذاكـران والمسجل يذيع موسيقى عربية قديمة وزوجتى قـد بدلت ملابسهـا وسرحت شعـرها وتعطرت بل ووضعت بعض الروج الخفيف على شفتيهـا.. وقبل أن أضع المفتاح فى البـاب لأفتحه أجد البـاب قد فتح وحـده وزوجتى تجذبه لتستقبلنى بأجمل ابتسـامة، ثم تقودنى إلى غرفـة النوم لأبدل ملابسى ثم إلى المائدة لنتنـاول الطعام ثم إلى غرفة المعيشة لنشرب الشاى أمام فيلم الظهر فى التليفزيون فإذا غفوت لمدة سـاعة بعـد الغـداء وصحوت وجـدت شـاى العصر جاهـزا واقترحت علىَّ

زوجتى بحماس أن أخرج وحدى لزيارة أسرتى أو لدخول السينما.. أو للجلوس فى المقهى أو للقاء بعض الصحاب.. فإذا رفضت لاعبتنى الطاولة أو الشطرنج أو تفرجنا معا على التليفزيون وحولنا طفلانا حتى ننام مطمئنين.. وقد لاحظت أنها قد أصبحت أكثر رعاية لى بعدما حدث كأنى الذى أصبت فى الحادث وليست هى .. كما لاحظت أيضا أنها أصبحت كالطيف الخفيف لاتريد أن تثقل علىّ فى أى شيء.. ورغم كل ذلك فإن نفسى تنازعنى أحيانا ويطيش بى التفكير إلى آفاق بعيدة !

ولا أعرف كيف أحست هى بما يدور داخل نفسى فعرضت على بطريقتها اللطيفة فى الحديث ان اتزوج عليها ارملة او مطلقة تتفهم ظروف وتقدر مشاعر زوجتى بل لقد طلبت منى أن اطلقها واتزوج غيرها وابدا حياتى من جديد بعيدا عنها إذا كان وجودها فى حياتى هو العقبة امام تحقيق سعادتى فافهمتها أن كل ذلك لا يدور فى تفكيرى مطلقا واننى لن اتزوج عليها أبدا وسابقى دائما إلى جوارها، ومع ذلك فإن نفسى لا تهدأ ياصديقى.. ولا أكف عن التفكير فيما صارحتك به .. ومازالت هذه الأفكار تساورنى من حين لآخر أن الأمل فى العلاج مازال قائما لكنه بطيء.. فهل اتزوج عليها بغير أن اشعرها بذلك وهل سترضى هذه الزوجة الثانية بأن تحيا فى الظل نصف زوجة لرجل يحب امراة أخرى مريضة لا تستطيع أن تستغنى عن خدماته وحبه فى ظروفها القاسية.. وأين هى هذه الزوجة الثانية التى تقدر كل هذه الظروف السابقة ؟ وهل من حقى أن افعل ذلك ام انى لو فعلت اكون قد أخطأت فى حقها خطأ جسيما ؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

حين قرات رسالتك كدت أعتذر عن عدم الاجابة عن تساؤلاتها متمثلا فى ذلك بموقف الإمام الشافعى حين سئل مرة عن مسألة فى الفقه فسكت فقيل له : الا تجيب رحمك الله ؟ فقال لا اجيب حتى أدرى هل الفضل فى سكوتى أم فى جوابى ؟ !

ومع الفارق الكبير بين الحالتين فلقد احتجت انا ايضا إلى فترة صمت كافية حتى أدرى بأى الرايين أجيب ؟ ولأنى مضطر للاجابة بكل أسف فإنى اقول لك نعم من حقك أن تفعل ما تريد ياسيدى إذا كنا نتحدث فقط

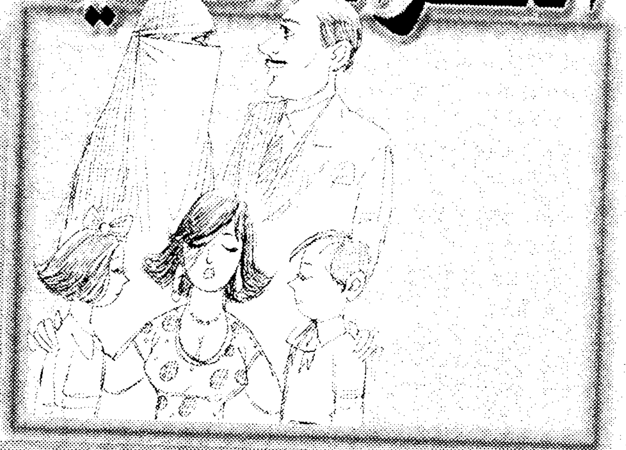
عن «الحقوق» وعن المنطق العقلانى المجرد وإذا أسقطنا كل الاعتبارات الأخرى.. لكن السؤال الأهم هو هل هذا هو التصرف المثالى فى مثل حالتك ؟ اننى لن أسارع بالاجابة عن ذلك لكنى سوف أسالك سؤالا واحدا أرجو أن تغفره لى، وأن تضعه نصب عينيك دائما وأنت تختار لمستقبلك معها : ماذا لو كنت أنت ـ لا قدر الله ـ الذى تعرض لهذا الحادث الأليم فاقعده فى البيت ومازال يواصل العلاج ويأمل فى الشفاء كما تفعل زوجتك الآن ؟ هل كنت ستسعد كثيرا بهذه «الخواطر» التى تلح على زوجتك وبهذا الحديث عن الحقوق وعن المنطق العقلانى المجرد ؟ أم أنه كان سُيدمى قلبك بالتأكيد ويشعرك بقسوة الحياة ومرارتها ؟ لا تقل لى : إن موقفك كان سيختلف لأنك كنت ستعرض عليها من البداية أن تعفيها من الارتباط بك ايثارا منك لسعادتها على سعادتك كما نرى فى أفلام السينما القديمة ولست أنكر عليك انك كنت ستفعل ذلك فعلا، لكنك ستفعله وأنت تنتظر من شريكة حياتك التى تحمل لها كل هذا الحب ويربط بينك وبينها طفلان جميلان ألا تكتفى بالتفكير فى «حقوقها» فقط وأن تفكر أيضا فى واجباتها» كزوجة مخلصة وكأم وكمحبة وأن ترفض بلا تردد عرضك الكريم هذا ؟ بل وكنت ستحس بالرضا فى أعماقك حين ترفض هى مناقشة الأمر من البداية وتؤكد تمسكها بك، ولو قبلت هى عرضك «السخى» هذا وأشادت بواقعيتك وعقلانيتك ثم تحررت من ارتباطها بك وتركتك فى محنتك وانطلقت إلى العالم الواسع لتستمتع بحياتها وشبابها لشقيت أنت بذلك أكبر الشقاء.. ولكرهت غدر الأيام وانعدام الوفاء. فلماذا لا يقبل الانسان لنفسه ما يقبله للآخرين لو تبادل معهم الأدوار ؟ ولماذا يفلسف لنفسه دائما ما يرضيها.. ويرضى نوازعها ولا يقبل هذه «الفلسفة» نفسها إذا تعارضت مع سعادته وحقوقه هو ؟!

ياصديقى تمسك بزوجتك هذه .. ولا تفقد الأمل فى العلاج وتغير الأحوال .. واسعد بما بين يديك فإن حديثك عنها سوف يثير لواعج كثيرين من أزواج «الصحيحات» اللاتى لا يقدمن لأزواجهن بعض ما تقدمه لك هذه الزوجة الرائعة رغم ظروفها الصحية، وصدقنى لو قلت لك : إننى قد حلقت معك فى سماوات علا من الحب والرومانسية والتفاهم والتعاطف

والجمال، وأنت تــروى عن زوجتك التى تــودعك بـابتســامــة وتلقــاك بابتســامة.. وتجمل حياتك وبيتك رغم ظـروفها القاسية، لكنك ـــ سامحك الله ـ صدمتنى بتساؤلك الغريب هــذا والذى لن أجيبك عنه وإنما سأذكرك فقط بأن الحيــاة لا تستقيم لو تصرف فيهـا كل إنسان على ضوء مـا يحقق رغباتــه ونوازعــه وحده بـلا أى اعتبار آخـر وفى حالتك هذه فـإن لزوجتك المحبة عليك حقوقا ينبغى ألا تنساها ولأبنــائك عليك حقوقا لابد أن تتذكرها دائما.. وسأذكرك أيضــا ياصديقى بأن «الدنيــا زوج خؤون» لا أمان لها .. ولا عهد ولا ذمــة أيضا ! وعلينا أن نحتمى من غـدرها بألا نظلم غيرنــا فيها بقدر الإمكان.

٣٠ قصة حب واقعية

النظرات الخفية



أكتب لك لأنى فى حاجة ماسة للتعرف على رأيك والحلول المقترحة والممكنة لعلى أجد فيها مخرجا من المأزق الذى وقعت فيه مؤخرا. أما أنا فطبيبة حصلت عقب تخرجى على دبلومتين فى مجال تخصصى وعلى درجة الماجستير من بريطانيا مع درجة الزمالة منها أيضا، وأوشك الآن على الانتهاء من مناقشة رسالة الدكتوراة تحت إشراف إحدى كليات الطب التابعة لجامعة بنسلفانيا الأمريكية، وقد تزوجت منذ عشر سنوات وعينت بالكلية التى تخرجت فيها ووقف زوجى إلى جوارى وساندنى كثيرا بالتشجيع المادى والمعنوى حتى حققت النجاح الذى أردته لنفسى وحصلت على الماجستير والزمالة وبدأت الإعداد للدكتوراة، وحقق زوجى أيضا نجاحه وحصل على وظيفة مرموقة وبدأ التحضير للدراسات العليا فى مجال دراسته النظرية ودرس الكمبيوتر وراح يحلم بالهجرة لأمريكا التى سبقت أختى الوحيدة بالهجرة إليها وراحت تحثنا على اللحاق بها، لكن والدى اعترض على هجرتنا وراح يطالبها هى بالعودة بعد أن لم يبق له من أسرتنا سواى وسواها، وفى هذه الظروف تلقيت موافقة كلية طب عربية على عملى فيها، وتحمست للسفر وخوض التجربة واعترض زوجى فى البداية بشدة لعدم اقتناعه بألا يكون له عمل فى تلك الدولة العربية سوى مرافقتى كمحرم لى كما تقضى نظمها، لكنى استطعت بعد جهد كبير إقناعه بأننا نحتاج لهذا السفر لما سيكون له من أثر ايجابى على مستقبلنا.. ولأنه سوف يساعدنا على الهجرة لأمريكا فيما بعد، فقبل ذلك بعد عناء، أما أبى فلقد سكت وهو غير راض عن فراق من بقوا له من أحباب فى الحياة على حد قوله، وأسرها فى نفسه ضدى غفر الله لى، ولم يخفف من حزنه سوى تأكيدى له اننى سأدعوه من حين إلى آخر لأداء العمرة والحج، وهكذا غادرنا القاهرة منذ خمس سنوات وبدأنا حياة جديدة.

ولم أحس بالغربة كثيرا فى وجود زوجى الحبيب معى والطفلين الصغيرين وخططنا لحياتنا فى الغربة بحيث تكون عملا ودراسة فى النهار

واستمتاعا واستقرارا عائليا فى المساء، فى سعادة وانسجام «وأفراح» أسرية أسبوعية نحييها بأنفسنا خاصة ونحن أسرة تتذوق الفن وتقدره، فزوجى رسام موهوب، وأنا أعشق الموسيقى والغناء وأجيدهما، كما أجيد العزف على العود والأورج، وقد أحضرت معى من مصر العود واشترينا «أورج» جديدا من حيث نقيم، واهتممنا بفرش عشنا بأثاث جميل ووفرنا به كل مانحتاج إليه.. واشترينا سيارة لأول مرة فاصبحت حياتنا سهلة وميسورة «وأفراحنا» ولياليـنا وأمسياتنا رائعة وسعيدة، وفى كل أجازة نعود إلى مصر.. ونضيف إلى خطواتنا على طريق تحقيق أحلامنا المشتركة خطوة جديدة، فاشترينا شقة للعيادة التى أعتزم افتتاحها فى القاهرة بعد العودة، وأخرى فى نفس العمارة للمكتب الذى سيفتتحه زوجى لممارسة عمله الخاص أيضا، بعد العودة، واشترينا سيارة فى مصر، ثم ركزت فى الفترة الأخيرة على إنهاء رسالة الدكتوراة.. وبدت لى ولزوجى الحياة بهيجة وسعيدة وواعدة بكل جميل، فزوجى هو أخى وحبيبى وصديقى وشريك أحلامى، وقد وافقته فى ارتداء الخمار بمجرد عملنا فى هذه الدولة العربية تجنبا للمشاكل رغم أنى كنت محجبة من سن عشر سنوات وأعلم جيدا أن الشرع لايفرض الخمار وتغطية الوجه. فإذا بكل شىء ينهار فجأة، وإذا بى أفقد زوجى الحبيب ووالد أطفالى الذين أصبحوا ثلاثة بسبب صبى طائش كان يقود سيارة والده وتمت الاجراءات الكئيبة ودفعت أسرة الجانى الطائش الدية وإن كانت أموال الدنيا لا تعوضنى عن خسارتى فى زوجى ، ووجدت نفسى فجأة أرملة وأنا فى السادسة والثلاثين من عمرى ، وقضيت أجازتى السنوية بعد الحادث المؤلم وأنا لا أكاد أعى ما حدث أو أستوعبه ثم تماسكت نفسى ونظرت إلى مستقبلى ومستقبل أطفالى وأعدت ترتيب أوراقى وقررت الاستمرار فى العمل بالدولة العربية لعام دراسى آخر أركز فيه على إنهاء رسالة الدكتوراة ويحصل خلاله ابنى على الابتدائية ثم أرجع لمصر ، خاصة أن وضعى المالى ممتاز ولا أحتاج للاستمرار فى الغربة أكثر من ذلك .

وبدأ العام الدراسى ، وأقبلت على عملى ودراستى بهمة وصبر. فإذا بجهة عملى تطالبنى بتحديد موقفى بعد رحيل زوجى عن الحياة فإما أن

أجد لنفسي محرما بديلا وإما إنهاء عقدى وترحيلى ، وقد جاء هذا التحرك المفاجىء بعد طول صبر علىّ بناء على « فتنة » من زميلة بالكلية اكتشفت فيما بعد أن زوجها كان يداعبها ويقول لها إنه يتمنى أن يتزوجنى لكى يكون محرما لى ويحل مشكلتى ومشكلته ، فتخوفت الزميلة هذه من أن تنقلب الدعابة جدا وتنبهت الكلية إلى أنى مازلت بلا محرم ، وتلقيت منها هذه المطالبة وتداولت الأمر مع طبيبة غير مصرية وزوجها وتناقشنا فيه طويلا ، فانتهينا إلى أنه لا حل هناك للموقف إلا البحث عن رجل شهم وكريم يقبل أن يعقد قرانه علىّ لمجرد الحصول على وثيقة الزواج وتقديمها لجهة عملى دون علاقة زوجية فعلية . لكن أين أجد مثل هذا الرجل المضمون .. ولم تطل حيرتى كثيرا ، فقد سمع صديق لزوج زميلتى بقصتى وأبدى استعداده لتقديم هذه « الخدمة » لى على غير معرفة بى تأثرا بظروفى ، وعلمت أنه يشغل مركزا مرموقا فى مؤسسة كبرى ويعمل بمشروع يبعد عن المدينة التى أعمل بها بـ ٨٠كيلو مترا ويقيم فى سكن خاص بالمشروع فى نفس الموقع ، ويعيش وحيدا طوال العام إلى أن يأتى الصيف فتجىء إليه زوجته وأولاده من مصر ، وتحريت عنه فجاءتنى المعلومات عنه مطمئنة للغاية ، والتقينا فى بيت الزميلة غير المصرية دون أن أرفع الخمار عن وجهى وعلمت منه أنه مرتبط جدا بزوجته وحريص عليها خاصة أنها رفيقة دربه ومريضة بمرض لا يؤثر على علاقتها الخاصة به . كما أنه يحب أولاده جدا ويحرص على مصلحتهم ولولا رغبته فى مساعدة مصرية من بلاده لما قبل الاقدام على هذه المخاطرة التى قد تسبب له مشاكل كثيرة إذا علمت بأمرها زوجته وطلب منى فى النهاية أن يظل هذا الأمر سريا بيننا وشكرته على ذلك وطلبت منه أن تنتهى هذه العلاقة الصورية بيننا بمجرد استعدادى للعودة النهائية لمصر ، وأن تبقى علاقتنا طوال الشهور الباقية على الصيف فى حدود علاقة الخطيب بخطيبته ، ولكن دون أعباء مالية عليه من هدايا ومجاملات وخلافه ، وتكرر اللقاء مرة أخرى فى بيت الزميلة الطبيبة وزوجها وشعرت بارتياح داخلى كبير لشخصية هذا الرجل الذى لم يطلب حتى ولو على سبيل التعارف مع من ستحمل اسمه أن أرفع الخمار السميك عن وجهى ليستطيع تمييزى إذا

رآنى صدفة فى مكان آخر ، وأحسست أنه يريد مخلصا مساعدتى دون أن يفرض نفسه علىّ ووجدته رجلا وقورا هادئا دمث الأخلاق مهيبا يبدو أكبر من سنه ، وتم عقد القران فى القنصلية وتوثيق العقد وقدمت الوثيقة لجهة عملى ورفعت عن صدرى حجرا ثقيلا ، وانتظمت حياتى مرة أخرى وتفرغت لأطفالى ودراستى للدكتوراة وشعرت بالأمان لاستظلالى بظل رجل حتى ولو كان فى زواج صورى ، فإذا بشكوى أخرى إلى جهة عملى وللجوازات بأن زوجى لا يقيم معى فى عش الزوجية ولا يعيش فى نفس المدينة التى أقيم بها مما يخل بشرط المحرم وتناقشت مع زوجى « المؤقت » ومع زميلتى وزوجها فى ذلك . فعرض الرجل مشكورا أن يؤجر شقة صغيرة بجوارنا فى نفس المدينة ليزورنا على فترات متقاربة وكان عرضا كريما منه ومكلفا له من الناحية المادية ، لكن كيف أبرر زيارته لى أمام أطفالى وجيرانى ومعارفى ؟ لقد فكرنا فى الأمر طويلا وانتهينا إلى أنه لا يصح فى النهاية إلا الصحيح وبالتالى فلابد من خطوة « شجاعة » هى إعلان زواجنا فى حفل صغير .. فى بيتى لا يحضره أبنائى وأقدم فيه « زوجى » لزملائى وزميلاتى على أن أمهد الأمر لأولادى الذين رتب لهم زوج زميلتى رحلة خارج المدينة مع أولاده فأقدم لهم زوجى بعد عودتهم كقريب وصديق قديم لأبيهم وسوف يرعانا ويهتم بأمرنا إلى أن نعود لبلادنا فى الصيف ، وفى هذا الحفل الصغير رفعت الخمار عن وجهى لكى يرانى زوجى لأول مرة فما إن رآنى حتى اضطرب اضطرابا واضحا وراح يختلس النظرات الخفية لى ويدارى اضطرابه ويتحكم فى انفعاله بجمالى الذى لم يتوقعه . وشعرت بكل ما أحس به وبأنه قد تولدت لديه مشاعر جديدة تجاهى وارتحت لأثر جمالى عليه بل وسعدت بذلك وتوقعته وعند منتصف الليل انتهى الحفل وبدأ الحاضرون ينصرفون وهمّ زوجى بالانصراف معهم حسب الاتفاق السابق .

لكننى وبكل « شجاعة » رفضت أن يغادر مسكنى ودعوته بإصرار للبقاء وتمضية الليل معى لأنى أصبحت من حقه أمام الله والناس ويجب أن يمارس حقوقه المشروعة علىّ حتى يكون الزواج كاملا ، واقتنع الرجل بعد قليل من الحرج وتمت الخلوة الشرعية بيننا وأمضى الليلة فى بيتى

خاصة فإذا بكل شيء ينقلب رأسا على عقب بعد هذه الليلة ونشأت مشكلتى الحالية التى أكتب لك عنها الآن : فقد شعرت باقترابى الصاروخى من هذا الرجل الذى بدأت علاقتى معه كمجرد وسيط فقط لحل مشكلة المحرم وبدا هو يأتى إلينا عصر كل يوم أربعاء ويغادرنا صباح السبت إلى عمله فإذا بى أجد نفسى غارقة حتى أذنى فى الارتباط به ورافضة الاستغناء عنه أو اعتباره مجرد حل مؤقت لمشكلتى فى العمل . كما كانت الفكرة فى البداية فلقد أحببته .. نعم أحببته يا سيدى وأحبه أولادى أيضا الذين اجتذبهم إليه بسرعة كبيرة لما يتمتع به من حنان جارف واستطاع الرجل خلال وقت قصير أن ينسينا مأساتنا بفقد زوجى ووالد أطفالى ، وأصبحت الفترة التى يقضيها معنا كل أسبوع فترة سعيدة كلها « مودة وانشراح » لى ولأولادى فنخرج معا للنزهة والتسوق وشراء الهدايا ويرفض قبول ثمن ما يشتريه لنا رغم اتفاقنا السابق على ألا أكلفه أية أعباء مادية وأعادنى الرجل للحياة وأعاد الحياة إلىّ فرجعت صبية مراهقة تحب ابن الجيران وأنجزت خلال شهرين فقط ما تبقى لى من رسالة الدكتوراة وبدأت فى المراجعة وقد تعلق بى هو أيضا وأحبنى ويريد أن يستمر فى ارتباطه بى مع احتفاظه بزوجته ويريد أن يجمع بيننا لأنه يرانى كما يقول « جوهرة » لا يجوز التفريط فيها خاصة أنه لن يتحمل بسببى أية أعباء مادية بل ربما شاركته فى أعماله إذا رجعنا لمصر عودة نهائية ذات يوم وهو يقول : إن الجمع بين زوجتين يحبهما أمر سهل عليه رغم أن الحب لا يتجزأ لأنه يعطى كل حبه للزوجة « الحاضرة » معه فى هذه اللحظة وبذلك لا يتجزأ الحب ولا تناقض مع حبه لكل منا !

هذا هو تفسير حب الأم أو الأب لكل الأبناء فى وقت واحد فى رأيه لكن المشكلة تتمثل فى صعوبة إقناع زوجته الطيبة المريضة بقبول هذا الوضع .. بل إنه لا يستطيع حتى مجرد إبلاغها به لأنه يعرفها جيدا ويعرف عصبيتها رغم طيبتها ويعرف أنها قد تدمر حياتها بلا مبالاة بأى شيء لأن عزة نفسها فوق كل اعتبار والآن فقد اقترب موعد عودتى لمصر فى الصيف . كما اقترب موعد حضور زوجته أيضا وأولاده قبل رجوعى .

ولم نجد حلا بعد للمشكلة وأريد منك ومن كل صاحب رأى أن يبدى

رأيه فى مشكلتى ويجيبنى عن تساؤلى لماذا ترفض الزوجة المصرية رفضا قاطعا أية فكرة لزواج زوجها من أخرى، إذا كان الله قد أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة لحكمة رآها .. وإذا كان ذلك قانونا إلهيا وليس من صنع البشر ولم يجيء عبثا ؟ ولماذا يترك معظم الناس كل ذلك ويتمسكون فقط بقاعدة « ولن تعدلوا » ناسين أن فى الرجال كثيرين يخشون ربهم فى تصرفاتهم وهم رجال محترمون راشدون عادلون ؟

إن المرأة المؤمنة الكيسة .. الفطنة يجب ألا يحزنها هذا الأمر على الإطلاق نعم .. قد تسألنى هل تقبلين أن يتزوج زوجك الحالى من ثالثة إذا رأى أنه غير مكتف بك وبزوجته الأولى .. وهل سترحبين بذلك وتقبلينه بنفس طيبة ؟ وقبل أن أجيبك عن هذا السؤال أريد أولا أن أناشد الناس من حولنا أن يقلدوا الأوروبيين فى الايجابى فقط من سلوكهم ، ألا وهو الثقة فى بعضهم البعض وأعنى بذلك أن زوجى لو رأى أنه يحتاج إلى امرأة أخرى وفى ظروف إنسانية ليتزوجها ، فلابد أن ذلك مفيد لها مادام لم يقصد بذلك لذة أو شهوة عابرة ولم يقصد غير وجه الله مادام لن يؤذى زوجاته الأخريات فلن أمانع فالزوج « كما أمر الله » ليس حكرا على واحدة كما علمنا الأوروبيون والملحدون والأنانيون وضعفاء الإيمان منا . إننى أبحث عن قاض عادل ينصفنى فهل تكون أنت ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

نحن لا نقلد الأوروبيين يا سيدتى فى نظرتهم لتعدد الزوجات المشروع وإنما نراه البديل الأخلاقى لتعدد الخليلات الشائع عندهم ونسلم بحكمته عند الضرورة الشرعية وبشرط عدم الغدر والخداع وعدم التخفى به عن الزوجة الأولى لكيلا يهدر أحد حقها فى قبول الأمر الواقع أو رفضه والحصول على الطلاق ، على أننا لا نعتبره كذلك « أمرا إلهيا » كما تقولين أنت وإنما أمر مباح وليس مفضلا ولا مندوبا إليه إلا للضرورات المحددة فى الشرع فضلا عن أنه يتوقف على حاجة الرجل إليه وقدرته عليه ، ومشروط بما هو أصعب من كل ذلك وهو العدل !

فإذا أردت أن تعرف من الذى نقلده فى ذلك .. حقا .. فهو الرسول الكريم ﷺ الذى تزوج السيدة خديجة واكتفى بها كزوجة منفردة وهو فى

عنفوان شبابه ما يزيد على العشرين عاما رغم انتشار تعدد الزوجات بلا قيود ولا حدود فى عصره قبل أن ينظمه الإسلام ويقيده وهو الذى كره أيضا لابنته فاطمة أن يتزوج عليها على بن أبى طالب من جويرية بنت عمرو بن هشام حين ذهبت إليه فاطمة الزهراء باكية تقول له :

« يقولون إنك لا تغضب لبناتك فأقبل على المسجد مغضبا وصعد على المنبر وقال للحاضرين : إن بنى هشام بن المغيرة قد أستاذنوه فى أن يزوجوا ابنتهم عليا ثم صاح « ألا وإنى لا آذن .. ثم لا آذن .. ثم لا آذن .. إنما فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها وإنى أتخوف أن تفتن فى دينها » فإذا كان عليه السلام قد تزوج بعد وفاة السيدة خديجة ، فقد تزوج سودة لترعى أبناءه واختارها كبيرة فى السن ثم تزوج بعد ذلك توثيقا لروابطه مع قومه وعشيرته وترضية لنفوس بعض أصحابه ولإبطال حكم التبنى ولخدمة أهداف الدعوة زيجات قد لا يقبل بعضها غيره ولا تدفع إليها شهوة .. ولا رغبة .

ولأنه بشر سوى فلم يخفق قلبه لأحد من نسائه بعد السيدة خديجة إلا للسيدة عائشة وحدها ، فكان يعدل بين زوجاته فى العطاء والمبيت ويستغفر ربه فيما لا حيلة له فيه من عدم العدل فى مشاعره بينهن ويقول «اللهم هذا جهدى فيما أملك ، ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك» أى فى قلبه وعاطفته ومشاعره .

هذا هو « الإنسان » العظيم الذى نقلده يا سيدتى والذى تتمثل فيه الطبيعة الإنسانية السوية من وحدانية المشاعر العاطفية وعدم قابليتها للتجزئة أو الشراكة ، بل أن حجة الإسلام الإمام أبا حامد الغزالى قد فسر الآية الكريمة التى أشرت إليها « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » بأنها تعنى ولن تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك بالضرورة التفاوت فى الوقاع !

فإذا كان زوجك قد خرج علينا بنظرية جديدة فى قدرة الإنسان على أن يحب امرأتين بنفس القدر فى وقت واحد لأنه يكون منصرفا بكل « حبه » إلى الزوجة « الحاضرة » معه فهذا فتح جديد فى أسرار النفس البشرية أدعوه إلى تسجيله فى الشهر العقارى باسمه مع تغيير طفيف فى الكلمات بحيث يقول:

إن الرجل يستطيع أن ينصرف بكل « رغبته » إلى الزوجة الحاضرة معه وليس بكل حبه لأن غاية ما يستطيعه الرجل فى هذه الحالة هو أن يحب امرأة.. « ولا يكره أخرى » ولأن الحب لا يعرف إلا الوحدانية إذ لم يخلق الله جل شأنه لأحد من قلبين فى جوفه كما علمنا القرآن الكريم على لسان الصادق مع نفسه ومع العالمين ﷺ .

وعلى أية حال فلن أطيل الحديث فى هذا الأمر الذى ناقشته مرارا من قبل كما أنى لن أسألك السؤال الذى تتوقعينه منى لكنى سأسألك سؤالا آخر هو هل لو كان زوجك الراحل لايزال على قيد الحياة وتعيشين معه فى وئام وسلام فى أسرة صغيرة متحابة ثم عرضت لإحدى زميلاتك مشكلة مشابهة لمشكلتك .. هل كنت تقبلين أن يقدم زوجك ووالد أطفالك هذه « المساعدة » الإنسانية التى قدمها لك زوجك الحالى ؟ وهل كنت ترحبين بنفس راضية بأن يستمر زواجه للأخرى بعد أن اكتشف كل منهما حبه للآخر ورغبته فى الاستمرار معه إلى مالا نهاية لأن زواجهما لم تدفع إليه « شهوة عابرة » وإنما ظروف إنسانية فيها « فائدة » للزوجة الأخرى ؟

أريد جوابا صادقا منك .. فهل تقدرين عليه ؟! إنك تعرفين الجواب الصادق ياسيدتى .. وتعرفين أيضا بما لك من ثقافة وعلم وهو أن مأساتنا كبشر هى أن مواقفنا من « العدل » و«الحق» قد تتغير أحيانا باختلاف مواقعنا منهما وباختلاف ما يصيبنا من ضرر أو نفع منهما فإذا كنا المتضررين بهما فهما « الظلم » و « الغدر » و «الأنانية » . لامراء فى ذلك . وإذا كنا المستفيدين بهما فهما الحق والعدل اللذان يتعامى عنهما « مقلدو الأوروبيين » و« الأنانيون » و«ضعاف الإيمان » ولا عجب فى ذلك فقديما قال الأديب الفرنسى أندريه موروا « كل ما يتفق مع ميولنا ورغباتنا يبدو فى نظرنا حكيما ومعقولا . أما ما يناقض رغباتنا وأهوائنا فهو مجاف للحكمة والعدل ويثير غضبنا » .

وخداع النفس آفة أخرى من آفات البشر ، « ومن الناس . كما يقول الروائى اليابانى كنزابورو ـ من يقفز من خدعة إلى خدعة طوال العمر كما تفعل الضفدعة » .

ولو أنصفت لما خدعت نفسك ولما نعيت على المرأة «المصرية» رفضها

القاطع لأية فكرة لأن يتزوج زوجها عليها كأنك لم تكونى لتفعلى نفس الشىء وربما بضراوة أشد لو كان زوجك الراحل قد تزوج عليك أو فكر فى ذلك.

ان تحديد الخطأ هو أول خطوة على طريق العلاج فإذا أردت حلا لمشكلتك فلابد أن تسلمى بأنك قد ورطت نفسك فى مشكلة عاطفية وعائلية واجتماعية معقدة لأنك لم تتصرفى التصرف الوحيد السليم، الذى كان منتظراً منك بعد رحيل زوجك عن الحياة مادامت نظم المجتمع الذى تعيشين فيه لاتسمح لك بالبقاء فيه دون زوج أومحرم وهو العودة إلى بلدك وبدء حياة جديدة فيه ثم الارتباط إذا أردت بعد ذلك بمن لازوجة له ولا أبناء.

لقد كان هذا هو الاختيار الوحيد السليم فى مثل ظروفك هذه بدلا من التحايل على القانون للاستمرار حيث أنت والتورط فى هذه المشكلة.

وأرجو ألا تقولى إنك كنت «مرغمة» على البقاء من أجل رسالة الدكتوراة وحصول ابنك على الشهادة الابتدائية، كأنما كان يتعذر عليك ذلك لو كنت قد سلمت بأقدارك واكتفيت بما حققت فى غربتك خلال السنوات الخمس الأخيرة وهو كثير ويضمن لك حياة كريمة فى بلدك، لكنك لم تفعلى ذلك للأسف وبسبب هذه «الاستماتة» فى البقاء فى الغربة بلا مبرر ولا دوافع ضرورية ملحة، فلقد تورطت فى خطأ الزواج الصورى تحايلا على تقاليد المجتمع الذى تعيشين فيه، ثم تورطت فيما هو أشد وأنكى وهو تحول الزواج الشكلى إلى زواج حقيقى والوقوع فى حب رجل متزوج وله أسرة لاتقبل ولن تقبل شراكتك لها فيه، وهاأنت قد نسيت الآن حتى مبررات زواجك الصورى هذا وهما «الدكتوراة» و«الابتدائية» ورحت تخططين للاستمرار فى الغربة إلى مالانهاية بعد أن حللت مشكلة المحلل، وللاستمرار فى زواجك الحالى بعد أن وقعت فى حب زوجك كما تقولين. ولااعتراض لأحد على استمرارك فى الغربة كما تشائين فمن حق كل انسان أن يعيش حيث تطيب له الحياة مادام ذلك متاحا له ومشروعا.. لكن مالاحق لأحد ولالك فيه هو أن تعرضى أسرة هذا الرجل للاضطراب والقلاقل وزوجته الطيبة المريضة لما سوف يدفعها إلى حافة الجنون ويحكم على زواجها وأسرتها

بالانهيار وتعرضى أبناءه للتمزق بين أبويهم والتعاسة والشقاء.

انك تطلبين فى النهاية رأيا عادلا فى مشكلتك.. ورأيى الذى لن ينال رضاك هو أن ترجعى إلى نقطة البداية فى خطتك التى وضعتها للبقاء فى الغربة عاما آخر بعد رحيل زوجك وتلتزمى بها بأمانة وشرف وتنسحبى من حياة هذا الرجل الذى قدم لك خدمته «الجليلة» وأتاح لك هذا الاستمرار، وترجعى إلى بلدك مكرمة معززة «ومكتفية» بما حققت من «رحلة الغربة».. وبما عشت من أيام سعيدة دافئة مع هذا الرجل، ثم تبدئين حياة جديدة فى بلدك.. ولن يطول بك الوقت إلا وستجدين من «يعيد إليك الحياة ويعيدك للحياة» بلا اعتداء على حق أحد فيه، ولامشاكل مع زوجته وأبنائه، تماما كما وجدت زوجك الحالى الذى «أعادك للحياة» بعد شهور قليلة من وفاة زوجك الأول، هذا هو رأيى الذى لن تسعدى به لكنه الرأى الوحيد الذى أراه لك للأسف إذا كنت راغبة حقا فى أن تكافئى هذا الرجل على عطائه لك.. فلقد قدم ماكنت فى أشد الحاجة إليه،، وأحسن عشرتك وأسعد أيامك عاما دراسيا كاملا وليس من العدل أن تكافئيه على ذلك بتهديد استقرار حياته، مع زوجته وأبنائه الذين لن يتخلى عنهم أبدا ولابتعريضه لهذه المحنة التى ستؤثر سلبيا على حياته ومستقبله وأوضاعه العائلية والاجتماعية.

والحب الحقيقى عطاء وتضحية لمن نحب ياسيدتى وليس أخذاً فقط وأنانية، وأنت تعيبين على الأخريات «أنانيتهن» فأحرى بك أنت أيضا ألاتكونى واحدة منهن، وألا تنظرى للأمور من ثقب الابرة الضيق الذى لاترين منه إلا رغباتك وأهواءك.. ولن أقول «ومصلحتك» أيضا فى الاستمرار فى الغربة ومواصلة جنى الثمار بلا حاجة ماسة ولاضرورة ملحة.

لقد كنت على وشك أن أنصح زوجك بأن يواجه زوجته بالأمر الواقع ويتحمل تبعات ذلك فإما أن تقبل به وتستمر معه.. وإما أن تنفصل عنه.. ويتمزق الأبناء بينهما لكنى راجعت نفسى فى ذلك وساءلتها ولمصلحة من تنهدم هذه الأسرة المستقرة ويشقى أبناؤها.. وتتعرض هذه الزوجة الطيبة المريضة لجزاء سنمار وطعنة الغدر، ولا شىء يربط بينه وبينك فى النهاية

سوى وثيقة زواج صورى بدأ سريا ويمكن أن تنفصم عراه فى أية لحظة وبلا خسائر كبيرة على الجانبين ، بل وحتى لو كانت الخسائر كبيرة فهى خسائر شخصية فى النهاية ولا تنسحب إلا عليك وعليه وحدكما ، ولا تمتد إلى أبناء أبرياء أو زوجة لا ذنب لها فى أقدارك كما هو الحال لو تمزقت أسرة هذا الرجل..

إذن فكلاكما قادر على التضحية باعتباراته الشخصية حرصا على استمرار هذه الأسرة المهددة وكلاكما قادر على النسيان أيضا بلا عناء كبير بدليل «عودتك للحياة» سريعا بعد رحيل زوجك الاول بشهور قليلة وبدليل نظرية زوجك العجيبة عن «الزوجة الحاضرة » و«الحب الذى لا يتجزأ» ..

والحب الحقيقى ياسيدتى إنما يمتحن بالتضحيات.. فهل تحبين هذا الرجل حقا ؟ وهل أنت قادرة على أن تقدمى له هذه التضحية العادلة بالانسحاب من حياته دون أن تكبديه وتكبدى زوجته وأبناءه الآلام والمعاناة ؟

أم أننا لا نحب الحديث عن التضحية إلا إذا كانت مطلوبة فقط من غيرنا ؟



أنا طبيبة شابة عمرى ثلاثون عاما ، وقد سبق أن كتبت لك من قبل لاستشيرك بشأن أستاذى الأستاذ الجامعى الذى كنت أعد رسالتى العلمية تحت إشرافه ، والذى كنت أعتقد أنه معجب بى ويريد الارتباط بى ، فنما حبى له تحت السطح وتعلق حتى تمكن منى تماما وهو يشجعنى ويقربنى إليه ولكن دون أن يتورط معى فى كلمة أو عبارة صريحة تحسب عليه أو أستطيع تفسيرها كوعد منه بالارتباط بى . وقد نصحتنى وقتها بالابتعاد عنه وقلت لى إنه لا يحمل لى أية مشاعر عاطفية ولا يفكر فى الارتباط بى ذات يوم لكنه كأى رجل يسعده أن يجد من يحبه ويتعلق به . وقلت لى أيضا انه ليس من الأمانة أن يوهمنى بما لا يعتزم الإقدام عليه حتى يحتفظ بحبى وتعلقى الشديد به إلى ما لا نهاية مما يضيع علىّ فرصتى فى السعادة مع غيره وقد أثبتت لى الأيام صدق حكمك بعد شهور ، فلقد جعل أستاذى منى أضحوكة بين زملائى وتحدث ساخرا عن غرامى به وسخر منه ومنى بلا رحمة أمام بعض الزملاء ، فتركت الماجستير التى كنت أعدها تحت إشرافه وانتقلت بها إلى جامعة أخرى ، وعانيت من الألم النفسى ماكاد يدمرنى ويشوه كل أفكارى عن الحياة . ومررت بفترة عصيبة من حياتى إلى أن بدأت أتماسك من جديد وأغير كل حياتى فانتقلت للعمل فى مستشفى جديد لا يعمل به هذا الأستاذ الجامعى ولا يتعامل معه حتى لا يتصادف أن أراه أو يرانى وتفرغت لعملى ولرسالة الماجستير ولحياتى العائلية حتى بدأت أنسى ما تعرضت له من مهانة وإيلام فى تلك الأيام العصيبة ، إلى أن جاء يوم وحدثت مشكلة طارئة فى المستشفى بشأن معمل التحليل الخاص به ، وكلفتنى إدارة المستشفى بالتحقيق فيها وحلها ، فقمت بزيارة المعمل عدة مرات وتحدثت إلى كل العاملين به فلفت نظرى شاب يحمل مؤهلا متوسطا يعمل فنيا للتحاليل ولمست فيه الأمانة والجدية والاستقامة ، وقد حصل على رقم تليفونى واتصل بى فى البيت وأبلغنى بما حرص غيره من العاملين بالمعمل على اخفائه عنى وأبدى لى

استياءه من عدم الأمانة والتسيب وكثرت اتصالاته بى من حين لآخر ليبلغنى بما يهمنى أن أعرفه وعلمت منه أنه حاول الاستذكار من جديد للحصول على الثانوية العامة بمجموع يؤهله للانتساب إلى إحدى الكليات الجامعية ، وبعد فترة من التعامل اليومى معه وجدت نفسى أعرض عليه مساعدته فى مادتى الكيمياء والطبيعة وتكرر لقاؤنا فى مكتبى بالمستشفى حتى تأكدت من إعجابى بأخلاقياته لكن أبى انزعج من اتصاله بى فى البيت لطلب مساعدتى له فى دراسته . وقال لى أنه ليس من مستواى الثقافى أو الاجتماعى وطالبنى بعدم الاتصال به واحترمت رأى أبى . ولكن هذا الشاب طلب منى بعد ذلك كتابا فى الكيمياء كنت قد أشرت له عن وجوده لدى فقدمت له الكتاب وفوجئت به يصر على أن يهدينى كتابا فى الأدب اشتراه خصيصا ليكون ردا على هديتى له ، وأخذت منه الكتاب شاكرة فوجدت بين صفحاته رسالة قصيرة مهذبة يسالنى فيها هل هناك أمل ولو بنسبة واحد فى المليون فى أن أبادله مشاعره ذات يوم ويقول لى أنه إذا كان الجواب بالنفى فإنه لن يتصل بى مرة أخرى وسوف يترك العمل بالمستشفى ويبحث عن عمل آخر كما يرجونى أيضا فى هذه الحالة أن أعفيه من اتصالى به حتى لا يتعلق بحبال الأمل الواهية إلى مالا نهاية .

والمشكلة التى أواجهها الآن يا سيدى هى أننى أريده بالفعل ولكن بعد أن يصل إلى المستوى الذى لا اضطر معه إلى الدفاع عن ارتباطى به أو تبريره لأسرتى أو للآخرين وهذا المستوى يبدأ بنجاحه فى الثانوية العامة وانتسابه إلى إحدى الكليات الجامعية وهو على استعداد لأن يفعل أى شىء وكل شىء متاح أو مستحيل لإرضائى . كما أنه يحبنى حبا جارفا يخيفنى وأخشى أنه إذا لم يوفق فى الحصول على الثانوية العامة أن تضيع فرصته معى مما سوف يسبب له بكل تأكيد أزمة نفسية شديدة . كما أنى إذا توقفت عن إعطائه الأمل فى إمكان الارتباط بى ذات يوم وعن الاتصال به فلسوف يترك عمله أو يهمل دراسته .. فماذا أفعل ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

أسوأ ما يفعله الإنسان هو أن يكرر مع الآخرين ما سبق أن بكى منه بمرارة حين ارتكبه البعض ضده من قبل !

ويبدو يا آنستى أننى مضطر الآن لأن أقول لك « عنك » ما سبق أن قلته لك عن أستاذك الجامعى الذى استمتع بحبك له عدة سنوات كان خلالها يشدك إليه بحبال الأمل الواهية كلما ارتخت أو بدا له أن مشاعرك تجاهه قد فترت أو أن اليأس منه قد بدأ يتسرب إلى نفسك ، ولست أتهمك بأنك تفعلين بهذا الشاب ما سبق أن فعله بك الأستاذ الجامعى عمدا أو عن وعى كامل بما تفعلين ، لكنى أتصور أن عقلك الباطن هو الذى يدفعك بغير وعى غالبا إلى محاولة تجربة هذا « الاحساس » الذى طالما ارتوى منه أستاذك السابق معك فاشتقت إلى تذوقه ومعرفة كنهه .. وهو إحساس « المحبوب » المسيطر الذى يتفانى آخر فى السعى لنيل حبه وإرضائه بعد أن جربت طويلا إحساس المحب الذليل ضعيف الإرادة مع من يحب .

ومن سوء حظ هذا الشاب أنه قد صادفك بعد اجتيازك لهذه المحنة المؤلمة ، فأتاح ذلك لعقلك الباطن الفرصة لإجراء هذ التجربة العكسية معه والتعرف على ما يشعر به الطرف الآخر فيها .. فكأنما تريدين بغير أن تعرفى بماذا كان يحس أستاذك السابق وأنت تذبحين قرابين الحب بين يديه ولست أتهمك بسوء النية ولا بالرغبة فى إيلام هذا الشاب الطيب فى كل ذلك .

لكنى أقول لك فقط إنك تكررين معه نفس التجربة التى آلمتك وتركت بصماتها الغائرة على شخصيتك وحياتك حتى تركت عملك ورسالتك وانتقلت بهما إلى مجال جديد . كما أقول لك أيضا انك لا تحملين لهذا الشاب من المشاعر العاطفية جزءا من المليون مما يحمله لك هو من احاسيس نقية وجارفة حتى ولو حملت له بعض الإعجاب بأخلاقياته .

لهذا كله فإن فرصتك معه ضعيفة للغاية ورهينة بعوامل وظروف تعليمية واجتماعية ليست تحت سيطرتك ولا يتسع العمر لتداركها بعد أن بلغت الثلاثين من عمرك ، ولو كنت قد استشعرت من رسالتك حبا صادقا حقيقيا لهذا الشاب لنصحتك بأن ترفعى من مستواه الثقافى والاجتماعى وتكملى معه المشوار الطويل رغم ما يكتنف ذلك من صعوبات وتعقيدات اجتماعية أنت فى غنى عنها ، لكنى للأسف لم استشعر فى حديثك عنه هذا « الحب البانى » الذى يبنى الطرف الآخر ويرتفع به إلى أقصى ما تسمح به قدراته وملكاته من درجات ، وإنما ألمس فيها فقط إعجابا بشخصيته

لا يكفى وحده لتجاوز ما بينكما من تفاوت ثقافى واجتماعى كما ألمس فيه ايضا شيئا من التعويض النفسى الذى تستشعرينه وتستمدينه من حب هذا الشاب الجارف الذى أعاد لك بعض اعتبارك وثقتك بنفسك واحساسك المفقود بالجدارة ، وهذان العاملان لا يكفيان وحدهما لبناء حياة سعيدة وواعدة بالأمان والاستقرار على المدى الطويل يا آنستى .

لهذا فإننى انصحك بأن تطلقى سراح هذا الشاب من أسر حبه لك قبل أن يتمادى فى الحلم والأمل فى نيلك والفوز بحبك ، وقبل أن تتضاعف الآثار النفسية المؤلمة لانهيار البناء بعد أن يكون قد ارتفع وعلا وناطح السحاب ، ولن يكون ذلك صعبا عليك الآن إذا حرصت على احترام مشاعر هذا الشاب وكرامته .. وتوقفت عن بث الأمل فى نفسه ولسوف يكون ذلك مؤلما وجارحا إذا تأخر كثيرا عن موعده أو إذا تم بطريقة قاسية تؤلم المشاعر أو تؤذى القلوب البريئة .. فلا تترددى أمام هذا ولا ذاك .. وشكرا .

٣٠ قصة حب واقعية

آثار الحب



منذ فترة طويلة وأنا أفكر فى الكتابة إليك لأروى لك قصتى وأختتمها بنداء للآخرين للاستفادة من تجربتى ، فأنا سيدة فى السادسة والثلاثين من عمرى نشأت بمدينة ساحلية فى أسرة مكونة من أب موظف كبير وأم ربة بيت وشقيق وشقيقة . وحين بلغت مرحلة الصبا لفت جمالى الأنظار فبدأ الخطاب يطرقون باب أبى فخطبت لمهندس من أبناء المدينة عن طريق الصالون ، وفرحت بالدبلة الذهبية والهدايا ومجاملات خطيبى الذى بدا مبهورا بجمالى ، وفى هذه الفترة أعير أبى للعمل بالخارج وتوفيت والدتى عقب زواج شقيقتى الكبرى فعشت مع شقيقى وحدنا فى مسكن الأسرة ترعانا سيدة عجوز ويرجع الينا أبى فى الأجازات الصيفية وحصلت على الثانوية العامة بمجموع ضعيف فالتحقت بمعهد فوق المتوسط لمدة سنتين ، فما أن بدأت الدراسة حتى تغير خط حياتى فجأة .. فلقد تعرفت فى المعهد بزميل لى اقترب منى على الفور وأحسست تجاهه بضعف عجيب ، ولم يلبث أن صارحنى بحبه ورغبته فى الارتباط بى ففقدت كل مقاومة وغرقت فى حبه وتركزت كل آمالى فى الحياة فى الارتباط به ، وصممت على فسخ خطبتى للمهندس الذى فوجىء بجفائى له وبذل المستحيل ليعرف سر تحولى المفاجىء عنه حتى يئس منى ففسخ الخطبة وانصرف عنى حزينا ورجع أبى فى الاجازة الصيفية فتقدم له فارس أحلامى فلم يصمد لأى اختبار أمامه ، فالفتى صغير السن يكبرنى بعامين فقط . ولا يملك مالا يتزوج به .. ولا وظيفة له انتظارا لأداء الخدمة العسكرية فرفضه أبى بإصرار ومنعنى من الخروج والاتصال به وحان موعد رجوعه لعمله فخشى لو تركنى فى بيت الأسرة ألا انقطع عن رؤيته ، فأبعدنى إلى بيت شقيقتى المتزوجة وشدد عليها أن تراقبنى وتمنعنى من كل اتصال بفتاى ، وسافر مطمئنا إلى ما فعل فلم يمض على سفره أسابيع حتى كنت أنا وفتاى قد حزمنا أمرنا على الزواج بغير علم أبى لنضعه أمام الأمر الواقع وفى اليوم المحدد تسللت من بيت شقيقتى إلى بيت شقيق فتاى الأكبر حيث تم عقد

القران ، ثم ركبنا القطار إلى القاهرة وأقمنا فى شقة مفروشة حقيرة حتى انتهت إجازته ورجع للوحدة العسكرية وخرجت أنا للعمل لأواجه الحياة فزوجى لا يعمل .. وما بقى معنا من نقود لا يصمد لأيام فبدأت العمل فى محل تجارى ثم تنقلت بين عدد كبير من الأعمال حتى أنهى زوجى تجنيده وعين عن طريق القوى العاملة بوظيفة حكومية صغيرة ، وأنجبت طفلى الأول ونحن نتشارب كؤوس الحب والعطف والحنان ، وأنا فى قمة السعادة رغم أننى قد أصبحت مقطوعة من شجرة بعد أن قاطعنى أبى بمجرد علمه بزواجى وانقطع عنى شقيقى وشقيقتى وكل أهلى ، ورغم الضيق المادى الشديد الذى كنا نعيش فيه واضطرارى أحيانا للعمل فى عملين صباحا ومساء كل يوم لكى أوفر مطالب الحياة ونسعى إلى الحصول على مسكن بالايجار .

ومضت السنوات بحلوها ومرها ، وأنجبت ولدا وبنتا . وفقد زوجى وظيفته الحكومية لعدم انتظامه فيها فواجهنا المستقبل بلا معاش ولا تأمينات ثم بدأ زوجى يعمل بالفنادق، لكنى لم أتوقف عن العمل لكى نستطيع الحصول على مسكن خاص بنا، فعملت فى صيدلية، وفى مكتب مأذون، بل وعملت أحيانا كتاجرة شنطة أشترى البضائع من بورسعيد وأبيعها للسيدات فى القاهرة حتى استطعنا بجهد مرير أن نحصل على سكن مستقر، وتصورت اننى قد بلغت أخيرا شاطىء الأمان.. فإذا بفارس أحلامى الذى بعت أبى وأسرتى من أجله يتكشف لى عن شخص آخر تماما، لاصلة له بالشاب الحنون الرقيق العاطفى الذى عرفته فى المعهد.

فلقد بدأ زوجى يسهر حتى الصباح ويتركنى وحيدة مع الطفلين.. ويبيت خارج البيت بالأيام.. ويشرب.. ويكذب.. ويعاملنى بعصبية شديدة عند العتاب، ولايطيق أن أعاتبه فى شىء.. أو أذكره بتضحياتى من أجله أو باننى لم يعد لى أهل سواه وأبى مازال على مقاطعته لى منذ سنوات ثم أصبح لايتورع عن إيذائى بالضرب المبرح عند كل شجار بيننا، حتى امتلأ جسمى بالكدمات والدوائر السوداء والزرقاء، وحتى ضربنى ذات مرة فى رأسى فأصابنى بفقدان مؤقت للذاكرة عانيت بسببه من النسيان والتوهان فترة طويلة، وإلى الحد الذى أصبحت فيه مشكلتى عند الخروج

للعمل هى كيف أخفى آثار الضرب الوحشى عن عيون الناس فارتدى النظارة السوداء من أكبر مقاس، وألف الإيشارب حول عنقى، وأضع الكريم والبودرة فوق البقع الزرقاء فى يدى ووجهى.. وتسالنى ولماذا تحملت كل ذلك.. وأجيبك ولمن ألجأ إذا لم أحتمله وأبى يقاطعنى، وشقيقى وشقيقتى المتزوجان لايدريان عنى شيئا ولاأريد إطلاعهما على شىء من أمرى حتى لاأسمع الرد الوحيد المتوقع وهو أليس هذا من بعتنا من أجله؟!

فكانت النتيجة اننى واصلت التحمل إلى النهاية.. وان كنت قد فقدت صبرى مرة أو مرتين حين اشتد ايذاؤه لى فشكوته للشرطة، وقام الضابط بتسوية الأمر وديا وهدده بالإيذاء لو عاد لضربى.. وواصلت الحياة معه.. وتحملت كل شىء ماعدا خيانته لى وعبثه مع فتيات أخريات، إذ كلما لمست شيئا من ذلك أصابنى الجنون أن يعرف أحد غيرى - وأنا من بعت أهلى وعشيرتى كلهم من أجله - فيتجدد النزاع بيننا ويعود لاستعمال العنف الشديد معى..

ومنذ أسابيع تشاجرنا معا لنفس السبب فضربنى بقسوة حتى عجزت عن النوم على ظهرى من الآلام المبرحة، واعتزلته واكتفيت برعاية أطفالى وإعداد الطعام وشئون البيت، فإذا به يرجع للتحرش بى بعد ثلاثة أيام ويهم بالاعتداء علىّ فصحت فيه بلهجة مريرة أرجوه - من فضله وكرمه - ألا يضربنى قبل أن يشفى جسمى من آثار الضرب السابق!! فخجل من نفسه وتراجع.. بل وحاول الاعتذار لى لكننى لم أعد أقبل منه اعتذارا.. لقد كرهت حياتى وكرهت كل شىء بل اننى أشعر أحيانا بأننى أكره أولادى أنفسهم لأنهم السبب فى احتمالى لكل ماحتملت حتى الآن، كما اننى أفكر كثيرا فى طلب الطلاق وأعلم جيدا انه لن يمنحه لى إلا عن طريق المحكمة وأخشى مصيرى ومصير أولادى لأنه فى النهاية يتكفل بنفقات الأسرة والأولاد، ولايبخل عليهم.

وبسبب عدم احساسى بالأمان معه رجعت للعمل مرة أخرى، وأصبح كل همى هو أن أدخر أجرى منه وأشترى به مصوغات ذهبية لأجد ماأواجه به المستقبل المجهول، أما أبى فقد صفح عنى منذ أسابيع فقط وبعد ١٦ عاما من القطيعة وبدأ يحاول أن يعوضنى عما عانيته من حرمان،

وصارحنى بانه قد حفظ لى حقى فى ماله كاخوتى لكنه لن يسلمه لى أبدا وهو على قيد الحياة حتى لايستولى عليه زوجى أو يبدده.

وهو لايعلم على أية حال شيئا عما أعانيه مع فارس أحلامى القديم من ضرب وهوان وخيانة.. واستهتار بمستقبل الأولاد فزوجى لايدخر لأولاده شيئا ويريد أن يشترى سيارة ليتفسح بها مع العابثات ويريد أن يركب تليفونا فوريا ببضعة آلاف من الجنيهات لكى يحرقن دمى كل يوم بالاتصال به وقد منعته بما استطعت من قوة من شراء السيارة وتركيب التليفون وهددته بالانتحار لو فعل فرضخ مؤقتا لإرادتى لكنه لم ييأس بعد.

وتسالنى إذن لماذا أكتب إليك الآن.. فأقول لك لأن جاراتى يستدعيننى كل حين لأحكى لبناتهن قصتى مع فارس الأحلام الحنون وخروجى على طاعة أهلى لكى أتزوجه وكؤوس المر التى تجرعتها معه طوال السنوات الماضية، حتى لايصدقن الشباب المخادع.. ولايخرجن على طاعة أهلهن، وقد أعدت رواية قصتى للمرة الألف منذ أيام فى بيت إحدى جاراتى فخطرت لى فكرة أن أكتب إليك لكى تنشر رسالتى وتقرأها كل الفتيات وأقول لهن فيها: لاتبعن آباءكن أبدا من أجل رجل بوهم الحب.. فليس فى الوجود رجل واحد يستحق أن تبيع فتاة أباها وأمها واخوتها وتهجرهم من أجله، أما الحب والرقة والحنان والأحلام الوردية.. والرجل الذى لاأطيق الحياة بدونه.. فكلها أكاذيب وأوهام تتبدد خلال ٣ أو ٤ سنوات على الأكثر بعد الزواج، فإذا واصلت الفتاة بعد ذلك حياتها مع زوجها الذى هجرت الأهل إليه فمن أجل أولادها.. ولكى لاتثير شماتة الأهل فيها.. ثم أخيرا لأنها أصبحت مرفوضة من الأهل فلمن تلجأ بعد أن هجرتهم وأنكروها.. أرجوك اكتب هذا الكلام على لسانى بكل قوة بل إنه إذا استشارتك فتاة تريد أن تهجر أهلها لتتزوج بمن تحب كما فعلت أنا، فوفر عليك جهد النصح والإقناع والكلام الهادىء الحكيم لمن هم أحق بجهدك وتعبك منها واستدعنى من بيتى على الفور لكى أسحبها من شعرها أمامك إلى أقرب حمام وأريها آثار الحب القديمة والحديثة على جسمى كله وعلى وجهى الذى اختفت منه ملامح الفتاة باهرة الجمال التى كانت.. وعلى مظهرى

الذى أصبح كمظهـر الشغالات، ولك علىّ بعد ذلك ألا ترجع إليك هـذه الفتاة مـرة أخرى أبـدا، وشكرا لـك إن فعلت ذلك.. واستدعيتنى والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

مابجسمك ياسيدتى ليس من آثار الحب، وإنما من آثار الحمق والطيش والجنون. بل انى لاأتـردد فى أن أقول لك أيضـا أنه من آثـار طبيعة النفس البشرية التى قد تميل أحيانـا ـ إلا من عصم ربى ـ إلى الاجتراء على الآخرين إذا أمنت سوء العـاقبة من جانبهم، وإذا لم يكن الأمر كـذلك فى مثل حالتك، وفى الأحـوال المشـابهة فليفسر لى أحـد لماذا نلتمس دائما أعـذار العصبيـة والانفعـاليـة لأنفسنـا فى تهورنـا على الأعـزاء الـذين نأمن ردود أفعـالهم تجاهنا، ونعتصم فى نفس الوقت بضبط النفس مـع الآخرين الذين لا نأمن ردود أفعالهم ضـدنا، إذا تهورنـا عليهم بالإيـذاء البدنى، مع أننـا قد نلقى منهم استفـزازات أشد عشرات المرات ممـا قد نلقـاه من الأعزاء الضعفـاء، ومع أن الشخصيـة فى كلا الحالين واحـدة، ولم تفقد بعـد سمات عصبيتها ولا انفعاليتها فى التصرف ؟

هل هناك تفسير آخـر سوى أننـا نعلم جيدا أننـا لو استجبنـا للطبيعة العـدوانية الكـامنة فى داخلنـا تجاه الآخـرين، فسوف يـردون لنا الصـاع صاعين بنفس الطـريقة.. ونعلم جيـدا أيضا أن أعـزاءنا الذيـن نطلق عقال وحشيتنـا العدوانيـة تجاههم لن يستطيعـوا أن يـردوا على الإيذاء البـدنى بإيذاء مثله .؟

لا تفسير سوى ذلك مهما أجهد أهل الانفعاليـة والعدوانية مع الزوجات والأبناء أنفسهم فى البحث عن أى تفسير آخر ؟

وظـروفـك يـاسيـدتى كـانت ومـازالت ظـروفـا مثـاليـة للضعف والاستضعـاف، فلقد قطعت كـل جسورك بأبيك وأخـوتك وأهلك جميعـا، والتصقت بفتـاك فـارس الأحـلام القديمـة وبـدلا من أن يكـون ظهيرك فى الحياة بعـد أن فقدت كل نصير أدمن الاجتراء عليك بـالإيذاء الـوحشى عند كل خـلاف وهو آمن تمامـا من كل رد فعل عكسى، فلا أنت قـادرة على أن تـردى عليـه العنف بـالعنف ولا أنت قـادرة على الاحتماء بأهلك وعشيـرتك

واستنصارهم عليه ولا أنت قـادرة على هجره وحرمانه من استقـرار حياته وحياة أطفاله فيتحفظ بعض الشىء فى عنفه معك .

وهذا هو درس تجربتك الحقيقى.. فالحب لا شـأن له برضوض جسمك ولا بما تردت إليه أحوالك مع فتى الأحـلام القديمة لأن الحب صنو الرحمة والعطف والرفق والحنان، لا صنـو العنف والضرب والإيذاء وكسور الظهر وندوب الـوجه، أما درس التجـربة فهو أن أصل البـلاء كله فى اجترائك على الخروج على طاعة أبيك وأنت فتاة دون العشرين مـن عمرها لتتزوجى فتى لم يبلغ الثـانيـة والعشرين من العمـر، ضـاربـة عـرض الحائط بكل شىء وطاعنـة قلب أبيك فى مقتل بلا رحمة وبغير أن تستنفـدى معه كل الـوسائل لنيل رضـاه وتصبرى عليه حتى يعـدل عن رأيه ولـو صبرت عليه عـاما أو عـامين أو ثـلاثــة لنلت بغيتك ولما خسرت رضـا أبيك لكنهــا آفـة الطيش والتعجل وفقدان البصيرة، وإذا كان بعض الرجـال الذين يتزوجون فتيات القلب بهذه الطريقـة المعيبة قد يحفظـون لزوجاتهم تضحيـاتهن الجسيمة من أجلهم ويحيطون بهن طـوال العمر بـالحب والرعايـة .. ويسعون بكل جهـد لاعادة روابطهن بـأسرهن، فإن الكثرة منهم لـلأسف قـد يجدون فى ظروف زوجاتهم حين يفتر الحب أو ينهزم أمـام صعوبات الحياة وتحولات المشاعر، ما يغريهم بألا يتحفظوا معهن فى فعل أو تصرف وهم آمنون تماما إلى أن البحـــر وراءهن ولا سبيـل أمـــامهن ســوى الاحتمال والصبر على ما جـررن على أنفسهن من وبال، ولا عجب فى ذلك فقـديما قال الإمـام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه «ستحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من معاص» وأية معصية أشد من خروجك على طاعة أبيك بهذه الخفة والطيش وأية أقضية أخف وطأة من معصيتك من حالك مع زوجك المحبوب الآن .

أما الشخص الآخـر الذى تكشف لك فيـه بعد معاشرتك لـه فليس أمرا خـارقـا للمـألـوف، لأن شخصيـة ابن العشرين أو الحادى والعشرين التى استهوتك وتصورت أنك قد عرفت كل قسماتها ليست غالبا هى الشخصية النهائيـة للانسـان التى ترافقه بقيـة العمر، وانما هى الشخصيـة الملائمة وقتها لحداثـة سنه وقلـة تجاربه واختبـاراته فى الحياة وهى دائما قـابلة للتحولات بعد اكتساب النضج والخبرة والتفـاعل مع خبرات الحياة السلبية

أو الايجابية لهذا فمن مألوف الحياة فى دولة كالولايات المتحدة مثلا حيث ينتشر إلى حد كبير زواج المراهقين، أن يتهدم هذا الزواج بعد ثلاث أو أربع سنوات على الأكثر ويعيش المطلقون الصغار رجالا وفتيات بضع سنوات بلا زواج، ثم يتزوجون زواجا ثانيا وهم فى أعقاب الثلاثين أو بعدها فيكون هذا الزواج هو الزواج الحقيقى الذى يستمر حتى نهاية الرحلة. أما الزواج الأول فهو زواج العاطفة الهوجاء التى لامكان لأحكام العقل فيه. فإذا كان زواجك قد استمر فلأننا والحمد لله لانجترىء على الانفصال طلبا للسعادة الشخصية وحدها دون النظر إلى مسئوليتنا عن الأطفال الذين جئنا بهم إلى الحياة برغبتنا نحن وليس بإرادتهم، وهذا هو تفسير هذا الإحساس الخطير الذى تشعرين به من حين لآخر تجاه أطفالك إذ تعتبرينهم المبرر الوحيد لاستمرار الزواج وتحمل الإيذاء البدنى والمعاناة النفسية وهو إحساس غير ناضج ولا سليم على أية حال لأنك وحدك المسئولة عن اختيارك.

٣٠ قصة حب واقعية

موعد الزيارة



هذه هى رسالتى الثانية لك وأرجو ألا «تكرهها» كما كرهت رسالتى الأولى ورفضت الرد عليها.. وقبل أن استطرد فى رسالتى أذكرك بوقائع الرسالة الأولى فقد رويت لك فيها اننى منذ سبع سنوات تعرفت على سيدة أجنبية ودعوتها للإقامة مع أسرتى فى القاهرة لمدة أسبوعين على أن نرد إليها الزيارة فى بلدها ونقيم فى بيتها. فيما بعد، وبالفعل جاءت السيدة الأجنبية ومعها أطفالها فى موعد الزيارة واستقبلتهم فى المطار لكنى بدلا من أن أصطحبهم إلى بيت الأسرة، كما كان الاتفاق فقد توجهت بهم إلى شقة مفروشة استأجرتها لمدة أسبوعين مدعيا للضيفة الأجنبية أن أسرتى على سفر خارج القاهرة، وخلال زيارة السيدة للقاهرة وفيما بين جولاتنا فى منطقة الأهرام والمتحف وخان الخليلى حكت لى عن نفسها وشكت لى كثيرا من زوجها وحدث بيننا مالا تحمد عقباه، وانتهت الزيارة ورجعت السيدة إلى بلدها فلم يمض شهران حتى كتبت لى أنها حامل فاسقط فى يدى ولم أدر ماذا أصنع، وبعد شهور أخرى أبلغتنى أنها قد وضعت مولودا ونسبته إلىّ وأرسلت إلىّ شهادة ميلاده، واستشرت فى ذلك بعض رجال الدين فكان منهم من حرم نسبة الطفل إلىّ ومنهم من قال لى انه من لحمى ودمى ودعانى إلى التوبة والاستغفار ثم الزواج من هذه السيدة زواجا شرعيا بعد أن طلقت من زوجها، وبالفعل فقد بدأت أعد نفسى للسفر إلى البلد الذى تقيم فيه والزواج منها والعمل هناك، لكن قد واجهتنى بعض الصعوبات، وجاءتنى خلال ذلك فرصة للعمل فى دولة عربية فسافرت إليها وكتبت للسيدة الأجنبية معتذرا عن عدم اللحاق بها وواعدا بألا يطول غيابى عنها أكثر من عام واحد أجمع خلاله بعض المال قبل السفر إليها. وبدلا من أن أركز جهدى على ذلك فعلا إذا بى أتعرف على فتاة مصرية وأتقدم لخطبتها بعد تعارف سريع بين العائلتين فى القاهرة وعن هذا التطور فى حياتى كتبت لك رسالتى الأولى وسألتك عما تشير علىّ به فى حياتى هل أمضى فى الخطبة والزواج من هذه الفتاة أم أفى بوعدى للسيدة الأجنبية

وأسافر إليها وأتزوجها، وترقبت ردك على صفحة بريد الجمعة لكنك فيما يبدو كرهت رسالتى وأحسست أننى شاب فاسد ولايرجى له صلاح، فلم تعن بالرد على تساؤلى فكان أن تزوجت الفتاة التى خطبتها وسافرنا للدولة العربية وأنجبنا مولودا جميلا، ونظرا لأن ارتباطى بها قد جاء سريعا وفى أجواء لاداعى لشرحها، فلم أشعر يوما اننى أحب زوجتى هذه مع أنها طيبة جدا، وقد رجعنا معا هذا الصيف من الدولة التى أعمل بها فى اجازة وبعد أيام من رجوعنا تذرعت لها بأن لدى موعدا لتسجيل الماجستير فى جامعة بإحدى العواصم الأوربية، وسافرت إلى الدولة التى تقيم بها السيدة الأجنبية ووجدتها فى انتظارى بالمطار ومعها أطفالها وطفلى.. فإذا بى أجده صورة طبق الأصل من مولودى الآخر من زوجتى المصرية، وقضيت مع السيدة بضعة أيام وسافرت واعدا بقرب اللقاء مرة أخرى.

اننى أشعر انك تريد أن تمزق رسالتى عند هذا الحد لكنى أرجوك الصبر علىّ لاننى فى حاجة شديدة إلى مساعدتك، فأنا الآن فى طريقى لإنهاء عملى فى الدولة العربية مع نهاية هذا العام ولا أحمل أى مشاعر من الحب لزوجتى الطيبة، ولا أعلم كيف ستكون حياتى إذا قررت السفر للدولة الأوربية والزواج من أم الطفل والاستقرار هناك، وما يشغلنى حقا هو مصير طفلى من زوجتى الحالية فى حالة الطلاق، لهذا فإنى أرجوك أن تشير علىّ بما تراه الأصلح والأفضل لى وبأن تجيبنى عن السؤال الذى يشغلنى وهو هل اعترافى ببنوة طفل السيدة الأجنبية حلال أم حرام؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

اما اننى قد كرهت رسالتك الأولى وعزفت عن الرد عليها فهذا صحيح تماما، وأما اننى كدت أمزق رسالتك الثانية هذه ضيقا بها وبما فعلت بنفسك وبحياتك، فهذا صحيح أيضا، فإذا كنت قد عدلت عن رغبتى فى الاهتمام بها وقررت نشرها، فليس - وعفوا لذلك — عن تعاطف معك وإنما عن رغبة فى أن يتعلم غيرك من الشباب درس تجربتها الذى يذكرنى بمطلع تلك القصيدة الأمريكية التى تقول:

متعة الحب لحظة
شجن الحب يدوم إلى الأبد!

ولكى يعرفوا لأقدامهم قبل الخطو موضعها، حتى لا يتورطوا فى سلوك لا أخلاقى متعته باللحظات، وأشجانه وهمومه قد تصاحبهم بقية العمر!

فها أنت تواجه أو تعانى من «شجن» ذلك الحب اللحظى الذى ستستمر فى حياتك بذيوله وتبعاته ما بقى هذا الطفل على قيد الحياة.. وما بقيت أنت.

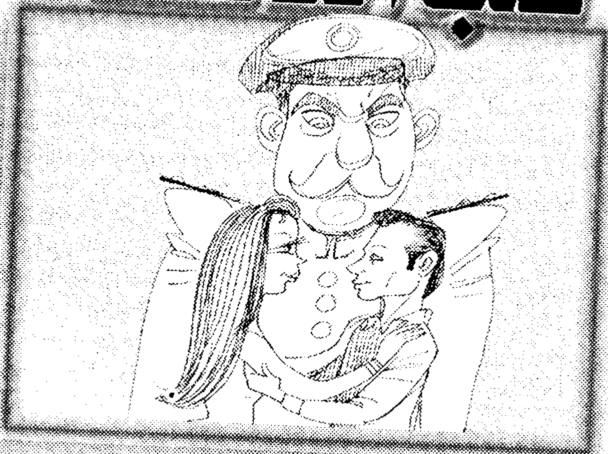
وعلى أية حال فإننى أقول لك أنك قد أخطأت بسلوكك غير الملتزم مع هذه السيدة الأجنبية وأخطأت مرة أخرى بزواجك المتسرع المتعجل قبل اختبار المشاعر والتأكد منهاوكأنما كنت تهرب به من مواجهة مشكلتك الأساسية، وأخطأت مرة ثالثة بالسفر إلى السيدة الأجنبية وتجديد صلتك بها وإحياء وعودك الكاذبة لها، فلا تكرر الخطأ.. ولا تضاعفه بطلاق زوجتك الطيبة وتشريد طفلك منها، إذ لا ذنب له ولا جريرة فى تعجلك الزواج من أمه.. ولا فى حكاية مشاعر الحب هذه التى لا تشعر بها تجاهها.. وكن رجلا يتحمل تبعات تصرفاته وأفعاله بأمانة كما يفعل الشرفاء الذين لا يسمحون بأن يدفع غيرهم ثمن أخطائهم. وصارح السيدة الأجنبية بأنك لا تستطيع الهجرة اليها والاقامة معها.. لأنك لا تستطيع ذلك فعلا ولا ترغب فيه ولا تأمن لحياتك مع مثل هذه السيدة لكنك تخدع نفسك بالأمل فيها، وأعلن لها استعدادك للاعتراف ببنوة طفلك منها ولو تطلب ذلك منك أن تعقد قرانك عليها لفترة ثم تطلقها مع انه لا يتطلب ذلك ومع انى أشك فى قبولها عقد قرانك عليها لمجرد تصحيح الأوضاع حيث لا يعنيها هذا الأمر كثيرا ولا تحتاج إليه فى مجتمعها.. وإنما الاعتراف هناك مسئولية أدبية وانسانية فقط والتفت إلى زوجتك وحاول اعادة اكتشافها من جديد ولابد انك سوف تجد لديها ما تحبها من أجله خاصة حين تصرف ذهنك نهائيا عن التردد بين مواصلة الرحلة معها وبين قطعها واللحاق بالسيدة الأجنبية التى لو سافرت اليها وتزوجتها لما ضمنت سعادتك معها ولما تيقنت من قدرتك أو حتى من قدرتها هى على استكمال رحلة الحياة معا.. فانتما فى النهاية غريبان لم يكد أحدكما يعرف الآخر جيدا أو يحكم على مدى تقبله للحياة معه. أما نسبة ابنك إليك فلا شىء فيها من الناحية الدينية لأنه ابنك حقا وصدقا بغض النظر عن الظروف الأخرى وهو ما يعرف بالاستلحاق أى أن تلحق باسمك ونسبك

من اعترفت ببنوته الصحيحة، واعترافك ببنوته من الرجولة وتحمل المسئولية عن أخطائك، اما ذروة الأمانة حقا فهو أن تصارح أمه الأجنبية بأنك غير قادر على الوفاء لها بوعدك بالهجرة اليها والاقامة معها.. وصدقنى انها لن تصدم فيك كثيرا لأنها أكثر واقعية مما تظن.. ولأنها قادرة على رعاية نفسها، وقد كانت تستطيع لو أرادت أن تتخلص من الجنين لكنها لم تفعل لأنها أرادته وتستطيع رعايته وأطفالها دون معاونة منك. اما الشرف فيقضى أن تمهد الجو من الآن مع زوجتك لابلاغها تدريجيا بقصة ذلك الطفل لكيلا تفاجأ به يطرق عليها بابها بعد بضع سنوات باحثا عن أبيه أو راغبا فى التعرف عليه وعلى اخوته، وسوف يحدث هذا بالتأكيد بعد سنوات لن تطول. فحاول أن تمهد لهذا الأمر من الآن.. وسوف تتفهم زوجتك الوضع وستعينك عليه وحاول أيضا أن تكفر عما فعلت بالجدية والالتزام الخلقى والدينى فى حياتك.. والوفاء لزوجتك ولطفلك منها وحبذا لو استطعت أن تؤدى إلى طفلك الآخر من الأجنبية بعض الحقوق المادية أو حتى أن تقدم له بعض الهدايا والتذكارات فى المناسبات المختلفة.. ويكفى هذا القدر الآن.. وشكرا.

٨

٣٠ قصة حب واقعية

قلب العاصفة



نشأت فى أسرة صغيرة بين أب لا يعرف إلا إصدار الأوامر بسبب نشأته العسكرية وحتى بعد أن تقاعد وعمل بالأعمال الحرة منذ سنوات طويلة .. وأم لا حول لها ولا قوة وشقيقين يكبراننى بعدة أعوام .. ورغم ان حياتنا كانت ميسورة مادياً إلا أنها كانت جافة من الناحية العاطفية فليس بيننا وبين أبينا سوى علاقة تلقى الأوامر والالتزام بتنفيذها حرفياً وإلا فالويل لنا جميعاً .

وفى هذا الجو العائلى الصارم حصلت على الثانوية العامة ، ورشحنى مجموعى للالتحاق بكلية التجارة بجامعة الاسكندرية .. وطرت فرحاً حين وافق أبى على أن أسافر إليها لأقيم بها مع جدى إلى أن ينجح فى نقلى لكلية التجارة بجامعة القاهرة فى العام الدراسى التالى .

وسعد جدى بذلك كثيراً نظراً لوحدته بعد وفاة جدتى وسافرت إلى هناك وبدأت حياتى الجامعية الجديدة محمّلة بأوامر أبى وتعليماته الصارمة وكان أهمها هو عدم الاختلاط بالطلبة وعدم الاختلاط بأى إنسان يقل مستواه الاجتماعى عن مستوانا .. وعدم التأخر خارج البيت عن ساعة معينة مهما كانت مواعيد الدراسة ، لكى يتصل بى تليفونياً من القاهرة ويتأكد من عودتى . والتزمت بكل هذه التعليمات حرفياً .. وبدأت أتردد على الكلية كل يوم وأعود إلى بيت جدى فأجد عنده كل ما حرمت منه طوال حياتى من الحنان والفهم والأبوة الحقيقية .

ومضى عامى الأول بسلام وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت وهمّ أبى بأن ينقل أوراقى إلى جامعة القاهرة فتوسل إليه جدى بتحريض سرِّى منى أن يدعنى أتم تعليمى الجامعى معه لانه وحيد ويحتاج إلى صحبتى . وقبل أبى ذلك بعد تردد طويل .. وسعدت بذلك وحرصت فى نفس الوقت على ألا أبالغ فى إظهار سعادتى به حتى لا أستثير ضيق أبى .

فيصمم على نقلى .. وبدأت عامى الثانى سعيدة وفى بدايته أوصى جدى صديقاً له بأن يقوم ابنه الطالب بالسنة النهائية بكلية الطب بالمرور علىّ كل

صباح بسيارته الصغيرة المتهالكة ليصحبنى إلى الكلية حتى أتجنب مضايقات المواصلات .. وقام الشاب بهذه المهمة بترحيب ، فأصبح يصطحبنى إلى الكلية فى الصباح ، ويحاول أن ينهى دراسته فى موعد يتلاءم مع موعدى ليعيدنى إلى البيت وخلال رحلتىْ الصباح والمساء .. نمت بيننا عاطفة شريفة قوية وتعاهدنا على الزواج بعد انتهاء دراستى .

وتخرج فتاى قبلى بعامين .. ثم تخرجت أنا وانتهت اقامتى بالاسكندرية وعدت إلى القاهرة لأنتظر اليوم الموعود الذى سيجىء فيه مع أبيه وجدى ليطلبوا يدى من أبى .. وجاء بعد أيام إلى بيتنا واستقبلهم أبى بترحاب .. ثم بدأ جدى الحديث فإذا بأبى يرفض فتاى بلا تردد وبكلمات قاسية تشعره بالعجز والهوان وضآلة الشأن ، مؤكدا له أنه لا يجد فيه المواصفات التى يريدها فى زوج ابنته وأنه لا يحق له أن يطمح فى الزواج منى لأن امكانياته لا تؤهله لذلك .. ثم انهى حديثه بجفاء شديد كانه يطرد الجميع .. وصُدم الشاب وأبوه صدمة مذهلة ليس للرفض فى حد ذاته وإنما لهذه اللهجة المهينة .. وأحس جدى بالحرج الشديد أمام صديقه ، وطالب أبى بالتروى قليلاً واستشارة صاحبة الشأن فى الأمر فأصر أبى على موقفه .. ولم يلن حتى بعد أن صارحه جدى بأن « البنت والولد » يحبان بعضهما البعض منذ ٣ سنوات ومتعاهدان على الزواج !

وغادر جدى بيتنا حزيناً مع صديقه وانصرف فتاى والعرق يتصبب منه .. وكنت قد سمعت كل الحوار عن قرب فأسرعت ألحق بفتاى على السلم لأطالبه بألا ييأس .. وقلت له إنى رشيدة وأستطيع إذا يئسنا فى النهاية أن أتزوج بغير موافقة أبى لكنه ازداد حزنا .. وطالبنى بالاهتمام بنفسى ثم ودعنى قائلاً : «لا إله إلا الله » ..

وانصرف الضيوف مهزومين وعاد جدى إلى الاسكندرية مكتئبا ، ورفض أن يقضى معنا عدة أيام .. وسعى أبى بعدها لإلحاقى بالعمل بإحدى الشركات الاستثمارية بالقاهرة وعينت بوظيفة مناسبة وتمنيت أن يشغلنى العمل عن حلمى القديم فوجدتنى أزداد استغراقا فيه .. ومضى عامان طويلان لم أتوقف خلالهما عن الأمل فى أن ينجح جدى فى إقناع أبى بالتنازل عن موقفه ، لكنى يئست من ذلك تماما حين توفى جدى وودعته

باكية حنانه وعطفه . وبعد وفاته بشهور تقدم لى شاب مرموق وجد فيه أبى كل ما يطلبه فى زوج ابنته من أسرة .. وثراء .. وصلات اجتماعية واسعة فوافق عليه وتحمس له واقنعنى به وشاركته فى ذلك أمى وشقيقاى . والتقيت به من باب الرغبة فى تغيير حياتى ووجدته جذاباً ومهذباً ، ورغبت فى ألا أخدعه فحكيت له قصتى كاملة .. فقال لى انه يعتبر ذلك دليلا على اخلاصى وأن الزمن سوف يخلق بيننا من الروابط ما ينسينى هذه التجربة بكل آثارها.. وحاول جاهدا أن يشغلنى عن ذكرياتى .. واستجبت لمحاولاته باخلاص وشغلت معه بالاعداد للزواج .. وتم الزفاف بالشروط التى رآها أبى لائقة بمركزه وثروته .. وأقيم الحفل فى فندق كبير توافد عليه رجال الأعمال وخصصت فيه مائدة رئيسية لضيوف الشرف من المسئولين الذين تُنشر صورهم فى الجرائد ، ووقف فخورا بتشريفهم الحفل وتزوجت .. وبدأت حياتى وكلى رغبة فى السعادة وبدء صفحة جديدة فى حياتى ، وعشت شهورا أحاول استشعار السعادة وأبذل جهدا مخلصاً لإسعاد زوجى .. ورفضت أن أنجب قبل أن يستقر بنيان حياتى الزوجية .. ومضى عام من زواجى لم أختلف فيه يوما مع زوجى .. ولم نتشاجر ورغم ذلك فقد فاتحنى زوجى بعد أيام من مرور العام الأول بانه يحس بأن قلبى ليس معه لهذا فهو يرى من الأفضل أن ننفصل صديقين كما بدأنا حياتنا صديقين ووافقته على ذلك وأكدت له أن هذا هو نفس احساسى .. فتم طلاقى بهدوء وعدت إلى بيت أبى مجللة بالفشل وأبى ينظر إلىّ شذراً !

وبعد عام آخر قررت الشركة التى أعمل بها نقل عدد من موظفيها ذوى الخبرة إلى فرع الاسكندرية لبدء نشاط جديد فيه .. فتقدمت سراً بطلب لنقلى إليه .. وفوجىء أبى بصدور قرار النقل وأراد أن يتدخل لإيقافه ، لكن أمى نجحت ربما للمرة الأولى فى حياتها فى إثنائه عن رأى له .. وتوسلت إليه أن يدعنى أسافر إلى هناك لعلى أنسى فشلى فى زواجى ، مؤكدة له انها سترسل معى سيدة للإقامة معى ولحراستى ! ووافق أبى مضطرا وعدت إلى المدينة التى غادرتها منذ ٥ سنوات فتاة تحلم بالسعادة والهناء مع من تحب .. وعدت اليها مطلقة فاشلة تحطمت أحلامها .. وبدأت حياتى العملية بها بجدية .. ولم أسع للاتصال بفتاى السابق .. ومع ذلك فلقد

كنت أحس احساساً غامضاً بأنى سالتقى به من جديد !

ومضت حياتى بين الشركة والبيت .. وانتظار تليفون « التمام » المسائى من أبى كل يوم ، إلى أن وجدته أمامى فجاة ذات يوم ينظر إلىّ صامتاً .. وأنظر إليه بكل لهفة الدنيا وتحدثنا فاخبرنى أنه يعرف بوجودى بالمدينة منذ شهور وأنه لم يحاول الاتصال بى لأنه تزوج عقب زواجى بشهرين من ابنة أستاذه بالكلية لكنه فشل فى المقاومة ، فجاء إلىّ .. ووجدت نفسى أروى له كل ما مر بحياتى منذ لحظة وداعه لى على سلم البيت بالقاهرة .

وتكرر لقاؤنا لعدة أسابيع فروى لى أنه يعمل مع صهره فى مستشفاه وفى عيادته الخاصة .. وأنه حاول جاهدا أن يسعد زوجته لكنها لا تكف عن تذكيره كل يوم بانه لولا أبوها لكان الآن مجرد طبيب بإحدى الوحدات الريفية وأنه بفضله الآن طبيب فى مستشفى وعيادة ويستعد للحصول على الماجستير !

ولم يطل ترددنا بعد ذلك .. فقد أمسكنى ذات يوم من يدى واصطحبنى إلى مكتب ماذون وعقدنا قراننا وعدت إلى البيت زوجة له وليكن ما يكون .. وكان أول ما فعلت هو أن اتصلت بأمى وأبلغتها بالخبر ، وتركت لها مهمة إبلاغ أبى .. ولم يتأخر الانفجار عن موعده فقد جاء صوته فى التليفون بعد قليل يُرعد ويعلننى أنه لن يعترف بهذا الزواج أبدا وأنه سوف يحرمنى من كل شىء .. فلم أزد على أن قلت له من بين دموعى : قل لى مبروك يا أبى لقد تزوجت من الإنسان الوحيد الذى أردته ولم ارتكب جرماً ولم أفعل شيئا يغضب ربى .. وقد جربت حظى مع غيره وفشلت .. ولكن بلا جدوى .. ومثلما يحدث فى ليالى شتاء الاسكندرية حين يرعد الرعد ثم تتلوه العواصف والبروق .. اكفهرت سماؤنا فجاة وعصفت الرياح .. فقد اتصل أبى بصهر زوجى وأبلغه بزواج زوج ابنته منى واستدعى الأستاذ الجامعى زوجى وحاول أن يعالج الأمر فى البداية بالحكمة فابلغه بانه يفهم دوافعه لهذا الزواج ، لكنه يرى أنه فى النهاية مجرد نزوة ولهذا فهو يطلب منه أن يطلقنى بهدوء قبل أن تدمر هذه النزوة حياته العائلية والعملية ومستقبله العلمى .. وحاول زوجى أن يدافع عن نفسه .. ثم توقف حين بدأ صهره يهدده بانه سوف يفقد عمله فى

المستشفى وفى العيادة وسيفقد عونه له فى الحصول على الماجستير .. وبانه لن يجد عملاً له فى هذه المدينـة مادام على قيد الحياة ، وفهم زوجى الموقف جيدا قال لصهـره أنه سيخلى على الفـور مكتبه فى المستشفى وفى العيـادة وسـوف ينسى مـوضـوع الماجستير وسـوف ينسحب بهدوء معترفـا لـه بفضله .. أما عن العمل فإن الأرزاق بيد الله وحده .

وذهب زوجى إلى المستشفى والعيـادة وأخـذ متعلقاتـه الشخصيـة ثم طلق ابنة أستاذه وجاء إلىّ .. فهونت عليه الأمر وأكدت له أن المستقبل ممتد أمـامـه .. وأن راتبى يكفينا نحـن الاثنين إلى أن يجد عملاً آخـر .. وعشنـا حياتنـا رغم ذلك سعداء لكن العـاصفة امتدت لتجتـاحنى أنا أيضـا .. فقد اتصل صهـر زوجى بمـدير الفرع الـذى أعمل به وأبلغه أنى أسىء معـاملة العمـلاء مما يهدد الفـرع بفقـدهم .. وبأنى كنت على عـلاقة بـزوجى قبل الـزواج ولم أتزوجـه إلا بعـد أن افتضح أمـرنا وان ذلك يسـىء إلى مركـز الشركـة .. الخ ، ففـوجئت بإيقـاف عن العمل والتحقيق معى .. ولم أهتـز كثيراً لأنى واثقـة من براءتى .. لكنـى اكتشفت أن نفوذ صهـر زوجى أكبر مما تصورنا .. فالتحقيق الـذى كان من الممكن أن ينتهى فى أيام طال بفعل فاعل لكى يستمـر مفتوحا إلى ما لا نهاية ويسىء إلى سمعتـى ومركزى .. ولم يترك زوجى مكانـا فى الثغر لم يذهب إليه بـاحثا عن عمل ، وكلما ذهب إلى مستشفى خاص أو إلى عيـادة تلقاه المسئول بالترحاب فى البـداية وطلب بيانـاته ووعده بالـرد خلال أيام .. ثم تمر الأسابيع ولا يتصل بـه أحد .. وأبى اغلق أبواب رحمته نهائيا فى وجهى فـلا اتصـال ولا سؤال ، وقد حرّم علىّ أمى وشقيقىّ الاتصـال بى .. وكلما اتصلـت أنـا بـه تليفـونيـا وسمع صـوتى وضع السماعـة بهدوء رافضـاً أن يستجيـب إلى نـداءاتى لـه بأن يسمعنى .. مجرد أن يسمعنى قبل أن يغلق « السكة » .

ومازلت أنـا وزوجى نعيش على ما بقى من مـدخراتنـا لكن هذه ليست المشكلة .. وإنما أسألك مـا جريمتنا يـاسيدى لكى يقـاطعنى أبى .. هكذا وبلا رحمة ومـا جريمتنا لكى يتعرض زوجى لكل هـذه الحرب الشرسة فى رزقـه وعملـه ومستقبله العلمى وأتعـرض أنـا معـه لنفس الحرب فى عملى ومستقبلى .

اننى رغم كل شىء أحب أبى .. ولا أريـد منـه شيئا ولا « أنتظـر » إلى

ما لـه ولا أنتظره ، لكنى أريـد عطفه وحنـانه واعترافـه بى كابنـة وزوجة لشاب شريف طيب يتفانى فى اسعادى . ويكفينا أننا نتنفس الحب والتفاهم والرضـا ، وحين نلتقى بعد يـوم طويل مفعـم بالخيبة فى العثـور على عمل لزوجى وبالمضايقات والهمسات التى أسمعها فى عملى الذى مازلت موقوفة عن ممـارسته ، ننسى كل مـا لاقينـاه من أهوال فى يـومنـا ولا نتذكـر إلا سعادتنا وحلمنا القديم الذى تحقق بعد كل هذه المعاناة .

فماذا يُغضب الآخرين منا فى ذلك ياسيدى .. وماذا نفعل لكى نعيش فى سـلام ونمارس حقنـا فى الحيـاة .. بـلا حـروب فى الـرزق والمستقبل .. وبلا ضغوط نفسية من جانب أبى ؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

لكل اختيـار فى الحيـاة تبعـاتـه التى نتحملهـا راضين بها لأنها جـزء لا يتجزأ من هذا الاختيـار .. فمادمنا قد اخترنا بملء ارادتنـا حياتنا ونحن نعرف تمامـا ما سوف نـؤديه من ضريبة لهذا الاختيـار فليس من حقنا أن نشكو منها .. أو نستهولها .

وكما أن للشقاء ضحـاياه .. فإن السعادة أيضاً قـد يكون لها فى بعض الأحيان ضحـايا هم هؤلاء الـذين نختار نحن سعادتنا على حسابهم .. فإذا مـا تحركوا ضـدنا دفـاعا عن أنفسهم أو ثاروا منـا فليس علينا سـوى أن نصبر ونحتسب ونلتمس لهم بعض العذر فيما يفعلون ثم نأمل بعد ذلك أن يداوى الـزمن كل الجراح .. وأنتما الآن ياسيدتى فى قلب العاصفـة وفى قمة هيـاجهـا .. وأفضل مـا تفعـلان هـو أن يتشبث كل منكما بـالآخـر حتى لا تقتلعكما رياحهـا الهوجاء إلى أن تهدأ وتخمـد بعد حين ، فلكل عـاصفة مهما طـالت نهاية .. ولكل حـرب مهما كانـت ضاريـة من يوم تضع فيـه أوزارهـا ، وينصرف بعده كل إنسـان إلى حياتـه الخاصة .. وكل أملى هـو الا يكون لزوجك من زوجته الأولى أطفال يـدفعون ثمن هذا الاختيار طوال العمر .. لكى تصفـو لكما الحياة بلا مـرارات .. أما أبـوك فلا تيأسى من محاولة استرضـائه إلى أن يرضـى ذات يـوم ولسوف يفعل لـو كان ذا قلب حكيم بعد أن لمس بالتجربة المريرة كيف أشقاك برفضـه المتعسف لفتاك من البـدايـة ، وبإصراره على تـزويجك وفقـا لاعتبـاراتـه هـو وبغير حسـاب لـلاعتبـارات الخاصة بك أنت .. ولو أوتى من الحكمة شيئاً قليلاً لما وقف

دون أحلامك منذ البداية ، ولعرف أن من تختارينه ويختارك هو أنسب الأشخاص لمشاركتك رحلة الحياة ، مادامت معايير الاختيار السليمة متوافرة فيه ، ومادمنا قد رضينا خُلقه ودينه كما أمرنا بذلك الرسول الكريم .. ومن عجب أن بعض الآباء خاصة من ذوى الثراء يتجاهلون هذه الحقيقة مع انها قديمة قدم التاريخ بل وأقدم منه ايضا . ففى نشيد الإنشاد بالتوراة رفضت راعية الغنم سليمان الحكيم وتاجه وعرشه لأنها كانت تفضل عليه راعيا اختارها واختارته .. أما سليمان الحكيم فقد كرهته لانه اختارها ولم تختره .. وأما راعى الغنم فقد تغزلت فيه فى نشيد الإنشاد غزلا يعجز خيال الشعراء عن تصوره .. وقالت عنه عبارتها الشهيرة « حبيبى مد يده من الكوة فأنَّت عليه أحشائى » فإذا أنَّت « أحشاء » الفتاة على فتى ترضى دينه وخُلقه وتتوافر فيه الحدود الدنيا من التكافؤ معها .. فلماذا نقف فى طريق سعادتها المشروعة معه ؟ ولماذا ندفعها إلى الزواج منه بغير وليِّها ـ وهو جائز بالمناسبة عند فقهاء الحنفية ـ وأولياؤها على قيد الحياة وأَوْلى بشهود زواجها ومباركته ، فقولى كل ذلك لأبيك ياسيدتى .. ولسوف يرجع إلى نفسه ذات يوم .. وربما تَفكَّر فى دلالة ما حدث ورضى به تكفيراً له فى الدنيا عن خذلانه لأبيه الشيخ حين جاء يتشفع عنده فى خطبتك لابن صديقه فلم يرع له حقا .. وأحرجه أمام صديقه وابنه بهذه الطريقة الأليمة .

ولعله يعفو إذن عن خروجك على طاعته سداداً لدين أبيه هذا عنده .. ولعله عرف بذلك أن الحياة ديون .. وأنه قد جاء وقت سداد هذا الدين لأبيه ، لأن « من عقَّ أباه عقه ولده » كما جاء فى الحديث الشريف .. كما لعلك انت أيضا تعرفين ذلك فلا تقصرى فى استرضائه إلى أن يعفو عن خروجك على طاعته . أما زوجك فليواصل الكفاح إلى أن يجد عملاً آخر ، وليعتصم بالصبر على ما يناله من أذى صهره وليتجنب استثارته مهما فعل .. فلقد آثر سعادته على حساب ابنته وعلى حساب أبيها أيضا وهو أستاذه وصاحب فضل عليه ، وليُؤد حقوق زوجته الأولى كاملة وبلا مماطلة وباقصى كرم تسمح له ظروفه .. وعليك أنت ايضا أن تساعديه فى ذلك .. لكى تندمل الجراح وتهدأ النفوس .. وتشرق عليكما السماء ذات يوم قريب صافية بلا غيوم ، إن شاء الله .

●● بعد ٣ شهور ●●
هدوء العاصفة !

لا أعرف هل تذكرنى أم لا ، اننى السيدة التى كتبت لك رسالة منذ أكثر من ٣ أشهر تحت عنوان « قلب العاصفة » وتفضلت بإبداء الرأى والمشورة فى قصتى علىّ بأن لكل اختيار فى الحياة تبعاته التى ينبغى أن نتحملها راضين بها وقلت لى أننا الآن فى قلب العاصفة وقمة هياجها وأن أفضل ما نفعله هو أن يتشبث كل منا بالآخر لكيلا تقتلعه الرياح الهوجاء إلى أن تهدأ العاصفة ولابد أن تهدأ بعد حين وتمنيت الا يكون لزوجى أطفال من زوجته الأولى يدفعون ثمن اختيارنا لسعادتنا على حسابهم حتى تصفو لنا الحياة بلا مرارات وطالبتنى بالا أياس من محاولة استرضاء أبى إلى أن يرضى ذات يوم، واليوم اكتب لك لأشكرك على نصائحك التى عملنا بها وشدت من ازرنا ولأطمئنك إلى أن زوجى لم ينجب من زوجته الأولى أطفالا والحمد لله ولأزف إليك بشريين سعيدتين فى حياتنا .. الأولى هى أنى حامل فى شهرى السادس وأن الطبيب قد أخبرنى أننى سأرزق بتوءم ان شاء الله ، والثانية انه بعد نشر الرسالة قراها طبيب فاضل يملك مستشفى فى الدولة التى يدرس بها شقيقاى وعرف منهما اننى شقيقتهما فأبدى استعداده لان يوفر لزوجى عملا فى مستشفاه وأن يساعده فى دراسته العليا وبالفعل ارسلنا أوراق زوجى إليه .. وسوف يتسلم عمله خلال أيام بإذن الله لكنى لم اشأ ان أكتب إليك بهذه الأخبار السعيدة إلا قبل سفرنا من مصر بيومين خوفاً من أن يعرف صهر زوجى أو أبى بالخبر عند نشر الرسالة فيحاولان منعنا من السفر بطريقة أو بأخرى ، وقد تعلمنا مما تعرضنا له من أهوال خلال الشهور الماضية أن نتعلم الحذر ، وأن نفوذ صهرى أكبر مما كنا نتصور ، وحين يصل إليك خطابى هذا نكون قد حططنا الرحال فى بلاد الغربة غريبين فى بلاد غريبة ــ كما يقولون ـ لكن الحب يجمعنا .. والأمل يضىء قلوبنا بحياة هادئة سعيدة وقد قررنا أن نؤدى العمرة شكرا لله بعد ولادتى بإذن الله أما أبى ياسيدى فقد عملت بنصيحتك وحاولت بشتى الطرق كسب وده لكنه أصر على الا يعترف بزواجنا والا يسمع لى او يفتح لى باب الرحمة وظل طوال الشهور

الماضية يضع سماعة التليفون بغير كلمة واحدة بمجرد أن يسمع صوتى ولا يرد على خطاباتى وتوسلاتى له بأنى لا أريد شيئاً سوى حبه ورضاه وهانذا أغادر مصر هاربةً منه ولا يدرى إلا الله متى نعود إليها لكن وكما قلت لى فى ردك يجب علىّ أن أتمسك بزوجى حتى لا يفقد كل منا الآخر بعد أن فقدنا من فقدنا ، وسوف أواصل الكتابة إليك من الخارج لأطمئنك على أخبارى .. وأطمئن منك أيضا على أخبار مصر وفى النهاية أجد نفسى عاجزة عن شكرك لكن لى عندك طلبا آخر هو أن توجه كلمة لأبى ليصفح عنى ولا يقطع ما بينى وبينه إلى الأبد فأنا ابنته مهما حدث وأحبه مهما فعل معى ولن أكره شيئا فى الحياة أكثر من أن يجىء اليوم الذى يسألنى فيه أطفالى عن جدهم فلا أدرى بماذا أجيبهم به ، وختاما لك سلامى وتحيتى .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ما نحصل عليه بثمن رخيص ننظر إليه غالبا بدون اهتمام أما ما نحصل عليه بالثمن الغالى فهو وحده الذى يستحق البقاء والاهتمام والتكريم هكذا كتب ذات يوم الكاتب الانجليزى توماس بين .. وهى كلمة صادقة تنطبق بدقة على قصتك وعلى مواقف كثيرة فى الحياة ، ولقد كانت العواصف الهوجاء التى هبت عليكما جزءا من هذا الثمن الغالى الذى حصلتما به على سعادتكما لهذا فهى جديرة بالاهتمام والرعاية والاستمرار لكيلا تذهب معاناتكما بلا طائل ، واستمرار جفاء أبيك لك بعد كل ما جرى هو أيضا جزء من هذا الثمن الغالى .. وإن كان باهظاً وقاسياً ولا مبرر لاستمراره . لقد هدأت حدة العاصفة من حولكما .. لكنها لم تخمد نهائيا بعد ، لا تنسيا أبدا ياسيدتى هذا الثمن الغالى لكى تدركا دائما قيمة السعادة وأهمية استمرارها وحمايتها من صدأ الاعتياد وفتور الأيام .

أما أبوك فلا تكفى مرة أخرى عن محاولة استمالته واسترضائه ولا تفقدى الأمل فى ذلك مهما أبدى تجاهك من جفاء .. واكتبى إليه من الخارج فى كل مناسباته العائلية وفى الأعياد ، وابعثى إليه بصورة طفليك القادمين بإذن الله لعلها تحرك مشاعره وتذكره بما يحاول عبثا تجاهله وهو أنك ابنته وأنه أبوك مهما صنعت تصاريف الأيام ، ولا تتوقفى عن

الكتابة إليه ولو لم يرد على رسائلك لأنك إنما ترجين رضاء ربك قبل رضائه ولابد أن يلين قلبه ذات يوم . والكلمة الوحيدة التى أوجهها له بناء على رغبتك هى : ياسيدى لقد قضى الأمر وتزوجت ابنتك على سنة الله ورسوله وهى تنتظر الآن طفلين سيجيئان إلى الحياة بعد أسابيع . وهى لن تتخلى عن زوجها الذى اختارته وسارت معه على طريق الأشواك وتوثقت روابطها به بالحمل فماذا يجدى الآن إصرارك على قطيعتها سوى أن تحرم نفسك من ابنة تتحرق شوقاً إلى رضائك عنها ولا تطلب منك شيئاً سوى ذلك ؟ ياسيدى إن العدل والرحمة والحكمة تطالبك بألا تغلق أبواب قلبك فى وجه ابنتك .. وبألا تقطع ما بينك وبينها ، فلقد أطاعتك ابنتك فى زواجها الأول الذى تم بمعاييرك أنت فشقيتْ به ، ثم تزوجت على غير ارادتك بمن أرادته منذ البداية وأعيتها كل الحيل فى اقناعك به ، فسعدتْ معه وحملت منه ولم يفرق بينهما شىء .. وأقدمت على ذلك لأنها كانت تعرف جيدا أنها لن تحصل على موافقتك مهما فعلت .. وهى تعترف لك بأنها أخطأت فى ذلك لكن عذرها أنها لم تستطع أن تدع فرصة السعادة تفلت من بين يديها مرة أخرى .. فهل يستحق ذلك كل هذا العقاب القاسى ؟ وألا تحن إليها وتئن عليها أحشاؤك كما تحن هى إليك وتئن عليك أحشاؤها ؟ ياسيدى ان قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بمن يعنيهم أمرنا وبمن يمثل لهم رضاؤنا عنهم أو جفاؤنا لهم شيئا ذا قيمة فلماذا تريد أن تحرم نفسك من ابنة شابة سعيدة فى زواجها ومن ابن شاب جديد « زوجها » ويحمل لك مشاعر الاحترام والتهيب ويتحرق لنيل قبولك ورضاك ومن أحفاد صغار سوف يأتون من عالم الغيب فيمثلون امتدادك وتواصلك مع الحياة؟ هل حقا تريد أن تحرم نفسك من كل هذه « النعم » التى يتلهف غيرك على بعضها ؟

ومن تعاقب سوى نفسك إذا أصررت على أن تحرمها من كل ذلك ؟ ياسيدى ان الله يغفر الذنوب جميعا فكيف لا تتسع رحمتك لما فعلت ابنتك بعد كل ما جرى ؟

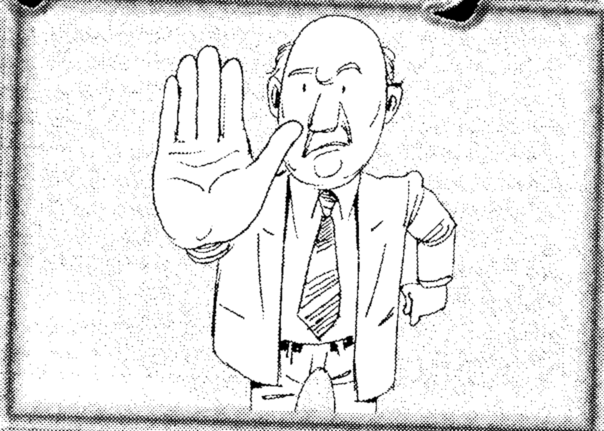
اننى انصحك بأن تترقب أول رسالة تصل إليك من ابنتك .. وتعلن صفحك عنها لكى يهدأ خاطرك وتصفو حياة ابنتك من الكدر .. وتهنأ قلوب أمها وشقيقيها وزوجها ويتضاعف احترامك انت فى عيون الجميع .

فهل تفعل ذلك حقا ؟!

٩

٣٠ قصة حب واقعية

سنوات الانتظار



أنا فتاة فى السادسة والعشرين من عمرى، نشأت فى أسرة بسيطة بين أب يعمل موظفا بإحدى الوزارات، وأم طيبة مغلوبة على أمرها، وثلاثة من الأشقاء.

ومنذ طفولتى أدركت أننا نعيش حياة غير هادئة، فأبى شديد العصبية ويثور لأتفه الأسباب، وكثيرا ما كان يضربنا قبل ذهابنا للمدرسة.

ومنذ طفولتى أدركت أيضا أنه يكافح لإعالتنا وتعليمنا وأنه يعمل عملا آخر فى المساء ليحاول تلبية مطالبنا.

ورغم ظروف حياتنا البسيطة فقد واصلنا جميعا دراستنا بتفوق، وبلا مشاكل، وكنت أنا بالذات متفوقة فى دراستى، وكان تفوقى يسعد أمى دائما، أما أبى فكان يعتبره شيئا طبيعيا، ومضت بنا رحلة الأيام.. وبدأ الخطاب يتقدمون لى وأنا مازلت طالبة بالمرحلة الثانوية، وحاولت أمى الطيبة أن تحثنى على قبول أحدهم لكى يكون لى بيت مستقل أنعم فيه بالراحة والسعادة والأمان، لكنى كنت أتطلع لأن أستكمل تعليمى العالى وأعمل.

وفى إحدى الاجازات سافرت لزيارة أقارب أمى فى بلدتهم، فالتقيت فى بيت خالتى بشاب تجمع ملامحه بين الرجولة والوسامة والوقار، وقدمته خالتى لى، فإذا به حفيدها الذى كنا نلعب معه ونحن أطفال صغار ثم فرقت بيننا الأيام فلم أعرفه حين رأيته ذلك اليوم، وتذكرت حين رأيته أننى قد سمعت الكثير عن التزامه الخلقى وطموحه لدراسة الطب، وكان حينذاك طالبا فى الثانوية العامة، وتكررت اللقاءات العائلية فوجدتنى شديدة الارتياح إليه، وفوجئت بخالتى الصغرى بعد أيام تفاتحنى برغبته فى خطبتى من أبى على أن يتم الزواج بعد بضع سنوات، حيث أن أباه ميسور الحال وقد أعد له شقة مستقلة وجاهزة ولا يمانع فى خطبته قبل أن ينهى دراسته، ووعدت خالتى بالتفكير فى الأمر، وبعد يومين صارحتها بميلى إليه وترحيبى به حين يصبح قادرا على التقدم لأبى، وسعد هو بموافقتى وتعاهدنا على الارتباط فى المستقبل، وتكررت المناسبات العائلية التى

تجمعنا، لكن حلم الارتباط اصطدم بعقبة خطيرة هى رسوبه فى الثانوية العامة ثلاثة أعوام متتالية، حتى اضطر لتغيير مساره التعليمى وانتقل إلى مدرسة فنية متوسطة، وشعرت أنا بما قد يعترض مشروع ارتباطنا من عقبات إذا التحقت بكلية الطب كما كنت أتمنى، فصارحته بعد حصولى على الثانوية العامة بأننى لن ألتحق بها حتى لايعترض أبى عليه بحجة أنه خريج مدرسة متوسطة وأنا مشروع طبيبة، لكنى فوجئت به يرفض ذلك بإصرار شديد ويهددنى بالاختفاء نهائيا من حياتى إذا أحجمت عن كتابة كلية الطب كأول رغبة لى فى استمارة مكتب التنسيق، وأحسست بجدية تهديده فاستجبت لرغبته والتحقت بكلية الطب، ونجح هو فى الحصول على دبلوم المدرسة الفنية، ونجحت أنا فى السنة الأولى بكليتى، وعرض على أن يتقدم لأبى، لكنى طالبته بالانتظار حتى يجد عملا حتى لايرفضه أبى، وفى هذه الأثناء تقدم لى خطيب عمل بدولة عربية لمدة ١٤ عاما وحاصل على دبلوم فنى ولاميزة له إلا أنه جاهز ماديا، ووجدت أبى لايمانع فى ارتباطى به فاضطررت لمصارحته برغبتى فى ابن خالتى، فإذا به يثور على ثورة عارمة ويعلن رفضه القاطع لهذا الارتباط.

لكن عمى الحبيب — رحمه الله — تدخل بيننا وشهد لفتاى بحسن الأخلاق ولأسرته بالطيبة، فاعترض أبى عليه بحجة أنه لايحمل سوى الدبلوم الفنى وبأننى سأصبح فى المستقبل طبيبة، واقترحت أمى حلا للإشكال أن يلتحق فتاى بالجامعة المفتوحة ليرضى به أبى، وقبل هو بهذا الحل على مضض وهو يتشكك فى قوة إرادة فتاى على الالتحاق بالجامعة والحصول على شهادتها، ولم أغضب من أبى لموقفه هذا واعتبرت تشدده فى مسألة الجامعة حرصا أبويا منه على تجنيبى مشاكل الفارق بينى وبين زوج المستقبل فى المستوى التعليمى، وكان الاتفاق هو أن يلتحق فتاى بالجامعة المفتوحة ويقضى بها عاما دراسيا ثم تتم الخطبة، وتوجه فتاى بالفعل للالتحاق بالجامعة فإذا به يكتشف أنه لايستطيع الالتحاق بها قبل مرور ٤ سنوات أخرى على حصوله على شهادته لأنها لاتقبل إلا الحاصلين على الثانوية وما يعادلها منذ ٥ سنوات على الأقل.

وتصورت أن فتاى سييأس منى وينصرف إلى طريق آخر مادام أبى يرفض باصرار أن يوافق على خطبتى له إلا إذا التحق بالجامعة، لكن فتاى تمسك بى وطالبنى بالانتظار هذه السنوات الأربع حتى يحق له الالتحاق

بالجامعة ، واعتصمنا بالصبر والأمل .

وواصلت دراستى وانتظرت تحسن الأحوال، وفى خلال هذه السنوات الأربع توفى والد فتاى واستغرق دين البنك لمشروع فاشل كان قد بدأه معظم تركة الأب فساءت أحواله المادية، لكنه لم ييأس وظل يكافح ليجد فرصة عمل فى الخارج، حتى سافر بالفعل وعمل ليلا ونهارا فى إحدى الدول العربية لمدة عام ليجمع تكاليف الزواج ورسوم الجامعة المفتوحة، ثم رجع وتقدم لاختباراتها والتحق بها، وبقى أن أعطيه الإشارة الخضراء لكى يتقدم لخطبتى، وفاتحت أبى فى الأمر فما أن علم بأنه قد التحق بالجامعة حتى ثار على ثورته الكبرى واعتبر رغبتى فى الارتباط بهذا الشاب تحديا له، وأعلن لى رفضه النهائى لهذا الشاب حتى ولو حصل على سبع شهادات جامعية !

لماذا يا أبى ؟ بكيت أمامه وتوسلت إليه.. وناقشته.. وسألته لماذا يريد أن يحرمنى ممن اختاره قلبى وتحمل الصعاب والأهوال، كل هذه السنوات لكى يجتمع شملنا معا؟، فلم يقدم لى جوابا سوى أننى قد اخترته بإرادتى وأنه ليس «بصمجيا» حتى يبصم على اختيارى، وإنما هو رجل وأب مسئول وله شخصيته وإرادته المستقلة وسوف يختار لى من يراه مناسبا ؟

وأبكى من جديد وأقول له اننى قد انتظرت إلى جوارك أربع سنوات كاملة حتى تحقق الشرط الذى اشترطه على فتاى أفلا تكفى أربع سنوات يا أبى ؟! فلا يجيبنى إجابة شافية .

اننى يا سيدى لا أريد أن أغضب أبى ولا أسمح لنفسى أن أخرج على طاعته مهما حدث وأقول لنفسى دائما يكفيه أنه أنجبنى وأطعمنى وسقانى وأنفق علىّ وتكفل بتعليمى حتى أصبحت طالبة بالسنة النهائية بكلية الطب.. ولايمكن أن أتزوج بغير رضاه ومباركته، ولقد توفى عمى الحبيب منذ شهرين ولو كان على قيد الحياة لدفع عنى ما أواجهه الآن.. فماذا أفعل ياسيدى لكى يرضى أبى عن اختيارى لشريك حياتى ويجمع بينى وبينه فى الحلال ؟

اننى أبكى له كل يوم وأتوسل إليه وهو لايغير رأيه ولا يرق لى، ولقد قرأت لك مرارا أنك لاتنصح الأبناء بأن يخرجوا على طاعة أبويهم ليتزوجوا ممن اختاروا إلا إذا استنفدوا كل وسائلهم لاسترضاء الأبوين ونيل موافقتهما.. وإلا إذا كان تعسف الآباء واضحا وضوح الشمس ولاسند له

من شرع ولادين، وإلا إذا أعيتهم كل الحيل معهم وأنا يا سيدى أتساءل أليست سبع سنوات من الارتباط العفيف الشريف كافية للتأكد من أن اختيارى لشريك حياتى هو الاختيار النهائى بالنسبة لى، وهل من العدل أن أضحى بمن ينتظرنى ويتمسك بى منذ سبع سنوات ومن جاهد جهاد الأبطال ليحسن ظروفه ويلتحق بالجامعة من أجلى.. ومن هو مستعد لأن يفعل أى شىء وكل شىء لكى يجتمع شملنا ؟

اننى أدعو ربى كل يوم وأقول «اللهم أغننا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك، واجمع بيننا فى الحلال واسعدنا بحياتنا حتى يتعجب لنا خلقك أجمعون» لكن أبى يضعنى أمام خيارين قاسيين جدا، هما أن أرفض هذا الشاب، أو أن أذهب إليه وأتزوجه وأقيم فى بيته ولن يشهد لى زواجا ولن يدخل لى بيتا .

فهل يرضيك هذا يا سيدى ؟ لقد اتفقنا وبعد أن أعيتنى كل الحيل على أن نحتكم إليك ، ولهذا فإننى أرجوك أن توجه إليه كلمة ترجوه فيها الا يعذبنى أكثر مما تعذبت وأن يرحمنى مع رجائى الحار لك ألا تجرحه بكلمة والا تقسو عليه لانه أبى ولاننى أحبه رغم ما أنا فيه من موقف صعب كما أحب أمى وأخوتى ، لكنى فى نفس الوقت لا أريد أن أغدر بمن ينتظرنى منذ سبع سنوات ، وكل ما أرجوه من أبى هو أن يوافق على عقد قرانى عليه بدون زواج قبل أن يسافر للعمل فى دولة عربية ويقضى عاما آخر طويلا قبل عودته.. فهل يرق لى قلب أبى ويقبل بذلك، وإذا كان يخشى علىّ من الفارق الاجتماعى فارجو أن تقول له أن الحب الحقيقى لايعوض بمال أو مركز اجتماعى، وأن فتاى سيحقق نجاحه فى الجامعة بإذن الله وسيصبح إنسانا أفخر به أمام الجميع ، فهل تفعل ذلك من أجلى يا سيدى ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

حرصك على الا أجرح مشاعر أبيك بكلمة فى ردى على رسالتك والتزامك طاعته وعدم الخروج على ارادته رغم ما تلاقينه يشهد لك بانك ابنة طيبة متدينة تعرف حقوق أبيها عليها وترعى حدود ربها فى التعامل معه. لهذا فلست فى شك فى أنك تتفهمين جيدا دوافع أبيك لمعارضته فى هذا الزواج.. وتسلمين له بحسن نيته فيها، وبانطلاقه فى ذلك من حرصه على ما يراه محققا لصالحك وسعادتك كما يراها هو، وليس من هذه الأسباب

ما يصارحك به من تبرير شكلي لموقفه وهو انه يعتبر اختيارك لهذا الفتى تحديا لإرادته لايقبل به لأن له شخصيته المستقلة. فالحق أنه يعترض على فتاك لأسباب موضوعية أخرى هى أنه لايراه أهلا لك، ويتصور أن الفارق فى المستوى التعليمى بينكما سوف ينعكس سلبيا على حياتك معه إذا تزوجتما، ومن حق أبيك أن يبدى تحفظاته على من تختارينه لمشاركته رحلة الحياة، ومن واجبك أن تضعى وجهة نظره فى ذلك، موضع الاعتبار والاحترام، وأن تحاولى إقناعه بانه لامبرر لتخوفه من هذا التفاوت الثقافى، مادام الفتى يجدُّ فى رفع مستواه التعليمى والثقافى، ويجاهد لكى يحصل على شهادة جامعية اثباتا لجدارته بك ومادام الوئام والتفاهم يجمعان بينكما.. وهناك تكافؤ عائلى واجتماعى بين أسرتيكما هذا مع تسليم الكثيرين بأن السعادة لاتصنعها شهادات جامعية وإنما يحققها الوئام والحب العميق والاحترام المتبادل، والرغبة المشتركة فى اسعاد كل طرف للآخر .

وبعد ذلك فإنى أهمس فى أذن أبيك متذكرا رجاءك لى ألا أقسو عليه فى ردى، فأقول له أن تعارض وجهات نظرنا كآباء مع وجهات نظر أبنائنا فى اختياراتهم لحياتهم الشخصية أمر وارد دائما لانه من سنة الحياة وينبغى ألا ننزعج له أو أن نعتبره تحديا لارادتنا، يتطلب منا اتخاذ موقف العناد الصارم منهم حتى يتنازلوا عن وجهات نظرهم.. فلكل جيل آراؤه وتصوراته لما يحقق له السعادة، وليس من الحكمة أن نفرض نحن على أبنائنا تصوراتنا لما نراه محققا لسعادتهم فى حين يتمسكون هم بتصورات أخرى لها خاصة إذا كانت قابلة للمناقشة وليست خارجة نهائيا على أحكام العقل وكل ما نحن مطالبون به حين نواجه هذا التعارض هو أن نتحاور معهم ونشرح لهم أسبابنا وحججنا ومبرراتنا لما نراه الأنفع والأصلح لهم، فإذا قبلوا بوجهة نظرنا سعدنا بالتقاء رؤيتنا للحياة مع رؤاهم، وإذا رفضوها على استحياء وتمسكوا باختياراتهم ورجونا أن نمنحهم تاييدنا لما اختاروه لأنفسهم فمن الرحمة أيضا ألا نحرمهم من التأييد والمباركة حتى ولو لم نسعد أو نرض تماما بما اختاروا لأنفسهم مادام لايتعارض مع الشرع والدين ولاينفر منه العقل نفورا صارخا .

ولا عجب فى أن تتعارض بعض وجهات نظرنا مع بعض وجهات نظر أبنائنا، «فالمعارضة نصف الحق» كما يقول أستاذنا الراحل مصطفى

صادق الرافعى، وليس هناك فى النهاية يقين لا يأتيه الباطل من أمامه أو من خلفه ، إلا إذا كان وحيا يوحى، وكل وجهات نظرنا ورؤانا قابلة للخطأ وللصواب، فلماذا لانسلم لأبنائنا الراشدين إذن بحقهم فى اختيار حياتهم وهم فى النهاية الذين سيعيشونها ويحصدون ثمارها سواء أكانت طيبة أومريرة؟ نعم نحن نسعد بسعادة أبنائنا ونشقى بشقائهم وقد نعارضهم فى بعض اختياراتهم إشفاقا عليهم من تعاسة متوقعة.. وعلى أنفسنا أيضا من أن نشقى بتعاستهم. لكن ماذا نملك لهم إذا تمسكوا باختياراتهم للنهاية ورأوا فيها سعادتهم ورأوا فى موقفنا نحن منهم تجنيا عليهم وحرمانا متعسفا لهم من هذه السعادة؟ اننا لانملك لهم فى النهاية إلا النصح والارشاد فإن لم يستجيبوا لما نصحناهم به ، بطالبنا البر بهؤلاء الأبناء أن نهبهم حقهم العادل فى أن يخوضوا تجربتهم فى الحياة ويتحملوا تبعاتها، ونحن نتمنى لهم فى أعماقنا أن تثبت لهم تجربة الحياة خطأ ظنوننا.. وصدق رؤيتهم، فما عارضناهم فى البداية إلا طلبا لسعادتهم.. فكيف لانسعد بسعادتهم إذا أثبتت تجربة الأيام خطأ ظنوننا فى اختياراتهم؟

ان ابنتك يا سيدى ليست فتاة مراهقة فى السابعة أو الثامنة عشرة من عمرها، وانما هى فتاة ناضجة العقل والمشاعر فى السادسة والعشرين من عمرها، وطالبة نابهة فى نهائى كلية الطب. ومثلها لايمكن اتهامها بالخفة أو التهور أو تقلب المشاعر أو الانخداع بوهم الحب العارض فلقد امتحن حبها لفتاها وحب الفتى لها باختبار الزمن الذى لاتصمد له إلا المشاعر الحقيقية، وبالعقبات العراقيل سبع سنوات.

ومازال اللهب مشتعلا فى مدفأة الحب.. ومازال الاصرار يغذيه كل يوم بزاد جديد فأى دليل آخر تريده على صدق تمسكها بفتاها وصدق تمسك هذا الشاب بها ؟

انه ليس اختيارا عشوائيا ولا عارضا ، وانما اختيار مصيرى ونهائى صمد لاختبار الزمن سنوات طويلة كانت كفيلة بأن تحول كلا منهما عن الآخر، لوكانت المشاعر هوائية أو غير مستقرة .

فلماذا تعذبهما بالتفريق بينهما يا سيدى فى غير طائل ؟

إن ابنتك تناجى ربها كل ليلة وتدعوه أن يجمع بينها وبين من تحب فى «حلاله» الذى يغنيها عن «حرامه».. فماذا تنتظر لكى تجمع شملهما فى

طاعة الله وطاعتك ، وليس فى غيرهما ؟

ألا يرق قلبك كأب وكإنسان لمثل هذه المناجاة التى يذوب لها الحجر؟ أولا تعلم أن الجمع بين المحبين فى طاعة الله من أعمال البر وفضائل الصالحين التى يتقربون بها إلى خالقهم، لقد كان سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن على يعطف على المحبين ويرق لهم ويسعى فى الجمع بينهم ويبذل من ماله ما يذلل به ما يعترض طريقهم من عقبات، رحمة بهم وقربى لله سبحانه وتعالى، ولقد تشفع لدى والد «لبنى» أن يقبل زواجها «بقيسها» وخلع نعليه وهو يدخل مضارب أبيها على علو مكانته وهيبته التماسا لنجاح مسعاه الطيب لدى الأب وسجل أمير الشعراء أحمد شوقى وقع هذا التصرف على والد لبنى فقال :

فرآه حافيا فى ساحة الدار فجُنَّا
قال لا أملك يا بن المصطفى بنتا ولا ابنا
أنت فى الدار أميرٌ فبما شئت فمرنا .

فمن تريده أن يسعى إليك حافيا لكى تقبل شفاعته فى ابنتك وترق لها وتقبل بعقد قرانها على من تحب وترغب ؟

ولماذا ترضى لنفسك بأن تقف حجر عثرة فى طريق شابين جمع الله بين قلبيهما طوال سبع سنوات كاملة ويرغبان فى العفاف ؟

بل ولماذا تكرهها إكراها على الخروج على طاعتك وهى من لا ترغب فى ذلك ولا ترضى به لنفسها ولا لك ؟

يا سيدى ليس من البر بالأبناء أن ندفعهم دفعا للخروج على طاعتنا بتعسفنا معهم، ثم ننعى عليهم بعد ذلك عقوقهم لنا وشق عصا الطاعة علينا، وابنتك لاتتحداك برغبتها فى هذا الفتى، ولا تخرج على طاعتك ولا ترضى بأن تختاره عليك. فاعنها على برك بتسامحك معها ومباركتك لمشروع زواجها مهما كان رأيك فيمن اختارته لنفسها، ودع للأيام أن تثبت صحة رأيك أو خطاه «والزمن هو أشرف النقاد» كما يقولون وشكرا لك إن قبلت شفاعتى فى ابنتك.. وليغفر الله لك إن أكرهت ابنتك على غير ما تتمنى لنفسها وترغب، أو إذا خيرتها مرة أخرى بينك وبين من ترى سعادتها وهناءها معه والسلام .

١٠

٣٠ قصة حب واقعية

نداء المجهول



أكتب إليك بعد مرور حوالى عشرة شهور كاملة على ما شهدته حياتى من تغيرات جوهرية وكانت المناسبة التى أهاجت شجونى ودفعتنى للكتابة إليك هى حلول عيد الفطر المبارك قبل أسابيع وأنا فى حال تختلف عنها فى الأعياد السابقة .

فأنا يا سيدى طبيب شاب أبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما، أعمل أخصائيا فى أحد فروع الجراحة بإحدى محافظات الجنوب، وتبدأ قصتى التى أرويها لك وأنا طالب بالثانوية العامة حين تعرفت على أحد زملائى بالمدرسة.. وتوثقت الصداقة بيننا، وزرته فى بيته القريب من بيت أسرتى لأول مرة لتهنئته بعيد الفطر فرأيت فى بيته فتاة صغيرة تلهو ببالونة أطفال كما يفعل غيرها من الصغار فى الأعياد، وعرفت منه أنها شقيقته الصغرى والوحيدة، وأنها تلميذة بالصف السادس الابتدائى..وانتهت الزيارة وغادرت بيت صديقى وأنا لا أفكر فى شىء سوى فى هذه الفتاة الصغيرة ، أو الطفلة التى رأيتها عنده.. وتعجبت من أمر نفسى بعد ذلك طويلا حين وجدتنى مشغول الخاطر بهذه الفتاة الصغيرة التى لاتدرى من أمر الدنيا شيئا، وحاولت رد نفسى مرارا عن التفكير فيها لأنها مجرد طفلة وشقيقة صديقى الحميم، فإذا بى أزداد مع الأيام تعلقا بها وانشغالا بامرها، وأديت امتحان الثانوية العامة والتحقت بكلية الطب ، وحصلت هى أيضا على الابتدائية وانتقلت للمرحلة الاعدادية، وتعلقى بها مازال يغلبنى على أمرى، ولا أعبر عنه سوى بالاهتمام البرىء بامرها وأمر دراستها حين أزور صديقى فى بيته، وازداد اقترابى منها تدريجيا، فتعلقت هى أيضا بى بشدة وبإخلاص شديد البراءة، واعترفت لنفسى بأننى أحب هذه الفتاة الصغيرة حبا يفوق الوصف، وأننى أريد أن تشاركنى رحلة حياتى حتى نهايتها، وقَرَّ عزمى على ذلك بالفعل «فاصطنعتها» لنفسى، وحرصت على أن أغرس فيها كل ما أحب من قيم ومثاليات أخلاقية وعادات وطباع وسلوكيات ووجدت لديها استجابة مخلصة لكل ما أطلبه منها، فاصبحت نموذجا رائعا للإنسانة التى أريد أن أقضى عمرى كله معها، فحتى الكلية

التى التحقت بها بعد حصولها على الثانوية العامة كنت أنا الذى اخترتها لها.. ولقى اختيارى منها كل ترحيب وحماس على الفور، كأنما قد سلمت لى بحقى عليها فى كل شىء حتى فى نوع دراستها، وتخرجت أنا فى كلية الطب وهى مازالت طالبة فى عامها الجامعى الثانى، ومضت الأيام بنا سعيدة وواعدة بكل شىء جميل حتى تخرجت فتاتى فى كليتها وحصلت على شهادة البكالوريوس، وبعد تفاصيل لاداعى للإطالة فيها تم زفافنا، وضمنى أخيرا عش الزوجية «بالطفلة» البريئة التى رأيتها لأول مرة قبل سنوات وهى تلعب بالبالونة فى بيت صديقى!

ولقد كنت أتصور حين بدأنا حياتنا الزوجية أننى أعرف هذه الفتاة كما أعرف جيدا كف يدى، فإذا بالعشرة تكشف لى من شخصيتها ما لم أكن أعرفه من قبل من الخصال الجميلة والروح العطوف النبيلة وطهارة النفس والقلب والسجايا التى يندر وجودها فى هذا الزمان، وفجأة وأنا فى قمة سعادتى بها وسلامى النفسى معها خلال شهور الزواج الأولى، وجدتنى أشعر فجأة بالقلق والخوف من شىء مجهول لا أستطيع تحديده، وحاولت تفسير خوف الغامض هذا بانه بعض الخوف الطبيعى الذى قد يساور الانسان أحيانا إذا اكتملت سعادته، فخشى عليها ألا تدوم أو أن يفسدها عليه الكدر، لكنى لم أستسلم لهذا القلق طويلا وان لم أتخلص منه نهائيا، ومضت الأيام بسلام بى و«بطفلتى» الحبيبة التى راقبت عن قرب كل مراحل نموها الجسدى والنفسى إلى أن جمعنا معا عش الزوجية، وبعد عام من الزواج بدأت حبيبتى الوديعة تشعر بالقلق لتأخر الحمل، وأجرينا الفحوص اللازمة فثبت خلونا نحن الاثنين من أية موانع للانجاب، ورحت أطمئنها إلى ذلك وساعدها إيمانها القوى وصلتها الوطيدة بربها على التسليم بقدرنا. وبعد فترة أخرى بدأت تشعر بآلام الحمل وتعانى من مغص وتقلصات غريبة حاولت أنا وزملائى الأطباء جاهدين أن نعرف أسبابها بلاجدوى، وبعد ثلاثة شهور من الحمل والمعاناة الرهيبة تبين أنه حمل خارج الرحم وفى الأنبوبة اليسرى التى انفجرت وانتهت عملية الاستكشاف التى أجريت لها باستئصال الأنبوبة اليسرى كلها مع المبيض الأيسر، ومضت الأيام بنا بعد ذلك ومر عام آخر دون حمل وبدأ القلق يعاود زوجتى مرة أخرى لأن استئصال المبيض الأيسر يقلل فرص الحمل بنسبة ٥٠٪ فأجرينا لها فحصا آخر بالمنظار فكشف عن أن الأنبوبة

اليمنى أيضا قد حدثت بها التصاقات بسبب جراحة للزائدة الدودية أجريت لها بعد ثلاثة شهور من الزواج، ولكى يحدث الحمل فلابد أن تكون هذه الأنبوبة حرة لتستطيع التقاط البويضة من داخل تجويف البطن ويتم الحمل، فما العمل إذن لكى يتحقق لها أمل الانجاب؟.. لقد كان الحل الذى اقترحه الزميل الطبيب الذى عرضت حالتها عليه هو أن نجرى لها عملية تسليك للأنبوبة بفتح البطن مرة أخرى، وأنا بحكم عملى كطبيب وجراح أعرف جيدا أن أى فتح جراحة لكى يلتئم مرة أخرى فلابد أن تحدث التصاقات مرة ثانية، إذن فسوف ندور فى حلقة مفرغة تتعرض فيها شريكة حياتى لآلام الجراحة وفتح البطن بلا نهاية.. فضلا عن أن أمل الحمل لم يكن فى تقديرى يتجاوز نسبة الواحد فى المائة، فلماذا أعذبها بالجراحات والآلام بلا نهاية؟.. لقد اتخذت قرارى كزوج أولا وكطبيب ثانيا، وطلبت من زوجتى أن تدعها من الطب والأطباء.. وتسلم أمرها لخالقها وحده وأقسمت لها بربى ودينى وإيمانى أن الله سبحانه وتعالى سوف يعطيها ما تأمل فيه وينعم عليها ويهبها ما يرضى نفسها، لأن إيمانها بربها عميق ومتين، ولأنها ممن ينطبق عليهم قول أحد الصالحين رضوان الله تعالى عليهم «إن لله عبادا إذا أرادوا أراد».. ولهذا فلابد أن يهب لمن كان فى صفاء نفسها وطيبة قلبها وعميق تدينها وإيمانها، من يرث أو ترث عنها بعض هذه السجايا الكريمة..

وسلمت زوجتى لإرادتى فى هذا الأمر عن اقتناع وحب ولم تعد للحديث عن الجراحة مرة أخرى، وانصرفنا عن العلاج ومشاكله وأحاديثه.. وبعد حوالى ثلاثة شهور أخرى كنت بالبيت معها فى المساء، وتناولنا العشاء، وبدأت أستعد للنوم، فإذا بها تبلغنى بأن الدورة الشهرية قد تأخرت عنها يومين، وإذا بى أجد نفسى أجيبها بتلقائية وبثقة لاأعرف مصدرها : أنت حامل !

ثم أويت إلى فراشى، واستيقظت كعادتى من نومى بلا منبه لصلاة الفجر فلم أجدها بجوارى فى الفراش، وخرجت من غرفة النوم أبحث عنها فوجدتها فى غرفة أخرى تبكى وتنتحب، وفزعت لمرآها وهدأت من روعها وسألتها عما يزعجها فإذا بها تظننى كنت أسخر منها أو ألومها بطريقة غير مباشرة حين قلت لها بعفوية «أنت حامل»!.. ولهذا فلو كنت أرغب فى الزواج من أخرى لأنجب منها فلن تعترض على ذلك ولن تحرمنى مما أريد،

ولم يكن هذا هو مادار بخلدى لحظة وأقسمت لها على ذلك وعلى سلامة نيتى فيما قلت، وإيمانى به بحدسى وإلهامى، واتفقت معها فى هذه الجلسة حسما لهذا الأمر على ألا نتحدث مطلقا فى أمر الحمل أو احتمالاته لمدة أربعة شهور كاملة من هذه الليلة، حتى ولو علت بطنها بالحمل أمامى وعلينا خلال هذه المهلة أن نترقب ما سوف يختاره لنا الله سبحانه وتعالى ونرضى به كيفما يكون، ورجع إليها صفاؤها على الفور ونهضت معى لأداء الصلاة راضية مطمئنة ومضى شهر آخر فإذا بها تحس بأعراض الحمل وتحاول أن تلفت نظرى إلى ضرورة إجراء فحوص واختبارات للتأكد منه، فرفضت ذلك تماما تمسكا باتفاقنا السابق معا وهو مرور أربعة أشهر كاملة، وبعد مضى هذه المدة أجرينا لها فحصا بالأشعة التليفزيونية فتأكدنا من الحمل، ومن أنه طبيعى جدا.. ولا تسل عن سعادتها ولا عن تألق وجهها بالفرحة والابتهاج والرضا، وزميلى الطبيب يبلغها بذلك، وهى تنتقل بعينها بينه وبينى بحذر طفولى جميل كأنما لاتصدق ما تسمع.. أو كأنما تقول لى بنظرتها أننى قد صدقتها «البشرى» حقا حين ألهمنى الله أن أقول لها ما قلت قبل أربعة شهور!

ومضت أيام الحمل عادية جاءت الولادة ورزقنا الله سبحانه وتعالى بطفل جميل أسميناه «أحمد» تيمنا باسم الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وغردت طيور البهجة أكثر وأكثر فى حياة زوجتى الحبيبة وأصبح لها مع مولودها كل يوم حكاية ترويها لى وهى سعيدة ومبتهجة وتطفر عيناها بالحب والعرفان والرضا، وبعد ثمانية شهور أخرى فقط بدأت تشكو من أعراض الحمل مرة أخرى، ولم أندهش لذلك رغم ضآلة احتمالات الحمل فى ظروفها الصحية، لأن من يتوكل على الله فهو حسبه ولأنها تعرف حقوق ربها حق المعرفة وتتقرب إليه بكل أنواع القربات، ومضت أيام الحمل الثانى أيضا طبيعية وسلسة وبلا مشاكل .

ورزقنا الله بمولودة جميلة أسميناها «أشرقت» لأنها أشرقت بالفعل على حياتنا بالبهجة والرضا والامتنان لله سبحانه وتعالى، وأصبحت «طفلتى» الصغيرة التى أحببتها وهى تلهو ببالونة أما لطفلين جميلين ترعاهما وتحنو عليهما وعلى أبيهما بطبعها العطوف الحنون، وتقدم أحمد فى العمر حتى أكمل عامه الثالث، وتجاوزت أشرقت عامها الأول ببضعة أيام، ثم رجعت من عملى فى الظهيرة ذات يوم منذ حوالى عامين، فإذا بزوجتى تشكو

لى من ألم عارض فى بطنهـا، فلم أتوقف طويـلا أمام هذه الشكوى العـابرة وكنت مرهقا وجائعا فطلبت منهـا الغداء أولا، وبعد ذلك أفحصهـا وأعالجها أو أتخذ القرار المنـاسب لحالتها وتناولنـا الغداء معـا فى هدوء ونهضت من المائدة ورأسى مثقل فأويت إلى فـراشى وغفـوت بعض الـوقت، ثم نهضت من النوم وخـرجت على عجل لألحق بموعد عيـادتى فى المساء، وحين رجعت إلى البيت فى الليل كـررت لى زوجتى نفـس الشكـوى، فتنبهت إلى أننى لم أفحصهـا فى الظهر حين شكت من قبل، وتعجبت لنفسى كيف سهـوت عن ذلك، وكشفت عن بطنهـا لأفحصهـا فما أن ألقيت أول نظـرة عليهـا حتى انقبض صدرى واضطربت اضطرابـا داخليا عنيفـا.. وارتبكت.. وشعرت بأن هنـاك شيئـا غير عـادى ولا طبيعى فى زوجتى، وإذا بـى أيضـا أتمتم بصوت غير مسمـوع قائلا لنفسى وقلبى يخفق بشـدة : «إنا لله وإنـا إليه راجعون» .. نعم يا سيدى تمتمت بهذه الآية الكريمة رغما عنى وبغير إرادة منى حين رأيت بطنها وأحسست بحكم عملى أن حبيبتى وزوجتى وأم طفلىّ ربما كانت تواجـه الآن «المجهول» الذى ساورنى القلق الغـامض بشـأنه فى الأيام الأولى لـزواجنا واكتمال سعادتنا!.. ولم تسمع زوجتى مـا تمتمت به لحسن الحظ، وسألتنى عما قلت فأجبتهـا بأنـــه لاشىء لكنى لم أستطع إخفاء اضطرابى وقلقى عنها، فـراحت هى تهدىء روعى وتطمئننى إلى أن الأمـــر بسيط ولايستحـق هـــذا القلق، لكن هيهـــات أن تنجـح فى ذلك والاحتمالات المخيفة لما رأيت تتراءى أمامى كالنـذير المقبض.. ولن أستطرد طويـلا فى التفاصيل، فلقد أجرينـا الفحوص اللازمة والتحـاليل والأشعات وكل ما يخطر لك على بال، وجاءت النتـائج كلها تؤكد نفس هذه الاحتمالات المخيفة التى اضطربت أمامها بشدة وأنـا أفحص زوجتى فحصا ظاهـريا تلك الليلة الكئيبة .

وطـرقنا كل الأبـواب ياسيـدى وطلبنا كل الـوسائل وحينما تأكـد لى فى النهـايـة أن الأمر قـد حسم، جلست إلى زوجتى وقلت لها بصـوت هـادىء وقلب حزين : يا حبيبة القلب إن أمـرك الآن فيه قولان لاثالث لهما.. فإما أن يمن الله عليك بمعجـزة من عنـده وليست على الله بكثير ولا على مثلك أيضـا بمستبعدة، وإمـا أن يكون الله قد قضى أمـرا لن يطول أكثر من أيـام قليلة وعلينا أن نتقبله بثبات ونسلم به راضين!.. هل تتهمنى بالقسوة حين فعلت ذلك؟.. اننى لم أكن قاسيـا وحاشاى أن أكون معهـا، وهى قرة عينى وأسرة

قلبى منـذ طفـولتهـا، لكنى كنت قـد خبرتها جيـدا وأعـرف عمق إيمانها وصلابتهـا ورضاهـا بكل ما يقدره لها وعليها الحق تبـارك وتعالى، ولهذا صارحتها بحقيقـة الأمر وأنا على ثقة من حسن تقبلهـا له ومن قوة إيمانها، وقـد أجابتنى حين قلت لها ذلك بـأنها قد استراحت الآن فقط وأنها راضيـة بما أراده الله لها لأنه سبحانه قد حقق لها كل ما تمنته فى الدنيا فأحبت أول من نبض قلبها لـه بالحب وتزوجته ومنَّ اللـه عليها بالولـد على خلاف كل التوقعات، وعاشت أجمل السنوات والأيام معى قبل الزواج وبعده، ولم تعد تريـد من الدنيا شيئا سـوى أن أرعى الله فى ابنىّ منها بعد الـرحيل!.. وبعد جلسة المصـارحة هـذه بأيام قليلة أسلمت ــ قرة عينى وحبيبتى ــ الروح وهى بين ذراعى ولم تكمل بعـد الثامنة والعشريـن من عمرها! ومنـذ رحلت عنا زوجتى قبل عشرة شهور وأنا أعيـش على ذكراها وأرعى طفلىّ منها حق الـرعايـة كما أوصتنى بذلك، ورضيـت بما قدره الله لى ودعـوته آنـاء الليل وأطراف النهار أن يجيرنى فى مصيبتى ويخلفنى عنها خيرا .

ورغم قوة إيمانى الـذى أدعو الله أن يثبتـه ويزيدنى منـه، إلا أن منظرا واحدا من صور حياتى مع شريكـة عمرى فى الأيام الأخيرة مازال يلاحقنى فى مخيلتى كل لحظة.. فأضعف أمامـه وتنساب دموعى ويتهمنى بعض من حولى بـالجزع وعدم الصبر، وهـو منظرهـا حين ساءت حـالتها فى أيـامها الأخيرة، حين كانت تنتقل بين غرفـة النوم وغرفة الأولاد لتنـام هنا أو هناك وكان كل ما يشغلها فى ذلك هو قالب الطـوب اللبن الطاهر الذى كانت تتيمم به قبل كل صـلاة.. فقد كان هذا القـالب من الطوب هو كل ما يشغلهـا عند الحركة من مكان إلى مكان ولاشىء سـواه ومازال منظرها وهى تحمله بين يديها وتمشىء ببطء وإعياء من مكـان لمكان محفورا فى مخيلتى ويلاحقنى فى كل لحظة ويسيل دموعى رحمها الله .

ولست أشكـو إليك فجيعتى فيمن أحببت وسكنت إليهـا أجمل سنـوات العمر، أو أشكو إليك أقدارى وحـاشاى أن أفعل ذلك لأن من يعرف ربه حق معـرفته يسلم بكل مـا يقدره عليـه ويـرضى عنه عـالما بأن فى الرضـا كل الشفاء من كل داء وبلاء، فـالله جل شأنه يقدر ما يشاء على خلقـه وتقديره هو الخير بـذاته وان بـدا للإنسـان أحيانـا غير ذلك، لكنى أكتب إليك لأننى أعتبر نفسى صديقـا لك على الورق منذ سنوات طـويلة، وكذلك كـانت قرة عينى وحبيبـة قلبى، وقـد كنـا نتبادل الحديث عن بـابك يـوم الجمعـة كل

أسبوع ونتأمل أحوال الدنيا والبشر فيه.. ونشعر كأننا نعرفك وتعرفنا، وأن صلة ما تربطنا بك وإنى لأشعر الآن بأن من حقى عليك أن أترقب منك مشاركتى فى أحزانى وآلامى، ومواساتى فيما أصابنى بكلمة تعزية.. فهل هذا كثير على يا سيدى ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

من حقك على بكل تأكيد وأكثر يا صديقى، ومن واجبى حقا أن أشاركك بعض أحزانك وأن أخفف عنك قدر جهدى بعض آلامك ..

فالإنسان يحتاج بالفعل لأن يستشعر مشاركة الآخرين له فى أحزانه وتعاطفهم معه واحترامهم لهذه الأحزان على الأقل. ولاشك أن حزنك على شريكة حياتك الملائكية هذه من أنبل الأحزان، وأكثرها استحقاقا للاحترام .

فلا شىء يؤلم كالحب كما يقولون، وليس هناك ما هو أشد إيلاما منه سوى أن تفقده!، كما فقدت أنت شريكة أحلامك وصباك وأيامك فى هذه الظروف المؤلمة. غير أنه لامفر فى النهاية من أن أكرر عليك ما سبق أن قلته مرارا للمحزونين من أمثالك، من «أن من نحبهم لايموتون حقا حين يواريهم الثرى، وانما يموتون بالفعل حين ننساهم» كما يقول لنا الاديب الفرنسى.. ونحن لاننسى من نحبهم حقا ولو غادرونا إلى العالم الآخر، وهم أحياء دائما فى قلوبنا ومخيلتنا وتتراءى لنا فيها صورهم كما تتراءى لك الآن صورة زوجتك الطيبة يرحمها الله، وهى تحمل قالب الطوب الذى تتيمم به من مكان إلى مكان، وترافقنا أطيافنا فى مسراتنا من بعدهم وأحزاننا، فنتمنى لو كانوا معنا فشاركونا افراحنا، وسعدوا معنا أو شاركونا أحزاننا وتساندنا وتعاونا معهم عليها، وهكذا فهم لاينقطعون عنا.. ولا ننقطع عنهم وإن غابوا عن انظارنا أو تفرقت بنا السبل، ومن حق كل إنسان أن «يرعى حزنه الخاص» لفترة كافية على حد تعبير شاعر الهند الحكيم طاغور، لكنه من واجبه أيضا تجاه نفسه وتجاه الحياة ألا تكون هذه الفترة أبدية ولا أطول مما ينبغى، لأن نهر الحياة لابد أن يجرى رغم كل الأحزان فى طريقه المرسوم، ولأن ما كان حزنا بالأمس.. ينبغى له أن يكون سلاما بعد حين .

وهذا السلام هو جائزة الصابرين والراضين بقضاء الله وقدره، والمكافأة السخية التى يحصل عليها من يظفر بهذا السلام الداخلى هو ألا

تقوى على زعزعة سلامه أية عاصفة من عواصف الحياة مهما رافقها من أحزان .

ومن بعض السلوى أن نتذكر بامتنان للخالق الوهاب لا بالحسرة، الأيام الجميلة التى نعمنا فيها بالسعاد والأمان وراحة القلب، وأن نعتبرها زادا نفسيا لنا يعيننا على تحمل أيام العناء، وعمر الانسان فى النهاية إنما يقاس حقا بمساحة السعادة الحقيقية فى حياته وليس بمساحة السنين، ولقد كان الرسام الإيطالى الكبير موديليانى يقول : أتمنى أن أحيا حياة قصيرة بشرط أن تكون حافلة !، وبهذا المفهوم فلربما كانت زوجتك الراحلة رحمها الله قد عاشت «عمرا» من السعادة لم يحظ به بعض من طالت بهم رحلة الأيام.. بل ولعل البداية المبكرة لقصتك معها وهى مازالت طفلة صغيرة تلهو لهو الصغار فى العيد، كانت إرهاصا قدريا، بأن تبدأ السعادة فى حياتها مبكرة، لأن رحلة الأيام لن تطول بها أو ربما لأن «الملائكة» من مثيلاتها إنما تطوف بالارض طوافا عابرا ولا تقيم وإلا فكيف تفسر لى أن يقع شاب مثلك فى هوى طفلة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها على الأكثر، ويعيش معها قصة حب برىء طويلة قبل أن يحتويهما عش الزوجية السعيد خمس أو ست سنوات هانئة، إلا إذا كان ذلك إرهاصا قدريا بتبكير البدايات إيذانا باقتراب النهايات القدرية ؟

لهذا فلقد كانت صادقة فى مشاعرها حين قالت لك إنها راضية بأقدارها لانها قد نالت من الحياة كل ما تشتهى من سعادة، ولا بأس بأن يحين وقت الرحيل .

وأما اضطرابك وتمتمتك بالآية الكريمة لا إراديا حين ألقيت نظرتك الأولى على بطنها، فما كان ذلك عن علم بالطب أو خبرة، بقدر ما كان عن شفافية قد يخص الله بها بعضا من عباده المتقين، وإحساس باطنى غير مفهوم بأن السعادة لن تطول، ولعل هذه الشفافية نفسها هى التى أنذرتك للأسف إنذارا مبكرا فى شهور الزواج الأولى، بأن «لكل شىء إذا ما تم نقصان» كما يقول الشاعر العربى، ولعلها أيضا هى التى هدتك بحس المحب العطوف لأن ترفض تعريض زوجتك لآلام جراحات متوالية غير مضمونة النتائج، جريا وراء أمل الإنجاب، ثم لأن «تبشرها» بعد ذلك بالحمل قبل أن يلوح فى الأفق طيف البشير، فإذا كنت قد اعتمدت على إيمانها بربها وحسن صلتها به فى مصارحتك المؤلمة لها بما يشق على كل

إنسان أن يسمعه فى مثل هذه الظروف ، فلقد كان هذا هو اختيارك الذى اطمأن إليه قلبك، وهو اختيار يؤمن به الأطباء فى الغرب، ونكرهه نحن هنا ونشفق منه على أحبائنا وأعزائنا وعلى كل إنسان من أن يطلعه أحد مهما كانت أسبابه على ما حجبه الله سبحانه وتعالى عنه رحمة به .

لكن ما مضى قد مضى، ولم يبق لنا الآن إلا التحمل، وتضميد الجراح وحصر الخسائر، وجرح الشباب سريع الالتئام يا صديقى كما يقولون، على خلاف جراح الشيوخ بطيئة الشفاء، فلا بأس إذن بدموعك التى ترق لمنظر زوجتك التقية وهى تحمل قالب الطوب فى أيامها الأخيرة، فمن أجل مثل هذه الفتاة الطيبة الوادعة ينبغى حقا أن تسيل الدموع وفاء وحنانا .

والدمع لايكتم غالبا ما قد ينجح اللسان أحيانا فى كتمانه، والشاعر العربى العباس بن الأحنف يقول :

لاجزى الله دمع عينى خيرا	وجزى الله كل خير لسانى
نمَّ دمعى فليس يكتم شيئا	ووجدت اللسان ذا كتمان

فلا بأس إذن بأن تدمع عيناك لذكرى هذه الفتاة الجميلة الطيبة، وأن تترجم وفاءك لها برعاية طفليك منها حق رعايتهما، وبأن تحمل لزوجتك الراحلة دائما ومهما طال العمر أجمل الذكرى.. وأرق المشاعر، لكن «حزن الأمس» لابد أن يصبح بعد حين سلاما، يا صديقى.. ولابد ألا تعوقنا الأحزان عن التواصل مع الحياة والانفتاح عليها والاستعداد لاستقبال مؤثراتها الجديدة، بعد أن تنتهى فترة «رعاية الأحزان» الضرورية، فهذه هى سنة الحياة ولا مهرب لنا منها، ولا مفر، وأما زوجتك الطيبة المتدينة فهى ومثيلاتها وأمثالها «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون» إن شاء الله العظيم ..

فقر أنت عينا.. بما نالت زوجتك من جوائز الدنيا والآخرة، وامض فى طريقك مشاركا فى مباراة الحياة.. ومتشاغلا بسباقها وشئونها وشئون طفليك عن كل الأحزان .

٣٠ قصة حب واقعية

الدموع الغزيرة



أكتب لأروى لك قصتى بعد تردد طويل فأنا سيدة فى الثامنة والعشرين من عمرى نشأت فى أسرة طيبة لأب موظف كبير باحدى الهيئات وأم ربة بيت فاضلة تزوجت أبى عن حب قديم مازال حيا ومتجددا حتى الآن وقد تخرجت فى كليتى النظرية وتقدم لى منذ أربع سنوات طبيب شاب يكبرنى بسبع سنوات، وتمت الخطبة وعقد القران، ثم تزوجنا وسافرنا بعد الزواج بشهر واحد إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليدرس زوجى للدكتوراة. وكان زوجى هو أول رجل فى حياتى فاعطيته كل حبى وحنانى ورعايتى وتركزت دنياى كلها حول محوره، ومضت الأيام بنا جميلة لايعكر صفوها إلا الحنين لأهلى وبعض الخلافات العابرة التى قد تواجه أى زوجين فى بداية حياتهما بسبب اختلاف الطباع لكن الغربة قربت بالرغم من آلامها بينى وبين زوجى حتى بلغنا درجة عالية من الحب والتفاهم والارتباط.

وخلال عامنا الأول من الزواج حملت لكن الله لم يشأ لحملى أن يكتمل وأجهضت فى شهرى الخامس، ومضت الأيام جميلة رغم ذلك، يحكى لى زوجى عن كل شىء فى دراسته وعمله، وأجلس إلى جواره وهو يعد محاضرة سيلقيها فى الغد إلى ان ينتهى منها ثم يقرأها على وانصت إليه بسعادة واهتمام رغم اختلاف نوع الدراسة. وأقف بالساعات فى مكتبة الجامعة لأصور له مايحتاج إليه من كتب فى مجال تخصصه وأسعد بمشاركته كل شىء فى حياته، ونجح زوجى فى دراسته واقترب موعد عودتنا لبلدنا فحملت مرة أخرى ولكن ارهاق الاستعداد للسفر واجهاد الرحلة الطويلة من أمريكا أثرا على حملى فما أن وصلنا إلى مصر حتى اجهضت للمرة الثانية وتألمت لاجهاضى هذه المرة كثيراً رغم استسلامى لقضاء ربى. ورجعنا إلى شقة الزوجية التى تسلمناها على الطوب الأحمر واعددناها قطعة قطعة حتى اكتملت وصارت عشا جميلاً.. ومضى شهر واحد على رجوعنا فبدأت مشكلة حياتى التى لم أكن أعى فى البداية كل ابعادها وهى أم زوجى. فأم زوجى هى الزوجة الثانية لزوجها الذى

تزوجته وهو يكبرها، بـ ٢٥ سنة، وله من زوجته الأولى ٦ أبناء، وقد روت لى أن زوجها قد اشترط عليها عند الزواج ألا تنجب أكثر من طفل واحد وبالفعل أنجبت ابنها ـ زوجى ـ واعتبرته ابنا وحيدا بالرغم من وجود ٦ من الاخوة كلهم قمة فى الأدب والأخلاق والمراكز الاجتماعية، ولأنه ابن «وحيد» فى نظرها فهى شديدة اللهفة على ان يكون له أبناء كثيرون يملأون حياته وحياتها ويعوضون عن نشأته «وحيدا» بلا إخوة. وهى التى أوقفت حياتها عليه وجاهدت معه حتى أصبح طبيبا موعودا بمستقبل مشرق! لهذا فقد صدمت صدمة عمرها كما قالت لى حين رجعنا من أمريكا بعد عامين من الزواج كما سافرنا زوجين بلا أبناء، وكانت تتوقع ان تستقبلنا ونحن أسرة من ٤ أفراد زوجين وطفلين وليس طفلا واحدا. وقد كررت علىَّ والدة زوجى ذلك مرارا وتكرارا ولابد أنها قد قالت أكثر منه لزوجى فبدأت تتغير معاملته لى، وبدأت أشعر وكأنى اتعامل مع انسان آخر غير الزوج الذى عاشرته عامين خلال البعثة واحببته وأعطيته كل حبى وعطائى لكننى صبرت على تغير زوجى آملة ان يرجع إلى طبيعته التى عرفته عليها مع الأيام، فتضاعفت متاعبى بتدخل امه غير المباشر فى حياتنا بصفة دائمة فكل مايجرى بيننا من خلافات صغيرة عابرة يحكيها لها فتنعكس على معاملتها لى، فإذا كنت فى خصام بسيط معه لايستغرق يوما أو يومين تجهمت فى وجهى واختلفت معاملتها لى، وإذا رجعت المياه إلى مجاريها بيننا تبسطت معى وأحسنت معاملتى، وان كان ذلك لايمنع حديث الانجاب فى كل وقت ورواية الحكايات التى تجرح مشاعرى عن «فلانة» التى احتفلت بعيد زواجها الأول وهى تحمل وليدها على ذراعها، و«فلانة» التى أنجبت طفلين فى عامين متتالين وهكذا، كأنى أنا التى أردت لنفسى عدم اكتمال حملى مرتين وكلما سمعت شيئا من ذلك لم أملك ردا عليه سوى الدموع الغزيرة، وهى من طبيعتى للأسف فى أبسط المواقف ايلاما لنفسى ويسمع زوجى هذا الكلام أيضا من والدته فيرجع إلى البيت مكتئباً وشارد الذهن، ويضيق صدره فيمنعنى من زيارة أية صديقة لى إذا كانت حاملا، ويطلب منى عدم استقبال اية صديقة منحها الله من فضله طفلا أو طفلة فى بيتنا، لأن رؤية أطفال غيره تضايقه ولأنه لايريد لأى طفل أن يحبو فى بيتنا إلا إذا كان ابنه!

وسط كل هذه الآلام النفسية حملت للمرة الثالثة وسعدت بحملي الثالث سعادة لاتوصف وتعلق باكتماله كل أملي في الحياة وأملت ان يتم الحمل والولادة فيسعد زوجي بطفله وتنشغل عني حماتي بحفيدها وتكف عن تنغيص حياتي، وبالفعل تحسنت معاملة زوجي لي بعد الحمل الثالث كثيراً، وكذلك حماتي التي بدأت كلما لاحظت اية سحابة كدر بيني وبين زوجي تتدخل للصلح بيني وبينه على الفور حتى لاأحزن ويتأثر الجنين، وانشغلت مع ابنها في اختيار اسم المولود الجديد بل واسم المدرسة التي سيلتحق بها أيضا ونوع الدراسة الجامعية التي سيدرسها حين يصل إلى سن الشباب بإذن الله وأنا أدعو الله خوفا وطمعا ان يتم نعمته عليّ ويكتمل نمو هذا الجنين لأحتفظ بزوجي وحبي وسعادتي، فإذا بالجنين يتوفى في احشائي في منتصف شهره الرابع وتظلم الدنيا كلها أمام عيني، وبكيت بأنهار الدموع الغزيرة طوفانا، واستسلمت لحزن شديد، وأجرينا التحليلات اللازمة لمعرفة سبب وفاة الجنين ثلاث مرات قبل ان يكتمل في احشائي ولم نصل إلى شيء محدد سوى احتمال ان تكون المشيمة لاتوصل إليه الغذاء الكافي فيؤدي ذلك إلى وفاته، وأجمع كبار الأطباء على أن نعيش حياتنا بطريقة طبيعية وفي الحمل القادم بإذن الله يتم اعطائي جرعة بسيطة من الكورتيزون مع دواء آخر يساعد على سيولة الدم لكي يصل الغذاء الكافي للجنين.

ورضيت – رغم حزني الشديد – بأقداري وسلمت بارادة ربي لكن المشكلة كانت في زوجي.. وفي حماتي بالرغم من بكائها معي وهي تحتضني عقب وفاة الجنين الثالث إذ بعد هذا العطف الذي أبدته نحوي في قمة محنتي، قاطعتني تماما وأصرت على طلاقي من زوجي لأنها تتعجل الانجاب، وطريقي إليه كما قالت لا يبشر بسرعة تحقيق هذا الأمل!

ورأيت زوجي ممزقا بين رغبة أمه أو تأثيرها عليه وبيني.

وقررت ان أكافح لانقاذ زواجي وحبي لزوجي مع ما في ذلك من ايلام لمشاعري، وذهبت إلى بيت حماتي وواجهتها بهدوء وسألتها لماذا تريد ان تحرمني من زوجي ومن حياتي، فأجابتني بجمود بأن ابنها لابد له ان يتزوج ليكون له أبناء. وتحملت الطعنة صابرة وقلت لها انني قد حملت

ثلاث مرات ولم يأذن الله بعد فلماذا لا تصبرين عليّ بعض الوقت حتى يرزقني الله بالولد، فأجابتني بنفس الجمود بأن العمر يجري وانه يحتاج لأن ينجب وهو في سن الشباب لكي يستطيع تربية أبنائه وتحاملت على نفسي وسألتها وماذا لو تزوج من أخرى ولم ينجب ايضا فأجابتني بلا تردد بانه لو حدث ذلك فسوف تطلقه من زوجته الجديدة وتزوجه من ثالثة ورابعة حتى يتحقق لها أملها في الانجاب!

ولم أجد ما أقول لها ردا على ما سمعته منها سوى ان الله لا يرضى بالظلم وانها وابنها يظلمانني.. وحسبي الله ونعم الوكيل.

ثم نهضت من أمامها منكسرة وشاعرة بكل هوان الدنيا وكنت قد عرفت منها انها قد طلبت منه ان يستشير في أمر طلاقي رجال الدين لكي يستريح إلى قراره ويتشجع عليه فطلبت منه ان يصطحبني معه إلى دار الافتاء لكي أسمع معه رأي الدين في أمري، وتردد زوجي في القبول قائلا لي ان ذلك سوف يجرح مشاعري، لكني الححت عليه في القبول، فأي ايلام ينتظرني أكثر مما شعرت به خلال حديثي مع والدته واصطحبني زوجي إلى دار الافتاء، واستقبلنا هناك شيخ فاضل. استمع باهتمام إلى مشكلة زوجي الذي رواها أمامي بأمانة، ثم اجابه: «يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما» صدق الله العظيم وصمت برهة تأملنا خلالها معا ثم قال لزوجي انه لو كان في موضع زوجي وأنعم الله عليه بزوجة طيبة وعلى دين وخلق مثلي ومتمسكة بزوجها إلى هذا الحد لسعد بها ورضي بحياته معها حتى ولو لم تنجب نهائيا.

وسالت دموعي الغزيرة وأنا اسمع هذا الكلام الرحيم من رجل الدين الفاضل، واستأذنا في الانصراف وخرجنا وركبنا سيارة زوجي وهو مازال شاردا وساهما كأنما كان يأمل ان يلتمس له رجل الدين العذر في طلاقي ويعطيه الضوء الاخضر ليقدم عليه، ورغم ادراكي لما يدور في ذهنه فلقد سألته ونحن في السيارة عما ينوي ان يفعل فطلب مني مهلة يومين ليفكر في أمره خلالهما، فأجبته بأنني قد فعلت كل ما في وسعي للحفاظ عليه والأمر مرجعه إليه الآن، ثم رجعنا إلى بيتنا وتدخل اخوته الفضلاء والاقارب بيننا وحاولوا تهدئة الأمور ومنع الطلاق، وبعد جلسة مداولات

طويلة وجارحة جرت كلها أمامى وفى حضور والدة زوجى وزوجى وافقت حماتى على ان تعطينا فرصة أخرى للحمل، ورجعنا إلى بيتنا وانا راضية بذلك ووعدت زوجى بأن ابدأ معه صفحة جديدة أتناسى فيها كل شىء وسافرت مع والدى ووالدتى لأداء العمرة وطفت بالبيت الحرام وأنا أدعو الله ان يحقق لى أملى فى الانجاب وانقاذ بيتى وزوجى وتعلقت باستار الكعبة عند الملتزم وبكيت بالدمع الغزير وانا استرجع مشاهد مواجهتى لام زوجى وسؤالها عما تريد ان تفعل بى وجلستى أمام رجل الدين انتظر كلمته فى أمرى.. وجلستى بين جمع من الأهل انتظر نتيجة المداولة بشأنى، وافرغت كل احزانى وآلامى، ثم عدت إلى القاهرة وقد تحسنت حالتى النفسية بالفعل وعشت مع زوجى شهرين سعيدين ثم رجعت المنغصات مرة أخرى من جانب حماتى، وبدأت أشعر بابتعاد زوجى عنى.. ومضت ثلاثة شهور اخرى لم يحدث خلالها حمل رغم متابعتى باستمرار مع الطبيب وفى صباح احد أيام الجمعة اصطحبنى زوجى بسيارته إلى بيت والدى لنتناول معا طعام الغداء بدعوة منه وقد رتبنا معا ان نقضى فترة الظهيرة فى بيت أبى ثم نخرج فى الاصيل انا وزوجى لزيارة بعض أصدقائنا فى بيتهم، وأوصلنى زوجى إلى بيت أبى ثم استأذن فى الخروج لنصف ساعة لاداء صلاة الجمعة، وخرج وانتظرت عودته بعد الصلاة فطال غيابه.. ورفضت تناول الغداء قبل رجوعه.. وانتظرت فلم يرجع ثم رن جرس التليفون فجأة ورفع أبى السماعة فإذا به يسمع صوت حماتى تطلب منه ان يذهب إلى شقتى لانزال أثاثى منها لأن زوجى سيطلقنى وسوف يتزوج فى نفس الشقة خلال وقت قصير!

ووضع أبى السماعة ثم أبلغنا بما سمعه فانهرت باكية لقسوة الغدر بعد كل مافعلت وقدمت، وتم الطلاق بعد اسبوع وتهدم البيت الذى فعلت المستحيل للحفاظ عليه.

اننى لا أكتب إليك الآن لكى تجد لى حلا لمشكلتى فقد تولانى الله سبحانه وتعالى برحمته وهيأ لى من أمرى رشدا، وإنما اكتب إليك لكى أسألك لماذا يظلم الانسان أحيانا من اخلصت له واعطته الكثير والكثير وتحملت منه الكثير والكثير؟ ولماذا يلجأ الانسان إلى الغدر بمن أحبته حبا

صادقا وأخلصت له العطاء بدلا من المواجهة بشرف كما ينبغى ان يفعل من يحترم آدمية من شاركته الحياة.

اننى الآن لست حزينة على زوجى فقد اهتزت الصورة المثالية التى رسمتها له فى خيالى وتهاوت أمام الغدر القاتل وتكشف لى من حقائق الامور والحياة مالم أكن أراه بعين الحب التى لاترى للأسف فيمن تحب إلا كل جميل لكن بداخلى سؤالا كبيرا يبحث عن اجابة هو لماذا يظلم الإنسان.. أحيانا أو يقسو.. ويتحجر قلبه إلى هذا الحد؟

لقد فقدت ثقتى فى الأشياء والأشخاص حتى كدت أشك فى أصابع يدى فى الأيام الأولى، لكنى قد استرددت الآن والحمد لله وبعد أسابيع قليلة هدوء نفسى، وأعاننى إيمانى العميق على تقبل اقدارى كما تقبلتها من قبل، واعتبرت ماحدث صفحة وانطوت من عمرى بخيرها وشرها. وقررت ان ابدأ حياتى من جديد وأردت أن ارجع إلى عملى السابق الذى انقطعت عنه فإذا بمن لاينسى عباده فى الملمات يهدينى عملا أفضل منه وبمرتب يزيد على مرتبى السابق أضعافا مضاعفة، وفى وسط اجتماعى راق بين زملاء وزميلات افاضل وجدت بينهم راحتى وسلامى النفسى، وفضلا عن كل ذلك فهو قريب من بيت أسرتى أذهب إليه بسيارتى خلال دقائق وقد أعطيت العمل كل اخلاصى، وأصبحت أمضى فيه كل نهارى من الصباح وحتى السادسة أو السابعة مساء كل يوم.. وزالت غشاوات كثيرة عن عينى فرأيت بعض مالم اكن اراه من قبل بعين المحب العمياء، فإذا كنت نادمة الآن على شىء فعلى أنى قد أضعت فترة ثمينة من العمر فى حياة كان محكوما عليها بالفشل منذ البداية، لكن رغبتى فى الحفاظ عليها قد اعمتنى عن هذه الحقيقة، ورجائى الأخير هو ان توجه كلمة لكل أم تسعى فى خراب بيت ابنها وكل ابن يستجيب لها فى ذلك إلى أن يتقيا الله فى بنات العائلات وأعراض البشر، والسلام عليكم ورحمة الله.

☐ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

كثيرا ما تواجهنا محن الحياة واختباراتها القاسية.. فنظن ونحن فى ذروة معاناتنا لها اننا لن نستطيع مهما حاولنا ان نحتمل الحياة بعدها ثم ما تلبث إرادة الحياة فى داخلنا ان تثبت لنا كل مرة اننا قادرون على تخطى

أقصى الآلام بعد حين وعلى مواصلة الرحلة فى طريقها المرسوم رغم كل الصعوبات. وما أكثر ما تجرف الحياة من أحزان وآلام كانت فى قمة أوارها تكوينا بلسع النار، ثم أخمدها الزمن شيئا فشيئا.. حتى أصبحت كآثار الجراح القديمة لا تؤلمنا.. وان تركت بعض ندوبها فى روحنا.

والرضا باقدارنا هو وسيلتنا الوحيدة لمكافحة الآلام واعانة عامل الزمن على إخماد لهيبها.. والحوار العاقل الهادىء مع النفس هو الذى يقنعنا فى النهاية بأن مالا حيلة لنا فى منعه لم يكن بأيدينا مهما أجهدنا أنفسنا ان ندفعه عنا، وأن كل الم فى الحياة مصيره إلى زوال بعد حين.. ومن واجبنا ان نساعد أنفسنا على البرء منه بألا نتوقف طويلا أمام الاطلال... وألا نهدر العمر الثمين فى اجترار الأحزان.. وبأن نتبع نصيحة ذلك الشاعر الأمريكى الذى ينصح كل مهموم قائلا: استمر.. استمر واصل طريقك فى الحياة سواء أكان مفروشا بالورود أو بالأشواك.. استمر.. استمر فسوف تجد حلا لكل المتاعب والصعاب ولن تجده أبدا إذا توقفت أمام أحزانك أو تجمدت فى موقعك.

فإذا كنت الومك فى شىء ففى امتهانك لنفسك مع زوجك ووالدته إلى حد استجدائهما الابقاء عليك.. وكأنما لن تكون لك حياة بعد زوجك هذا أو كأنما قد خلت الدنيا من كل الرجال بعده.. نعم نحن نحترم الحب الحقيقى المخلص ونلتمس العذر لصاحبه فيما تمليه عليه عاطفته من تصرفات.. لكن لكل شىء حدودا ياسيدتى. ولست فى النهاية تضحين بكرامتك حرصا على مصلحة أبناء من ان يتعرضوا للضياع بينك وبين زوجك لكى تقبلى لنفسك ما قبلت. أو حتى لكى تقبلى مجرد محاسبتك على تأخر الانجاب ثلاث سنوات فقط حملت خلالها ثلاث مرات ولم يشأ لك ربك أن يكتمل الحمل. كأنما قد اخترت لنفسك ما تعرضت له من محن أو كأنما قد عاشرت زوجك خمسة عشر عاما، ويئس نهائيا من تحقيق أمله فى الانجاب منك فاستأذنك على استحياء فى أن تسمحى له بالزواج من أخرى من أجل الانجاب وخيرك بين الانفصال عنه أو الاستمرار معه كما يفعل الآخرون فى نفس ظروفه، لكنك رغم ذلك قد قبلت أن تقفى موقف الدفاع عن نفسك ضد الاتهام القاسى بالفشل فى الانجاب، وصاحبت زوجك طائعة إلى لقاء رجل الدين

الفاضل لكى يستشيره أمامك فى أمر طلاقك، ويغادره مهموما شاردا لأنه لم يوافقه على نيته ففيم كل هذا الايلام. وكل هذا الهوان الذى رضيت به لنفسك يا سيدتى لقد قال الإمام على بن أبى طالب « إذا رفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن يضعك دون قدرك » والمؤكد أنك قد رفعت بعض الأشخاص بعين الحب فوق قدرهم .. فلا عجب أن رضوا لك بمثل هذا الايلام.

أما أسئلتك الحائرة عن « الغدر » بدلا من المواجهة الشجاعة وتحمل تبعاتها .. وعن لماذا يظلم الإنسان لهذا فلابد ان نستمر وان نحيا.. ونعمل ونواصل الطريق ونتفتح للحياة من جديد عقب كل محنة لنستقبل مؤثراتها الجديدة.. ونتناسى معها أحزاننا السابقة.. والأديب الايرلندى العظيم برنارد شو يميز بين الانسان العاقل وبين غير العاقل بمدى قدرته على ان يتواءم مع الواقع المحيط به مهما كانت قسوته، فيقول ان العاقل هو الذى يتواءم مع الواقع أما غير العاقل فينتظر من الواقع ان يتواءم معه.. ولهذا فان أعظم انجازاته لن تزيد مهما فعل على مجرد الانتظار!

وأنت لم «تنتظرى» والحمد لله وإنما خرجت للعمل وللحياة وأعدت النظر فى تجربتك المؤلمة فرأيت فيها عن بعد مالم يكن متاحا لك أن تبصريه وأنت فى بؤرة آلامها. ولاباس بمحاسبة النفس ومراجعة التجارب التى نعيشها ثم تنتهى صفحتها ولكن بشرط ألا تستغرقنا إلى مالا نهاية وتستحوذ على تفكيرنا كل الوقت فتقضى علينا بالحياة فى سجنها بدلا من أن تعيننا المراجعة على الاستفادة بدروسها.

وقمة شفائنا من آثارها الكئيبة هى ان تعبر ذكرى «أبطالها» فى مخيلتنا فلا تثير فينا الحنين إليهم.. ولا الحنق عليهم، فحتى الكراهية التى قد تتحول إليها مشاعر الحب فى بعض المحن ليست سوى شكل آخر من أشكال «الاهتمام» بمن غدروا بنا ولم يرعوا عهدنا، فى حين أنهم لايستحقون منا فى الحقيقة بعض هذا الاهتما حبا كان أم كراهية، وهم «يموتون» حقا بالنسبة إلينا حين ننساهم تماما فلا تثير ذكراهم فى نفوسنا سوى ماتثيره ذكرى آحاد الناس ممن لانحبهم ولا نكرههم ولايعنينا من امرهم شيئا. وسوف تصلين إلى هذه المرحلة قريبا باذن الله.

٣٠ قصة حب ٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب ٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب ٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب ٣٠ قصة
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب
٣٠ قصة حب ٣٠ قص

٣٠ قصة حب واقعية

جنة الاحلام



كان ينبغى لى أن أكتب رسالتى هذه إليك منذ أربع سنوات، لكنى أحجمت عن ذلك فى اللحظة الأخيرة، فأنا مهندس شاب تخرجت منذ أعوام وأعمل فى مجال مهنتى، وأستعد للحصول على الماجستير، ثم الدكتوراة بإذن الله.. وقد نشأت فى أسرة ميسورة وتوفى أبى وأنا طفل فى العاشرة من عمرى فتولت أمى تربيتى حتى أتممت دراستى بتفوق وتخرجت فى كليتى ووافتها المنية بعد أن أدت رسالتها معى فحزنت عليها حزنا شديدا لأنها كانت سيدة فاضلة وأما رؤوما.. وقبل أن ألتحق بكليتى الجامعية، كنت طالبا بمدرسة مشتركة بين البنين والبنات بإحدى عواصم الأقاليم، فلفتت نظرى خلال عامى الأخير بالمرحلة الثانوية فتاة من مدرسة البنات الملاصقة لنا، كل شىء فيها جميل من ملامحها إلى تدينها وأخلاقها وذكائها، حتى أن مديرة المدرسة اختارتها كطالبة مثالية ذلك العام، وقد أعجبت بهذه الفتاة كثيرا، وزاد من إعجابى بها أن علمت أنها من أسرة بسيطة، وأن كل شقيقاتها مثلها فى الأخلاق والتفوق، فراودنى حلم الارتباط بهذه الفتاة وأردت أن أتفوق فى دراستى لأكون جديرا بها، وحصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير أهلنى للالتحاق بكليتى العملية بعاصمة المحافظة، فى حين التحقت تلك الفتاة بكلية نظرية بمحافظة أخرى، وظللت رغم ذلك أتسقط أخبارها حتى علمت وأنا طالب فى عامى الجامعى الثانى أن هناك من يتقدم لخطبتها، فصارحت أمى وعمى برغبتى فى الارتباط بها ورحبا بذلك ولو على سبيل الخطبة إلى حين انتهائى من دراستى، وذهبنا جميعا إلى أسرتها لنطلب يدها.. فرحب بى والدها وأمها كثيرا، أما هى فحين سألوها عن رأيها أبدت اعتذراها عن عدم قبولى خطيبا لها، وفسرت رفضها بأنها تفضل أن يكون خطيبها أكبر منها سنا وخبرة وحتى ولو كان فقيرا معدما، على أن يكون شابا أو فتى مماثلا لها فى العمر والخبرة والتفكير.. الخ.

وحزنت لموقف فتاتى هذا منى ورجعت إلى دراستى فلم أحقق تفوقا

دراسيا فى ذلك العام بسبب شرودى وأحزانى، ولكنى تمالكت نفسى وقررت أن أحافظ على تفوقى لأتخرج وأعمل فى مهنتى وبعد عامين علمت أن فتاتى قد تمت خطبتها لشاب من نفس البلدة يكبرها بتسع سنوات ويعمل بالخارج .. وعلمت من المحيطين بهذا الشاب أنه شاب طيب إلى حد السذاجة، لكن أسرته معروفة فى بلدتنا «بأفعالها» المستنكرة من شتائم وسب علنى وفضائح أمام الناس الخ، وتعجبت كيف قبلت به وأهله على هذا النحو.. خاصة أنها سوف تقيم بينهم لأن زوجها سيغيب عنها طوال العام فى عمله بالخارج ولا يرجع إليها إلا فى الاجازة.. وتساءلت هل علمت عن أهله هذه الطباع السيئة أم خدعوها وصوروهم لها كالملائكة؟.. وقررت أن تعرف فتاتى ما هى مقدمة عليه.. فأوفدت إليها إحدى قريباتى لتوضح لها «حقيقة» هؤلاء الأهل الذين ستعيش بينهم، فما كان من فتاتى إلا أن نهرتها وطلبت منها عدم العودةلزيارتها مرة أخرى.. وبعد عام من ذلك تزوجت فتاتى وسط مشاكل كثيرة ومضى على زواجها أربع سنوات لم تفارقها فيها المشاكل والمتاعب يوما واحدا مع أهل زوجها، إلى حد تركها لفترة طويلة دون انفاق عليها ولا على طفلها.. وقد علمت بكل ذلك من المقربين إلى زوجها، وعلمت أن فتاتى تحيا حياتها فى جحيم وسط هؤلاء الأهل، فإذا رجع زوجها من عمله فى الخارج لفترة قصيرة انقلبوا أمامه إلى ملائكة وأحسنوا معاملتها، ثم تتكرر المأساة مرة أخرى بعد سفره وهكذا..

كما علمت أيضا وعن يقين أن فتاتى قد ساءت أحوالها الصحية والنفسية معا، وأنها قد كرهت حياتها وتركت بيت زوجها ورجعت للاقامة مع أهلها بعد أزمة حادة مع أحد أفراد أسرته. وسعدت كثيرا بما حدث!.. بل وتمنيت طلاقها هذه المرة لكى ترافقنى بقية حياتى وأعوضها عن هذه الفترة المظلمة من حياتها، لكن «للأسف» يا سيدى ما أن عاد زوجها فى أجازته حتى ضعفت أمام من توسطوا للصلح بينهما ورجعت معه إلى هذا البيت الذى ذاقت فيه الذل والهوان.. وكالعادة فلقد قضى معها زوجها فترة قصيرة ورجع إلى غربته وظللت أنا أتسقط أخبارها عن بعد وأتعجب!

ثم حدث ذات يوم كنت أسير فى الطريق إلى عيادة طبيب من أقاربى فوجدت سيدة شابة تبدو مجهدة ومعتلة الصحة تنوء بحمل طفلها، وعرضت عليها أن أحمل عنها الطفل، إلى أن تتمالك نفسها.. وقبلت ذلك

واعطتنى الطفل فإذا بى أرى فيها فتاتى الجميلة بعد أن ترك الهم آثاره على وجههـا، ودهشت من أنها لم تتعـرف علىّ.. ولم تكتشف أننى ذلك الشـاب الـذى رفضته منـذ ست أو سبع سنوات لأنـه يماثلها فى السن.. وذكـرتها بنفسى فإذا بها ترتبك كأنما قد تورطت فى شىء لم تكن ترغب التورط فيه، وسألتها عن أحـوالها فأجابتنى «كذبـا» بأنها طيبة وعلى مايـرام.. وعرفت أنها كانت فى طريقها إلى قريبى الطبيب لعلاج طفلها من أزمة معوية مفاجئة فاصطحبتها إليه ولم أتركهـا إلا بعد أن اطمأننت على طفلها واستعاد الطفل بعض حيـويتـه، وعنـد ذلك فـاجأتها بأننى أعـرف كل صغيرة وكبيرة عن حياتها الـزوجية التعيسـة، وأننى أتمنى طلاقها لأتـزوجها وأعـوضها عن حياتها هذه بحيـاة جديدة كالجنة، فإذا بها تـرتبك أكثر وتعتصم بالصمت للحظات مضت علىّ طويلة ـ ثم تجيبنى بعد ذلك بأن ابنها هذا أهم لديها من جنة الأحلام التى أعدها بها. ولم تفلح محـاولاتـى معها لاقناعها بأن طفلها هذا سـوف ينشأ ويتربى بيننا وأننى سـوف أكون أبـا مثاليـا له.. وانتهى الموقف بيننا بـانصرافها وهى تحمل طفلها دامعة العين.. وانتظـرتها فى يوم المتـابعة أو الاستشـارة الطبيـة الذى حـدده لها قـريبى الطبيب فلم تأت.. وأدركت أنها تتهـرب منى وتتجنب اللقـاء وتبيع من اشتراهـا وتشترى من بـاعهـا، مع أننى لا أريـد لها إلا الخير.. فكيـف تـرفض أن تخرج من هـذا الجحيم الذى تعيش فيـه لتهنأ بحياتها داخل جنة نظيفـة ومع زوج يحبها ويتمناها مع تأكيـدى لها أننى لن أبخل عليها ولا على طفلها بشىء.. وبماذا تفسر هذا الموقف «الغريب» من جانبها؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول :

ليس من النبل أن تعـرض على زوجة رجل آخـر وأم لطفل منه أن تخرج من «الجحيم» الـذى تعيش فيـه مـع أهل هـذا الـزوج، لكى تـدخل الجنـة الموعودة معك لتعـوضها فيها عن كل مـا عانته فى سابق أيـامها من آلام ! .. فهذا العرض الذى تتحدث عنه ببساطة عجيبـة هو بالتحديد ما ينطبق عليه وصف جريمـة الغواية لزوجـة محصنة لتهدم بها أسرتها الصغيرة وتحرم طفلها من أبيـه الطبيعى ، وتحرم هذا الأب نفسه من طفله وزوجتـه وأسرته الآمنة ! .. وإذا كان الرسـول الكريم ﷺ قد نهى عن أن « يخطب أحدكم على خطبة أخيه » أى عن أن يتقدم أحد لخطبة فتاة يعلم علم اليقين أن أخا له من

بنى البشر قـد خطبها لنفسـه ولقى منهـا القبول بـه ، فماذا نقول عن هـذا العرض « البرىء » الـذى عرضتـه عليها ؟ وكيف تعجب لـرفضها الخروج من « الجحيم » الذى تعيش فيـه لتدخل جنتك الموهومـة هذه ؟ .. إنك تطلب منى تفسيرا لموقفهـا هـذا منك ، وأرانـى مضطـرا لمصـارحتك بما تكـره أن تتفهمـه أو تقبل بـه من حقـائق الأشيـاء لأحميك مـن شر نفسك ومن الاستسلام لأوهامك هذه إلى مالا نهاية .

ان الحقيقة التى ينبغى لـك أن تعترف لنفسك بها وألا تخجل منها لأنها لا تمس اعتبارك فى شـىء هى أنك لم تمثل بالنسبـة لهذه السيدة الفـاضلة شيئا ذا بال فى يوم من الأيام ، ولم يتجاوز شأنك فى حياتها شأن فتى تقدم لخطبتها وهى مازالت طالبة ، فلم يقتنع بـه عقلها ولم ترحب بالارتباط به ، ولم ينشغل به فكـرها لأكثر من لحظات ، فى حينهـا . فإذا كنت قد اعتبرتها منـذ ذلك الحين « فتـاتك » وانشغلت بـأمـرهـا وسعيت بعـد ذلك لإفسـاد خطبتها لزوجها بإيفاد سفيرة خـاصة إليها ، فطردتها شر طردة ولم تسمع لها .. فهذا شأنك وحدك ولا دور لهذه الفتـاة ولا مسئولية عليها فى اهتمامك بأمـرهـا بعـد ذلك ولا فى تتبعك لأخبارهـا .. ولا فى « سعـادتك » الشريـرة بمتـاعبها مـع أهل زوجهـا ، أو فى حلمك الآثم بطـلاقهـا لكـى تتـزوجهـا وتتشارب معها كئوس السعادة وتصبح « أبا مثاليا » لابنها !

فلقد جرى كل ذلك فى داخلك انت وبـلا أى دور لها فى ذلك .. ورغائبنا فى الأشياء لا تكفى وحـدها لأن ننالها إذا كـانت تتعلق فى نفس الوقت بإرادات الآخـرين واختياراتهم لأنفسهم وحيـاتهم وتطلعنـا المحموم إلى هـدف من الأهـداف لا يعطينا حقـا مشروعا فيـه إذا لم يكن المطلب عادلا ومشروعـا .

وأنت مهموم بأمـر نفسك ورغبتك فى هذه السيدة الفاضلـة طوال الوقت إلى حـد أن أعماك ذلك عن أن حلمك الآثم فيهـا لو تحقق فلسـوف ينعكس ذلك بأبلغ الضرر على زوج وأب لا حيلة له فى « أفعـال » أهله التى تتحدث عنها ، ولا ذنب لـه فى شغفك بـزوجته وتطلعك لهدم أسرتـه لغير شىء سـوى أن تحقق لنفسك أمنيـة قـديمـة فى فتـاة أعجبت بها على البعـد وهى طـالبـة ورفضتك حين تقـدمت إليها .. فماذا تكـون الأثـرة والأنانيـة التى لا تضع اعتبارات الآخرين فى تقديرها سوى ذلك ؟

إنك تتحدث عن زوجـة محصنة وأم لطفل وتقول عنهـا إنها « فتاتك » ..

مع أنها لم تكن يوما كذلك ولن تكون .. فـأين حسن تقديرك للأمور .. وأين تفهمك الصحيح لحقائق الأشيـاء . وهذه السيدة الفاضلـة لم تتعرف عليك حين التقت بك مصادفة بعد سنوات من زواجها ، ولم تميز حتى ملامحك ، كما أنها لم تخطب لك ذات يـوم وكان رفضهـا لك أسرع إليها من القبـول ، فبأى حق تـدعـوها فتـاتك ، وتتمسك بـالأمل فيهـا بدعـوى أنها تعيش فى «الجحيم» مع أهل زوجهـا .. ومن الـذى يعطينا الحق فى الحكم على حيـاة الآخـرين بالسعـادة أو الشقاء وهم أدرى بها منـا وأقدر على الحكم عليهـا منا؟

إن لكل إنسان سعادته الخاصـة التى لا يستطيع أحد غيره أن يقدرها .. وهذه الـزوجة الفاضلـة من أصحاب القلـوب الحكيمة الذين لا ينخـدعون بظـواهر الأشيـاء .. ولا تستريح نفوسهم للطـرق الملتويـة فى الحياة ، وقـد صارحتك بلا تردد بأن طفلها أهم لـديها من «الجنة» التى تدعوها إليها .. وتجنبت بعـد ذلك زيـارة نفس الطبيب فى مـوعـدهـا المحـدد لكى تتفـادى الالتقاء بك مـرة أخرى والتـورط فى حديث مع رجل عـرفت الآن بما لا يدع مجالا للشك أنه مازال يـرغب فيها وهى سيدة أمينة لا تقبل لنفسهـا خيانة زوجها بالحديث مع رجل آخر تعلم شدة رغبته فيها .

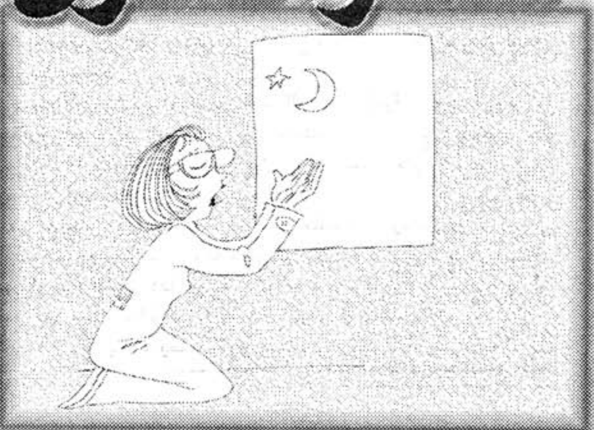
فماذا تتـوقع منـا إلا أن نـؤيـدهـا فيما فعلت ونتفهم حكمتـه ومغـزاه الأخـلاقى ونعجب بهما ؟ يا صـديقى الشـاب أن من هموم الحياة وآمـالها وآلامها مـالا ينبغى معه لشـاب مثلك أن يطرحـه وراء ظهره ويضع نصب عينيه شيئـا واحدا فقط هو الفوز بـزوجة رجل آخر وهـدم أسرته وتمزيق طفله بين أبويه بدعوى أنه سوف يعوضها عن تعاستها الزوجية ، مع أنه لا ضمان للسعادة بالكلمات والـوعود .. ولا سبيل للحكم عليها إلا بـالتجربة والمعايشة وحسن تفهم الأمور .

واستغراقك فى ذاتك على حساب حقوق الآخرين لا يبشر بحسن التقدير ولا بـاستعدادك للتنـازل عن بعض اعتبـاراتك عنـد الضرورة لكى تمضى السفينـة فى بحـر السعـادة والأمـان ، فـلا تكن ممن يتـوهمون أن كل مـا يرغبون فيه هو «العدل» الذى لا يأتيه الباطل من أمامه أو ورائه ، ولا تكن ممن يعتبرون رغبـاتهم فى الأشياء «إرادة سنيـة» .. يجب أن تستجيب لها الأقدار بلا مراجعة .. وشكرا لك إن فعلت والسلام .

١٣

٣٠ قصة حب واقعية

طائر الذكرى



لعلك مـازلت تذكـرنى .. فلقد كتبت إليك رسـالة نشرتها فى أواخـر عام ١٩٩٠ بعنوان «طائر الألم » وكانت عن ظروف وقتهـا كزوجة شابة وطبيبة أصيب زوجهـا الشـاب المهنـدس بعـد فترة قصيرة من الـزواج بـالفشل الكلوى، وكنت فى ذلك الوقت فى شـدة الضيق والكرب وأنا أرى زوجى يتألم أمـامى ويصرخ من ألمه ويبتهل إلى اللـه أن يأخـذه إلى جـواره ليرحمه من عذابه ، وقد رويت لك كل ذلك وتساءلت فى رسـالتى قانطة : لماذا أبدأ حياتى الزوجيـة أنا وأطفـالى بالألم .. ولماذا لا يرحمنـا الله برحمتـه وحنانـه الذى يفوق حنان الأم على وليـدها ، وقد رددت أنت علىّ وقتها ـ أكـرمك الله ـ ردا كالبلسم الشافى وطالبتنى كلما اشتد بى الكـرب أن أردد دعاء سيدنا يونس وهو فى جوف الحوت الذى استجـاب له ربه وفرج به كربـه وهو « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظـالمين » .. وأن أذكر أيضا الآية الكـريمة « إنا كل شىء خلقناه بقـدر » وتكرمت أكثر من ذلك بالاتصـال بى بعد النشر فى مدينتى ذات مسـاء تسأل عما إذا كنت فى حاجـة لأية مساعـدة لدى وزارة الصحة فى العلاج أو أيـة مساعدة أخرى .. فأعجزنـى كرمك عن الرد وقلت لك شاكـرة إن رسالتى لم تكن سـوى نوع من الفضفضة وإطـلاق البخار المكتوم فى الصدور .

ومنذ ثلاث سنوات هممت بأن أكتب إليك مـرة ثانية لأخبرك بأن أحوالنا مستقرة والحمد لله ، وأن زوجى يقوم بعملية الغسيل الكلوى بانتظام، بعد أن باءت محاولات التبرع لـه بكلية من الأقـارب بفشل تام ، وبعـد أن عزف زوجى عن إجراء عمليـة الزرع بعد مشـاهدته خـلال عملية الغسيل لبعض حالات لم يحقق فيها الزرع نتـائج طيبة ، فاتفقت مع زوجى على أن نرضى بالواقع كما هو وبأن نسلم معا أنه لو كـان مقدراً لنا أن نحيا يوما واحدا أو شهرا أو سنة فلنعش هذا اليوم أو تلك السنة فى سعادة كاملة ، ولنحاول أن نخلق نحن سعادتنـا بأيدينـا ونستمتع بها وبكل لحظة منها .. وقـد كان .. وكانت النتـائج باهرة أيضـا وفوق مستـوى الخيال فلقد يسر اللـه لنا كل

ما أردناه وفكرنا فيه ، فإذا أردنـا مثلا أن نستكمل بعض الأشياء الناقصة فى شقتنا أو نجـدد شيئا فيها .. نجد التـدابير الإلهية قد يسرت لنا مـا أردنا من حيث لا نـدرى ولا نحتسب ، ولـو كنا حين فكـرنـا فى ذلك لا نملك ثمن ما نريـد أو تكاليفه ، وإذا أراد زوجى أن ينشىء مشروعـا صغيرا فى حديقة البيت ليشغل بـه نفسه ويشعر بأنـه عضو نـافع فى المجتمع ، أكرمنـا الله سبحانه وتعالى بتحقيق هذه الرغبة ومن أيسر السبل .. وبأسرع الخطوات ، ومن حيث لا نعـرف كيف استطعنا ذلـك ، ولا كيف تهيأ لنا تنفيـذه . بل إن زوجى قد شجعنى أيضـا على استكمال دراساتى العليـا التى انقطعت عنها حين أصيب بالمرض .. وشجعنى أيضـا وأعاننى على إنشـاء عيادة خـاصة بى أشعـرتنى بنجـاحى وتمتعـت ــ والحمـد للـه ــ بحب واحترام كل من يعرفـوننى . أما على مستـوى الحياة الأسريـة فلقد تعلق زوجى بـى تعلقا شديدا كتعلق الطفل الصغير بأمه حين يتشبث بذيل ثوبها ويمضى وراءها من مكان إلى مكان وتـلازمت أنا وزوجى فى كل أوقاتنا وشئون حيـاتنا فلا افعل شيئا دون مشورته ولا يفعل هـو أيضا شيئا بغير استشارتى ، وكان ينتظر كل يـوم عودتى من العمل فى لهفة وينتقل ورائى من مكـان إلى مكان فى البيت وهو يسألنى كيف كان يومى فى العمل ويطلب منى أن أحكى له كل مـا جـرى لى منذ غـادرت البيت ومـاذا فعلت .. ومـاذا قلت ومـاذا سمعت ويتلـذذ بسماع تقـريرى هـذا ويشـاركنى الاهتمام بكل صغيرة وكبيرة فى حيـاتى .. ثم أصبح اسمى لا يغيب عن لسانـه لحظة ، ولا يكف عن النـداء علىّ إذا غضب أو ضحك أو خـاصم ! .. إذ حتى خلافـاتنا القصيرة العـابرة كانت تثير الضحك بيننا أكثر ممـا تثير الغضب والمودة ، أما فى الصباح فهو يصحو مبكـرا ويعد لى طعـام الإفطار بنفســه ويطعمنى بيده ، وإذا كـانت حالتـه الصحية جيدة أعـد لنا أيضا طعـام الغداء ، وداعب طفلتينا مـداعبة ظريفة لم أرها من أحد قبله حتى تعلقت به الطفلتان بأكثر مما تتعلقان بى .

أما فى لحظات الألم ــ وما كان أقساها ـ فقـد كنت أضاحكه وأبشره بأن مآلـه الجنة لا ريـب فيها لصبره على المرض أولا .. ولصبره علىّ أنـا زوجته المشاكسة ثانيـا .. لكن هيهات حتى فى ذلك أن يفلت منى فسوف أطارده فى جنات النعيم حتى يفضل عليها نار السعير! .. فينظر إلىّ طويلا وهو يغالب

ألمه ويتحمله بصبر الصابرين ويقول لى متأثرا إنه ليرجو من الله العلى القدير أن أكون زوجته أيضا فى الدار الآخرة . كما كنت زوجته وشريكته فى الحياة الدنيا .

وهكذا عشنا أيامنا يا سيدى نتحمل نوبات الألم والتدهور بصبر .. ونسعد بأيام التحسن واعتدال الصحة ، ونستمتع بكل لحظة من حياتنا معا .. ونشعر فى كل لحظة بأننا نتبادل أنبل المشاعر ويحمل كل منا للآخر أجمل وأحلى الأحاسيس .

لكن أوقات السعادة قصيرة دائما يا سيدى ، ولو طالت كما تقول أحيانا فى بعض ردودك ، ولقد انقضى هذا الحلم القصير فجأة ليلة عيد الفطر الأخير ، ورحل زوجى عن الحياة وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ، بغير أن « يفرح » يوما بشبابه ، وبعد رحلة معاناة مع المرض استغرقت عشر سنوات كاملة هى كل عمر زواجنا .. نعم رحل زوجى وحبيبى وصديقى وسكنى وسندى وسترى وغطائى وهو يهتف باسمى مستغيثا وغربت شمس حياتى التى كانت تمدنى بالدفء والأمان . ولم أعلم قط هل رحل عن الدنيا وهو راض عنى أم لا ، وهل قصرت فى حق من حقوقه أم ترانى قد وفيت له بحقه علىّ .. وبعد مرور الأيام المريرة الأولى أنزل الله سكينته فجأة فى قلبى وألهمنى الصبر من حيث لا أدرى أيضا ولا أحتسب فلم أعد أشعر إلا وكأن زوجى قد خرج من البيت إلى شأن من شئونه وسوف يعود بعد قليل ، ولا غرابة فى ذلك ، فلقد ترك لى رصيدا ضخما من الذكريات الجميلة والحكايات الحلوة والنوادر الطريفة التى تضحكنا وتعزينا فى نفس الوقت عن افتقادى الشديد لصحبته .

ولقد كتبت لك هذه الرسالة لكى أوجه نداء إلى كل الأزواج والزوجات أن استوصوا بشركاء الحياة خيرا خاصة المرضى منهم ، ولا تؤجلوا العطف عليهم والرحمة بهم إلى موعد لاحق ، لأن الأعمار قصيرة ولا تبخلوا عليهم بالمودة الخالصة ولو طال بهم المرض ، فالمريض هو بركة البيت ووديعة الله التى أودعها بين أيدينا والتى يستردها إليه متى يشاء ، فإذا كنا نحافظ على « أمانة » بعض البشر إذا استودعونا إياها ، فكيف بأمانة الله حين يأتمننا عليها .. رحم الله زوجى الحبيب وغفر الله لى إذا كنت قد قصرت فى بعض حقه والسلام عليكم ورحمة الله .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من أنبل أحوال الإنسان أن يشعر أحيانا بالرغبة الصادقة فى أن يفيد الآخرين بدروس تجربة الألم الذى عاناه ، لعلهم يتفهمون « الرسالة » ويتفادون الأشواك قبل فوات الأوان .. ورسالتك الحزينة هذه يا سيدتى تقول لنا الكثير والكثير مما يستحق أن نتأمله ونتفكر فيه طويلا ، إذ تقول لنا بأبلغ عبارة : انتهزوا فرصة الأيام فإنها لا تطول ، ولا تفسدوها عليكم وعلى شركاء الحياة ومن حولكم بالشقاق والجفاء والنزاع حول أتفه الأسباب .. واملأوا عيونكم من وجوه الأحباب والأعزاء فلعلكم لاترونهم بعد حين ، وارتفعوا فوق الصغائر والدنايا والسفاسف لتجعلوا من رحلة العمر إبحارا سعيدا فى بحر السلام ، فغدا سوف تصل السفينة إلى مرفئها الأخير ويفترق الركاب .. فإذا كان الأمر كذلك .. ومنذ قديم الزمان ، فلماذا نفسد على أنفسنا غالبا أيام الرحلة القصيرة بالتشاحن والأحزان والإيلام؟.. ولماذا لانرضى بما سمحت لنا به الحياة من أسباب ونستكشف أسرار الهناء فيها ونقنع بها .. ولماذا لا يجعل كل منا من « فرصة » الأيام المتاحة له ذكرى جميلة يتأسى بها الآخرون وترقد قلوبهم حين يسترجعونها بعد المغيب ؟ .. بل ولماذا أيضا لا نستمتع باللحظة الطيبة الراهنة مهما كانت خاطفة ونفسدها أحيانا على أنفسنا بالخوف المرضى من المستقبل المجهول أو بجلد الآخرين بسياط الكدر والتجبر وجرح المشاعر؟!

إن هذا هو بعض ما تقوله لنا رسالتك النبيلة هذه، لكن آفة الإنسان دائماً هى النسيان، ومن أسف أن البعض قد يتعامل مع الحياة فى بعض الأحيان وكأنها رحلة أبدية لانهاية لها، فيتمادى فى الحمق واللجج والإيلام، حتى لتصبح الحياة بدونه أكثر سلاما وأقل عناء بالنسبة للآخرين منها فى حال وجوده بها، ولو توقف الإنسان لحظة وتذكر أنه ليس سوى راكب فى قطار قد يغادره فى أية لحظة لتعفف عن كثير من الدنايا والضغائن ولحاول أن يجعل رفقته لمن حوله صحبة هانئة، وذكرى طيبة ترق لها القلوب حين تستعيدها فى قادم الأيام إذ أى «ذكرى» يتصورها لنفسه من كانت حياته وأيامه وبالا على من حوله وهم عادة أقرب الناس إليه؟

وبماذا «ينوح» عليه من أحال حياتهم ولياليهم إلى جحيم كجحيم السعير إذا حم عليه القضاء بعد حين؟

أما أنت يا سيدتى وزوجك الراحل يرحمه الله.. فلقد فهمتما جيدا حكمة الحياة وسرها المكنون حين تراضيتما على القبول بأقداركما والاستمتاع بكل لحظة من عمر السعادة المتاح لكما، فنعمتما معا بأطيب الأوقات حتى فى لحظات الألم، وتبادلتما أجمل المشاعر، وتعاونتما معا على عناء المرض وآلامه.. وكل منكما يشعر بسعادته فى العطاء للآخر كما ينبغى دائماً أن يسعد بذلك المحبون الصادقون، والأديب الفرنسى جى. دى. موباسان يقول لنا انه حين يتحاب إثنان حبا صادقا ونبيلا، فلن يسعدهما شىء أكثر من المنح والعطاء.. كل منهما للآخر، فيعطى المحب كل شىء لمحبوبه ويشعر بلذة المنح، ويخاطر بكل شىء لإسعاد من يحب.

ولقد أعطاك زوجك الراحل الكثير والكثير من قلبه ومشاعره وحياته، وأعطيته أنت أيضا الكثير والكثير من نفسك وقلبك وعطفك وحنانك، حتى لم تعد تهنأ له أوقاته إلا فى القرب منك، فهل كثير على من كان مثلكما ورضيا بأقدارهما وصدق عزمهما معا على الاستمتاع بكل رشفة من رشفات كأس الأيام، أن ييسر الله سبحانه وتعالى لهما كل ما يريدان، فيحققا لنفسيهما كل ما أراداه وما حلما به قبل أن تعزف موسيقى الحياة أناشيد الختام؟.. وهل تتشككين حقا فى أن شريك حياتك قد غادر الحياة وهو عنك راض، وهو الذى تمناك صادقا زوجة له فى الآخرة كما كنت زوجة طيبة ومخلصة له فى الدنيا؟.. لقد قرأت رأيا لمفتينا الجليل فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى، يقول فيه إن أزواج الدنيا يلتقون فى الآخرة إذا كانوا صالحين، فكيف لايلتقى أمثالكما فى دار النعيم وقد كنتما حقا من الصالحين؟

لقد أنزل الله عليك سكينته يا سيدتى امتدادا لتقبلك منذ البداية لأقدارك وتسليمك بها بلا سخط ولا شكوى.. ومن رضى فله الرضا.. ومن سخط فله السخط كما جاء فى مضمون الحديث الشريف.. وفى دفء الذكرى الجميلة.. تجد القلوب الحزينة بعض سلواها وبعض قدرتها على مواجهة تغير الأيام التى لا تستقر على حال واحدة فى كل الأحوال .

وهذا موقف دينى ونفسى وعقلى حكيم وسليم من الحياة يسمح للعاقل وحده بأن يرضى عن كل ما حملته إليه أمواج الحياة، وبأن يتذكر عند اشتداد الأنواء ماسبق أن نعم به فى أوقات الصفاء، فيشكر ربه على كل حال، ويطلب عونه على ما يوجهه من عناء ويذكر نفسه بقول الشاعر العربى البهاء زهير:

لا تعتب على الدهر فى خطب رماك به
إن استرد فقد طالما وهبا
حاسب زمانك فى حالى تصرفه
تجده أعطاك أضعاف الذى سلبا

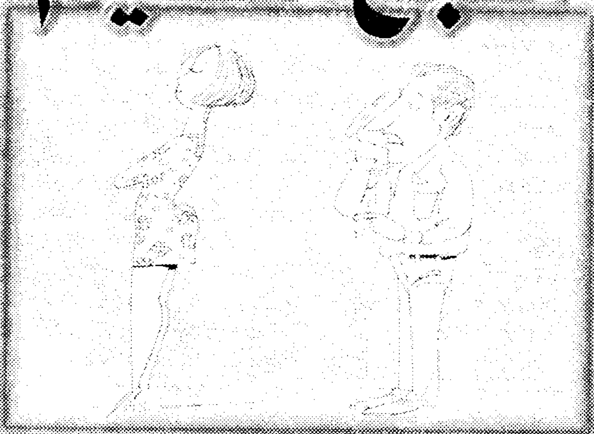
لكن متى تعامل الإنسان مع الحياة بهذه النظرة الحكيمة الراضية؟.. ومتى تذكر ما أعطاه الدهر، وهو يندب ما سلبه منه.. فلا يذكرن شيئا إلا ما فقد!

لكن هذه قصة أخرى لا مجال لها الآن.. ورسالتك نفسها محاولة مشكورة لتنبيهنا إلى أن «نتذكر» نحن أيضا فى أوقات الضيق، ما سبق أن سخت علينا به الأيام فى حال الرضا فنقبل بأقدارنا فى «حالى تصرفها» وليس فى حال الإقبال والمنح فقط.. فشكرا لك عليها.. ودعاء لك من القلب بأن تعوضك الأيام عن كل ما سلبته من هنائك وأمانك وسعادتك.. والسلام...

١٤

٣٠ قصة حب واقعية

النبع القديم



فكرت فى أن أكتب إليك منذ ثمانى سنوات.. ثم جرفتنى الأحداث وعدلت عن رغبتى إلى أن جد ما يدعونى لها منذ فترة قصيرة. فأنا جامعية أعمل فى مجال مهنى له طبيعة عملية وقد نشأت فى أسرة من أسر الطبقة المتوسطة التى تجعل من الأبناء هدفها الأول وتوفر لهم مطالب تعليمهم على حساب احتياجات الأبوين، وكنت كبرى أخوتى الثلاثة فتخرجنا جميعا فى كليات عملية وحققنا لأبى الموظف بإحدى الوزارات وأمى ناظرة المدرسة الابتدائية أملهما فى الحياة، وأسعدناهما لقاء ما قدما لنا من حب ورعاية وتضحيات غالية، حتى كان أبى وأمى يذهبان ويعودان من عملهما من اليوم الثالث فى الشهر وليس فى جيب احدهما جنيه واحد بعد دفع الايجار والكهرباء ومصروف الأبناء ونفقات دراستهم وديون البقال والجزار إلخ، ورغم ذلك فلقد كان بيتنا دائما من انظف البيوت ومفتوحا للأهل والأقارب، وكنا نرتدى أجمل الملابس فى حدود قدراتنا وكانت «البركة» تعشش على بيتنا فتمضى به «مستورا» إلى نهاية الشهر. والحب يظلله فلم ار أو أسمع فى بيتنا كلمة نابية ولم نشعر نحن الأبناء الأربعة فى يوم من الأيام بوجود نزاع أو خلاف بين أبى وأمى، حتى تمنيت حين اقتربت من سن الشباب أن اتزوج رجلا طيبا حنونا مثل أبى وأعيش معه فى وئام حتى نهاية العمر، وتخرجت فى كليتى وأنا فى الحادية والعشرين من عمرى وعملت بإحدى الهيئات، وتعاملت مع الزملاء بروح الود والاحترام التى تربيت عليها فى أسرتى وخلال شهور من التحاقى بهذه الهيئة اقترب منى زميل بالإدارة جمعنا معا عمل مشترك فى اكثر من مشروع ولقى عملنا نجاحا وتشجيعا من رؤسائنا، فاصبحوا يختاروننا معا لإعداد مثل هذه المشروعات ثقة فى قدراتنا. وأثمر التعاون المستمر بيننا فى العمل ثماره المتوقعة، وصارحنى زميلى بإعجابه ورغبته فى الارتباط بى ولم أكتم عنه فرحتى وصارحته بأننى قد تمنيته لنفسى منذ تلازمنا فى العمل واكتشفت مميزاته وقدراته التى أثارت اعجابى. وكانت المشكلة الوحيدة التى دفعته للتردد فى طلب يدى هى ضعف إمكانياته المادية وشكه فى أن تقبله أسرتى كما يوحى له

بذلك مظهرى ووظيفة أبى الكبيرة، وطمأنته من هذه الناحية، وشجعته على لقاء أبى، فجاء إلى بيتنا خجولا مترددا، ورحب به أبى ترحيبا حاراً أشعره بالاطمئنان والثقة، وحين جاء موعد الحديث عن الماديات سأل زميلى أبى عن طلباته منه ففوجىء بأبى يسأله عما معه من مدخرات ويؤكد له أنه لايريد أن يرهقه بالاستدانة وإنما يقبل منه مامعه ولو كان بضعة جنيهات، لأن «المادة» لاتصنع سعادة وإنما يصنعها التفاهم والوئام بين الطرفين.

وتزوجنا خلال عامين تشاركنا خلالهما فى إعداد متطلبات الزواج وشقة الزوجية، وسعد أبى وأمى وأخوتى بزواجى وتعاونوا جميعا على تقديم كل ما فى طاقتهم لإتمامه، وبدأنا حياتنا الزوجية مستبشرين بكل خير. وتبادلت مع زوجى الحب والإخلاص، وكشفت لى العشرة المشتركة عن باقى جوانب شخصيته، فوجدته إنسانا طيباً أقرب إلى طبيعة الأطفال ويشعر بخوف غامض من المستقبل ويحتاج إلى صدر حنون يشعره بالثقة فى نفسه وفى الحياة، وفسرت ذلك بطفولته التعيسة التى عاشها بين أبوين منفصلين وبالحرمان المادى الذى عانى منه معظم فترات حياته. وتأكدت من ذلك حين فوجئت بزوجى بعد أيام من الزواج يصارحنى بأنه لايريد الانجاب قبل خمس أو ست سنوات حتى لا يعوقنا عن تحقيق نجاحنا المهنى، ولكى نوفر لانفسنا وأطفالنا مستوى أفضل للحياة، وحاولت اقناعه بخطأ هذه الفكرة وبحاجتى العاطفية لإنجاب طفل فلم أنجح معه، فقد كان ينهى المناقشة دائما بأنه لايريد أطفالا قبل أن يوفر لهم الحياة المناسبة حتى لايعانوا ما عانى منه فى طفولته.

وسلمت لرغبته رغم عدم اقتناعى بها، ورفضت نصيحة أمى بالحمل ووضعه أمام الأمر الواقع احتراما لرغبته وتعففاً عن خداعه، وشجعنى على ذلك اننى وزوجى كنا نمضى معا ساعات طويلة كل يوم فى العمل، ولا نكاد نفترق بعده، مما أشعرنى بامتلاء حياتى وثرائها.

ولاحظت بسعادة أن زوجى يزداد اعتمادا علىَّ فى كل شئون الحياة حتى ليبدو «تائهاً» لو اضطررت للسفر لمدة يومين بمناسبة عائلية. وأنه كان إذا عمل فى مشروع خاص به فى العمل لا يطمئن إلى نتيجة عمله إلا إذا أكدت له سلامته وجودته.

ومضت الحياة بنا فى سعادة ونجاح فى العمل وتحسنت ظروفنا المالية كثيرا وأكملنا تأثيث شقتنا واشترينا سيارة صغيرة وترقى زوجى فأصبح

رئيسا لقسم من أقسام العمل. وأصبحت انا رئيسة لقسم أصغر بغير أن يتوقف التعاون بيننا، وذكرت زوجى بوعده لى بالإنجاب بعد تحسن الأحوال بعد مضى ٥ سنوات على زواجنا فاستمهلنى عامين آخرين بالرجاء والتوسلات الحارة، وبعد عامين رجعت للإلحاح عليه بأمنيتى القديمة خاصة وقد قاربت الثلاثين فوافق بلا حماس وحملت فلم يكتمل حملى للأسف وتعرضت لمتاعب صحية انتهت باجهاضى بعد أربعة شهور، وحزنت لذلك حزنا شديدا أما زوجى فلم يكترث لما حدث ولم يحزن، وحاول اقناعى بعدم تكرار المحاولة تجنباً للمشاكل الصحية لكن حلم الأمومة ظل يراودنى بإلحاح، وتنقلت بين الأطباء طلبا للعلاج.. وعرفت منهم اننى أعانى من بعض المشاكل فى الإنجاب لكن فرصتى ليست ميئوساً منها.. وأننى لو كنت قد بدأت الحمل والعلاج فى سن مبكرة لكانت فرصتى أكبر وشعرت حين عرفت بذلك ببعض اللوم لزوجى الذى أصر على تأجيل الإنجاب منذ البداية، لكن حبى له لم يتأثر، بل ازددت تعلقاً وارتباطاً به بعد أن أصبح هو طفلى الوحيد فكررت محاولة الحمل والاجهاض ثلاث مرات وكلها تمت رغم معارضة زوجى، وفى النهاية صارحنى بأنه لا يحب الأطفال ولا يريدهم ولا يستطيع تحمل مسئولياتهم وأنه يريدنى له وحده كل الوقت، وسلمت بإرادة الله وكففت عن المحاولة بعد تحذير الطبيب لى من خطورتها اخر مرة وتركزت كل آمالى فى زوجى وفى عملى وأصبح كل نجاح يحققه فى عمله عزاء جديداً لى عن حرمانى من الانجاب، ولم يكف زوجى أبداً عن تذكيرى باننا لو كنا قد انشغلنا بمتاعب الحمل وتربية الأطفال من البداية لما كان قد حقق ما حققه من نجاح.. ولما حققت انا ما حققته من تقدم، وكنت اقنع نفسى بما يقول حتى لا أزيد من حرمانى.. وتسليت عن ذلك بعملى ومتابعة عمل زوجى ومساعدته فيه وباطفال أختى الصغرى وأخى الأوسط، وكان يسعدنى كثيراً أن ألمس ما يناله زوجى من احترام فى مجال عملنا حيث يشهد له الجميع بالنبوغ والابتكار ويشيدون بقدراتى واجتهادى.

وكان لزوجى قريب شاب من الفرع الثرى فى أسرته فى حين كان زوجى من الفرع الفقير فيها، فجاء إلىّ هذا القريب ورجانى أن أوصى زوجى بزوجته الشابة التى عينت حديثا فى إدارته لكى يمنحها بعض خبرته فى مجال عمله ويرسخ أقدامها فى المهنة. وكنت احترم هذا القريب لما سمعته

من زوجى من أنه أحب زوجته وهو طالب معها فى الجامعة، وكانت من أسرة مكافحة للغاية فاقنع بها والديه بعد عناء كبير وتزوجها وتكفل بكل نفقات الزواج وحده ونقلها من حياة شديدة التقشف إلى حياة مريحة واحبها بإخلاص ولم يشعرها ذات يوم بانه أفضل منها فى شىء رغم الفارق الاجتماعى الكبير بينهما.

فحدثت زوجى بشأنها فلم يتحمس لمساعدتها وقال لى عنها أنها فتاة انتهازية كانت مخطوبة لشاب مكافح مثلها وساعدها كثيراً مادياً فى دراستها، ثم رأت فى قريبه فرصة افضل لحياة أرقى فتخلت عن خطيبها الذى ارتبطت به ثلاث سنوات بمجرد أن شعرت بتمكنها من قلب قريبه الشاب ولم تتردد ولم تضعف أمام توسلات خطيبها السابق، بل انقلبت عليه تحاربه وتستثير ضده اهلها حتى ارتد عنها يائساً وكافراً بالحب والإخلاص. ووجمت لما سمعت منه لكنى رجوته أن يجامل قريبه بمساعدتها فى أضيق الحدود. وجاءنى قريب زوجى ومعه زوجته ليشكرانى فترددت بين الترحيب بها والنفور منها لما سمعته عنها، لكنى لاحظت أن ما قاله زوجى عنها صحيح إلى حد كبير فقريبه هو المتيم بها أما هى فجامدة المشاعر ومسيطرة عليه بشكل واضح ورغم تحفظى معها فلقد راحت تطاردنى فى الإدارة التى أعمل بها وتجاملنى فى المناسبات، وفهمت انها تحاول التعبير عن وفائها لى لأن زوجى قد قام بتدريبها فعاملتها بادب وتحفظ فى نفس الوقت، ومضى عامان اشتريت خلالهما سيارة صغيرة لتنقلاتى.. ثم فوجئت ذات صباح بقريب زوجى يدخل علىّ مكتبى وهو منهار ومهوش الشعر وعيناه محمرتان، ويروى لى فيما يشبه الهذيان أن زوجته المحبوبة قد هجرت البيت وتركت له طفله الوحيد وتطلب الطلاق بإصرار، وتعجبت لما قال وتألمت لحاله وسألته عن سبب هذه الكارثة فسألنى مذهولا: الا تعرفين حقا؟ فأكدت له عدم معرفتى بالسبب فإذا به يقول لى أن زوجته قد استولت على عقل زوجى وأنه يعتزم أن يطلقنى ويتزوجها بعد طلاقها منه!

ومادت بى الأرض وهو يتحدث معى حتى خيل إلى اننى أراه أكثر من شخص واحد أمامى، ورفضت تصديقه بل ونهرته صارخة وتركته فى مكتبى وهرولت إلى المبنى القريب الذى تقع فيه إدارة زوجى ودخلت عليه مكتبه فإذا بى اجدها جالسة أمامه تضع ساقا فوق ساق والسيجارة فى

يدها والابتسامة العريضة تغطى وجهها، وارتعب زوجى حين رآنى واصفر وجهه أما هى فقد ظلت محتفظة بهدوئها وثباتها ونهضت بتثاقل وقالت: «عن اذنكم» ثم خرجت بخطوات بطيئة كأن الأمر لا يعنيها فى شىء!

وقبل أن انطق بكلمة واحدة سمعت زوجى يقول لى بصوت مرتجف: أرجوك.. لا داعى للمشاكل فى العمل.. ولنخرج معا لنتحدث فى الخارج». وخرج معى وركب سيارته التى اشتركنا فى ثمنها فى سنوات البداية وسألته عما سمعته: فإذا به يقول لى وكأنه مغلوب على أمره كأنه شىء لا حيلة له فيه «هذا أمر الله.. ولا يد لى فيه!» سالت دموعى كالمطر وسألته هل قصرت فى حقه فى شىء.. هل شكا شيئا منى.. هل أسأت عشرته أو معاملته فكان يجيب عن كل سؤال بالنفى وهو منكس الرأس. إلى أن سألته هل ينقصه شىء معى؟ فإذا به يجيبنى بلا حياء: نعم.. الأطفال! ياربى! الأطفال؟ الأطفال الذين قلت انك تكرههم ولا تتحمل مسئوليتهم وأخرت حملى بهم سبع سنوات حتى ضعفت فرصتى فى الإنجاب؟ سألته عن كل ذلك فلم يجب سوى بالصمت..

وتوسلت إليه ألا يحطم حياتى وقلبى بعد أن بلغت الثامنة والثلاثين وسهرت ليالى طويلة أناقشه وأحاوره بصبر غريب وأذكره بحبنا وكفاحنا وذكرياتنا المشتركة، وأشركت أسرتى معى فى مصيبتى ولأول مرة فتهرب من لقاء أبى.. ووسطت لديه أصدقاءنا ورئيسنا فى العمل وهو رجل طيب وعطوف بلا أية نتيجة، ولامنى شقيقى وشقيقتى على ما تدهورت إليه من استجداء لزوجى لكيلا يتخلى عنى وعرضت عليه حين يئست منه أن يتزوجها وينجب منها بشرط الا يطلقنى مع ما فى ذلك من قسوة شديدة على نفسى، لكنه رفض حتى هذا العرض منى، وكان مبرره للرفض «أنها» لا تقبل به!

وكان قد هجر البيت ونقل ملابسه ومتعلقاته بعد بداية الأزمة بأيام فسلمت أمرى لله وتم الطلاق بيننا وتنازلت له عن كل حقوقى مقابل أن يتنازل لى عن الشقة التى تشاركنا فى دفع خلوها وحصلت على أجازة من عملى لمدة شهر وسافرت إلى الاسكندرية حيث تزوجت شقيقتى الصغرى وأمضيت أيام الأجازة لا أكاد أغادر الفراش، وعدت للقاهرة فطلب منى أبى العودة للإقامة فى بيت الأسرة لكنى رجوته باكية أن يسمح لى بالاستمرار فى شقتى التى عشت فيها ١٣ عاماً حتى لا يتضاعف احساسى بالفشل

والمرارة، وبعد فترة من السقم والمرض رجعت للإقبال على عملى وكان قريب زوجى قد طلق زوجته منذ شهور وتعامل معها بكرم كما كان فى البداية وأعطاها كل حقوقها، فتزوجت من زوجى السابق وحملت وراحت تتفاخر بحملها وتشكو من متاعبه أمام زميلات العمل لينقلن لى حديثها.. فكنت أحس كلما سمعت شيئا من ذلك أن سيخا من الحديد المحمى فى النار يخترق صدرى، وراح زوجى السابق سامحه الله يفعل معها ما كان يفعله معى فلازمها فى العمل والبيت وفى كل مكان.. ويشركها معه فيما يقوم به من أعمال خاصة وادر عليها المال. وهى «تتوجع» من آلام الحمل وتشترى المصوغات الذهبية وتستعرضها أمام الزملاء حتى وضعت مولودها، وفى وسط هذه الآلام فوجئت بزوجها السابق يحاول الاقتراب منى ثم يعرض علىّ الزواج بإلحاح! ولست انكر اننى فكرت فى الأمر لعدة أيام. ربما بدافع الرغبة فى الانتقام لكرامتى المجروحة.. وربما بدافع الرغبة فى الانتقام من زوجته الغادرة حين يكون طفلها الذى تخلت عنه فى رعايتى لكنى بعد أن هدأت انفعالاتى بعض الشىء اعتذرت له عن عدم رغبتى فى الزواج لمجرد رد الطعنة أو إيلام من عذبونى وحطموا حياتى سامحهم الله، فهو رغم احترامى له وتقديرى لشخصه يصغرنى بسبع سنوات. لكنه لم ييأس وقابل أبى وشقيقى وحدثانى فى أمره ثم انتهيا إلى موافقتى فى قرارى بعد معارضتهما.

وانطويت على نفسى فى مسكنى.. ورحت أؤدى عملى وأزور أبى وأمى وشقيقاتى، ومن حين لآخر أسمع عن زوجى السابق أخبارا غير طيبة، فلقد اغلقت فى وجهه بيوت جميع أصدقائنا المشتركين الذين كنا نزورهم ويزوروننا والذين استاءوا مما فعل وتعاطفوا معى. وفقد كثيرا من احترامه السابق لدى رؤسائنا فى العمل حتى عدلوا عن ترشيحه لمنصب اشراف كان هو المرشح الطبيعى لشغله، واختاروا له زميلا أحدث منه فى الخبرة، وكان تفسير رؤسائنا لذلك انه لم يعد نفس الشخص الذى كان جادا وملتزما فى عمله، فلقد قل تركيزه فى العمل وكثرت اجازته ومالت موازينه فأصبح يحشر زوجته فى كل لجنة وكل مشروع له مكافآت خارجية بلا خجل.. حتى أصبحت «الست» هى الرئيسة الفعلية للإدارة التى يرأسها وتشمخ بأنفها على مرءوسيه وكلما حدث شىء من ذلك دعانى رئيسنا الذى حاول التوسط بينى وبينه خلال الأزمة ورواه لى متعجبا مما تدهورت إليه أحوال

زوجى السابق الذى أصبح على حد تعبيره «زوج الهانم» المسلوب الإرادة والكرامة معها.. فلا أعلق بشيء سوى بكلمات الأسف، ثم يسألنى رئيسى: لماذا لا تتزوجين وانت مازلت شابة وجميلة؟.. فأجيبه باننى لن افكر فى الزواج حتى أبرأ من كل جراحى وواصلت حياتى ومن حين لآخر يتقدم لى عريس عن طريق الأهل أو الزملاء فلا أجد فى نفسى الرغبة فى الزواج. ووفقنى الله فى عملى فحققت فيه نجاحا كبيراً ورشحتنى الهيئة للسفر فى منحة تدريبية بالخارج لمدة ثلاثة شهور، فسافرت وشاهدت دنيا جديدة ومختلفة، ورجعت إلى عملى بروح جديدة وأكرمنى الله أكثر وأكثر فإذا بالهيئة ترشحنى لنفس المنصب الاشرافى الذى كان زوجى مرشحا له من البداية بعد ترقية شاغله، فوجدت نفسى رئيسة لزوجى السابق وزوجته وتحرجت من ذلك لكن زوجى السابق قدم لى الحل من حيث لاأدرى.. فقد طلب نقله هو وزوجته من هذا القطاع كله، ونقلا إلى قطاع آخر وسألت نفسى هل مازلت أحمل له فى قلبى بقايا الحرارة القديمة؟.. فوجدتنى أجيب عن تساؤلى بالنفى فلقد عوضنى ربى عن غدره بى بالكثير والكثير فترقيت فى عملى وأحاطنى الزملاء والرؤساء بحبهم واحترامهم لعملى وجديتى فيه، وأنا محبوبة والحمد لله من أسرتى واخوتى وأقاربى ومن الأصدقاء القدامى الذين حافظوا على وفائهم لى.. فى حين انطفأ بريق زوجى السابق وخبا اسمه فى العمل بعد أن كان مرشحا لأعلى المناصب، أما زوجته فقد أصيبت أطماعها بنكسة شديدة بعد تعثر أحوال زوجى وفقده لكثير من موارده الخارجية.. وسمعت عن كثير من المشاكل جرت بينه وبينها لأسباب مادية فضلا عن انه لم يعد له أصدقاء سوى أصدقاء زوجته وكلهم يصغرونه بعشر سنوات على الأقل.

وتسألنى بعد كل ذلك لماذا أكتب لك بعد ثمانى سنوات من رغبتى الأولى فأقول لك أننى أردت أن أستشيرك فى أمرى وأنا فى قمة الأزمة قبل طلاق زوجى لى، وأما فى المرة الثانية فلقد كتبت لك لأقول أن «جوائز السماء» التى تعد بها الصابرين والمهمومين قد هطلت علىّ والحمد لله.. ومنذ أيام فاتحنى رئيسى السابق الذى توسط بينى وبين زوجى للمرة الرابعة فى الزواج منى بعد أن نقل إلى وظيفة مرموقة خارج الهيئة.. الح علىّ فى قبوله مؤكدا لى أنه يحمل لى حبا واحتراما قديمين، وأمهلنى ثلاثة أسابيع لأعطيه ردى النهائى لأنه مرشح لوظيفة فى هيئة دولية سيسافر إليها خلال

شهور. كما أنه أرمل منذ ست سنوات وله ولد وحيد فى سن الشباب، وعلى وشك الزواج. وقد زارنى هذا الشاب وحده ليتعرف علىّ ويرجونى الانضمام لأسرته، فانفتح قلبى له منذ رأيته.

وسألت نفسى.. ماذا يمنعنى حقا من أن أكون أما لهذا الشاب المهذب الخجول، فأساعده فى شئون زواجه وأشير عليه بما يفعله فى شئون الحياة والزواج؟.. اننى احترم اباه كثيرا واستريح لشخصه العطوف وأحمل له فى قلبى تقديرا كبيرا وأشعر اننى على استعداد لأن أحبه فى أية لحظة، وهو رجل جاد وفاضل فماذا يمنعنى من الارتباط به وبابنه؟

لقد وعدته بالرد عليه فى نهاية المهلة فإذا بزوجى السابق يظهر فجأة فى مكتبى من تحت الأرض ويبكى ويطلب منى الصفح والمغفرة ويقسم لى أنه لم يسعد بيوم واحد من أيام حياته مع «الأخرى» وأنه مازال يحبنى كما كان قبل هذه «الغمة» ويريد أن يرجع كل شيء لأصله ونعيش معا كما كنا ويطلق زوجته المتسلطة ويرد لى اعتبارى أمام الجميع!.. فسخرت من رغبته وأفهمته استحالة أن تمحو الأيام من قلبى مرارة مافعله بى، لكنه لم ييأس منى وراح يطاردنى فى كل مكان ويتصل بى ويقسم لى بالدموع أن الحب كفيل بإزالة كل المرارات وأننا نستطيع أن ننهل من نبع الحب القديم كما كنا نفعل فى حياتنا السابقة، ويطالبنى فقط بالنسيان وستزول كل الآلام فى لحظات!

إن قرارى شبه واضح فى ذهنى لكنى أريد أن أتأكد من صحته منك لثقتى فى سداد رأيك كما أريد أن أسألك أيضا هل يمكن حقا أن تكون لى مع زوجى السابق حياة سعيدة غارقة فى نبع الحب القديم وبلا أية مرارات كما يقول لى؟

وهل يمكن حقا أن أنسى له ما فعله بى وأرجع إلى التعامل معه بنفس الصفاء القديم الذى كان بيننا؟ أم أنها مجرد مغالطات جديدة من مغالطاته يريد أن يبرر بها رغبته فى العودة لى بعد أن تفاقمت الخلافات بينه وبين زوجته وأصبحت مشاكلهما شائعة فى بيوت الأصدقاء، ومنها اتهامها له بكراهية ابنها وعدم الاهتمام به؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

قرارك شبه الواضح فى ذهنك هو القرار الصائب الوحيد فى مثل ظروفك هذه. إذ أنه حتى لو كان زوجك السابق صادقا فى ندمه على زواجه من

الأخرى ، فهذا شأنه الذى ينبغى أن يتحمل تبعاته وحده ويتعامل معه بعيدا عنك وعن حياتك بما يلائمه من قرارات واختيارات وليروِّض زوجته على ما يشاء ويرغب أو فليتحمل حياته معها من أجل «الطفل» الذى برر به غدره بك وتشكو الآن زوجته من كراهيته له واكاد اصدقها فى ذلك لأن «الطفل الكبير» قد يضيق بالطفل الصغير إذا زاحمه فى شىء أو اضطره للتضحية من أجله ببعض رغباته.

وزوجك السابق طفل كبير حقا ياسيدتى.. وقد كنت أنت الأم والزوجة والصديقة له حتى نصبت الأخرى شباكها حوله طموحا الى حياة ارقى، تماما كما فعلت مع زوجها السابق الذى تعلقت به لينقذها من ظروفها الاجتماعية المتدنية وتخلت من أجل ذلك عن خطيبها الأول بلا رحمة. ان بعض الناس كما يقول لنا شكسبير العظيم فى مسرحيته «يوليوس قيصر» يطأون درجات السلم لكى ترفعهم الى أعلى فما أن يصلوا الى غايتهم حتى يشعروا بازدراء للدرج الذى رفعهم إليها، وهذه السيدة من ذلك النوع من البشر فيما يبدو، وقد أصيب طموحها الاجتماعى والمادى بطعنة مؤثرة حين تدهورت أحوال زوجك السابق وتأخر أو توقف صعوده الى الدرجات العلا، فانتابها ما ينتاب أمثالها من ضيق مفاجىء بالسلم الخائب العاجز عن بلوغ الغاية!.. وأيا كان شأنه معها أو شأنها معه فهذا أمر يخصهما وحدهما لا شأن لك به، وما يطلبه منك زوجك السابق ليس حلا لمشكلة حياتك وآلامها وإنما هو حل لمشكلة حياته التى صنعها لنفسه بضعفه أمام سحر تلك المراة وانقياده لها وخيانته لعهد الوفاء فلا تنخدعى بما يحاول ايهامك به من أن «الحب» وحده كفيل بمحو المرارات وإزالة البقع شديدة السواد من الثوب الأبيض، أو من انك سوف تنهلين معه من نبع الحب القديم وتعيشان معا مرة أخرى فى سلام ووئام. فهذا النبع قد جف ماؤه منذ زمن طويل ولم تبق به سوى حصى الغدر والآلام، ولو كانت به بقية من مائه العذب لما استشرتنى فى أمرك من البداية ولضعفت أمام دموع من لم يرحم دمعك وضعفك وتذللك إليه من قبل، كما انك لم تعودى نفس الانسانة التى كانت حين كان ماء النبع جاريا نقيا، ولا هو أيضا نفس الرجل الذى كان، فالانسان يتغير ويتغير مزاجه النفسى من مرحلة الى مرحلة من العمر، وإذا كان قد اتيح للانسان أن يبدأ حياة جديدة بعد مرحلة من العناء والآلام، فلماذا يبدأها بمجاهدة النفس لنسيان الذكريات

المؤلمة وهو امر غير مؤكد النجاح، وفى مقدوره أن يبدأ صفحة أخرى خالية من كل الشوائب والأدران؟

ياسيدتى ان الثوب الجديد ناصع البياض اكثر نقاء ووعدا بالصفاء من الثوب الملوث الذى سنجاهد جهاد الأبطال لازالة آثار الأدران القديمة منه وقد ننجح فى ذلك وقد لا ننجح، وفى مثل ظروفك فلأن نبدأ بناء بيت جديد لم تخالطه المرارة والأحقاد أيسر وأكثر ضمانا للنجاح والاستمرار من أن نحاول تجديد بيت متهالك نخر سوس الغدر والخيانة فى وعائه.

كما اننى فى مثل ظروفك هذه من أنصار مذهب فيلسوف الصين العظيم كونفوشيوس الذى يقول: قابل الرحمة بالرحمة وقابل القسوة بالعدل!

والعدل فى قصتك هو الا تتحملى تبعات جناية زوجك عليك مرتين، مرة حين انقاد وراء مشاعره واهوائه، ومرة أخرى حين تكشفت له تجربته معها عن التعاسة والشقاء. فالشرفاء يتحملون تبعات أفعالهم ولا يطالبون الضحايا بمشاركتهم نتائجها وتقديم المزيد من التضحيات لهم، والقرار الحكيم الذى ينبغى لك أن تتخذيه هو قبول الارتباط بذلك الرجل الفاضل الأمين الذى تشعرين باستعدادك للتجاوب العاطفى معه فى اية لحظة والذى تعدك الحياة معه بالأمان والاستقرار والعطاء النفسى والتعويض المناسب لأمومتك المحرومة بلا مرارات سابقة أو لاحقة، وبلا مخاوف من تقلب المشاعر أو ذيول المشاكل التى ستطارد زوجك السابق من جانب زوجته إذا ماتزوجتما مرة أخرى، كما انها ليست «خصما» يستهان به، وإنما هى «مدربة» على السيطرة والاستحواذ على من تشاء لتحقيق رغباتها، وليس مستبعدا أن تستعيد تأثيرها على زوجك السابق فى أية لحظة ولو لمجرد رفضها الهزيمة امامك.. فلماذا المخاطرة وفى مقدورنا أن ننال السعادة والأمان؟.. لقد خرج زوجك من قلبك ومن حياتك الى الأبد، لكنك وقد يكون لديك بعض العذر فى ذلك تستشعرين فقط بعض الرضا عن النفس ولا أقول الشماتة حين ترين «ثأرك» فيمن ظلمك وتجبر عليك ماثلا امامك فى ضعفه وهوانه وتذلله إليك للعودة للحياة معه. وربما راودتك ولو للحظات خاطرة أن تقبلى عرضه لمجرد أن تثأرى لنفسك من الأخرى التى دمرت حياتك بلا رحمة وتشعرى بنشوة الانتصار عليها بعد مرارة الهزيمة.. لكن الانسان لا يستطيع أن يدع لرغبته فى الانتقام أن تحدد له مسار حياته وخطواته فيها على حساب

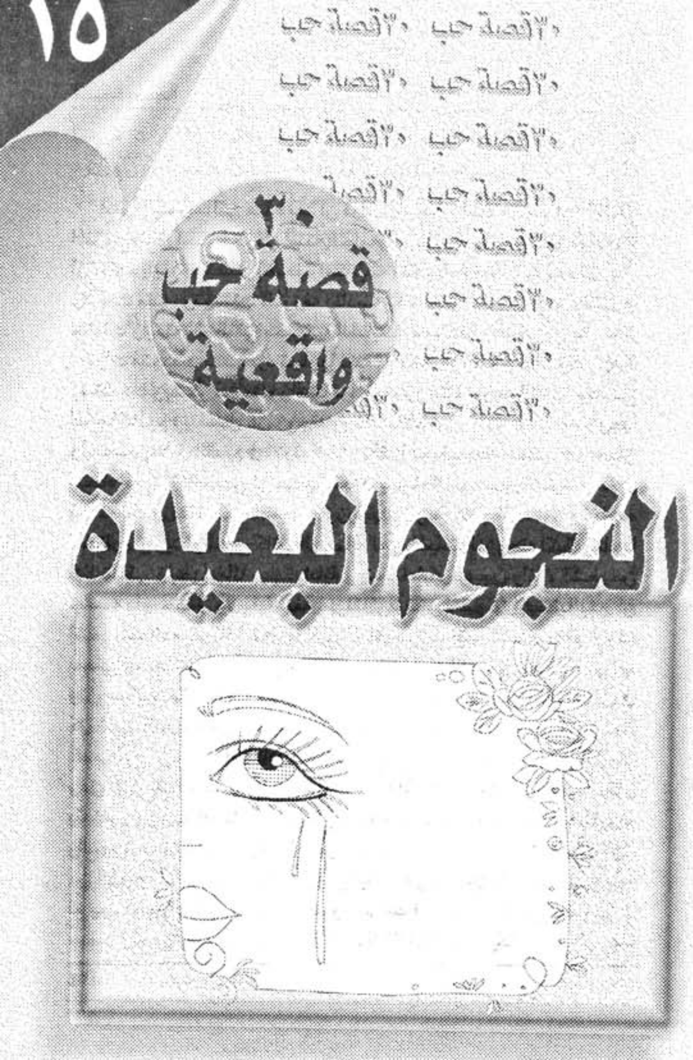
سعادته وسلامه النفسى.. فنشوة الثأر لحظة أو لحظات.. أما الزواج فحياة متصلة لا تنجح ولا تدوم لمثل هذا الدافع السلبى وحده.

ولابأس بأن نستسلم لبعض هذه المشاعر السلبية للحظات تجاه من بادرونا بالإيلام والايذاء بلا ذنب جنيناه لأننا فى النهاية بشر ولسنا ملائكة .حلقة فى السماء ولكن بشرط الا تتعدى هذه المشاعر حدود الخواطر العابرة إذا عجزنا عن الترفع عنها..

وربما كان من الأفضل أن نتسامى بها عن الشماتة فى الآخرين الى شكر العادل الذى لا تميل موازينه الذى يجزى الصابرين بصبرهم ويجزى المعتدين بعدوانهم سبحانه.. وأى جزاء ياسيدتى وأى جوائز وأى تعويض أكثر مما منحتك عدالة السماء خلال تلك السنوات العجاف؟.. لقد واصلت صعودك فى عملك حتى نلت فيه من النجاح مالم تكونى تحلمين بمثله، وربما لم يكن مؤكدا أن تصلى إليه لو لم تعترض حياتك هذه المحنة المؤلمة التى أطلقت شرارة ابداعك فى عملك..

كما انك تحظين بحب الجميع واحترامهم فى حين خبا نجم ظالمك واهتزت صورته فى أعين الآخرين.. «وما ربك بظلام للعبيد».. صدق الله العظيم..

لقد تعففت من قبل عن أن تستسلمى للرغبة فى الانتقام من ظالميك ولم تدعى لها تحديد مسار حياتك حين رفضت الارتباط بزوج الأخرى السابق لأنه لم يكن يصلح لك، بنفس هذه الحكمة والاحترام للنفس سوف تتعاملين مع نفس هذه الرغبة وترفضين عرض زوجك السابق.. وتبدأين حياة جديدة واعدة بالخير والأمان مع الزوج العطوف الذى ينتظرك ومع «الابن» الشاب الذى يحتاج لمشورتك وعطفك وهو يبدأ أولى خطواته على طريق الحياة بإذن الله..



اكتب إليك رسالتى هـذه بعد أن قرأت رسـالة « أخطاء الحيـاة » للشاب المتزوج الذى أحب خلال دراسته الجامعية زميلته لعدة سنوات وطلبت منه أن يتقدم إليها، فـاعتذر بضعف امكانياته الماديـة، فخطبت لغيره وتزوجته وانجبت منـه، وتحسنت ظـروفه الماديـة بعـد سنوات وتـزوج من أخـرى وحملت زوجته، ثم التقى بحبيبتـه السابقـة مصادفة فى الطـريق بعد عشر سنوات فتجددت مشـاعره تجاهها لكنه لم يخن زوجتـه معها.. وكتب إليك يستشيرك ويشكو من فتـور مشاعره تجاه زوجتـه.. ويسالك هل يصحح الخطأ القديم وينفصل عن زوجته ويطالب الأخـرى بالانفصال عن زوجها ويحققـان الأمل القديم فى الارتبـاط؟.. ولقد أعجبنى ردك الحكيم عليـه بأن اخطاء الحيـاة لا ينبغى أن يدفع ثمنها الأبريـاء الذين لم يرتكبـوها وهم فى قصته اطفال فتاة القلب القـديمة وزوجها وزوجة كاتب الرسـالة ومولوده المنتظر.. واريد أن أحيى كاتب الـرسالة لعدم خيانته لـزوجته لكيلا يظلمها كما ظلمنى زوجى، فأنا سيدة شابة ومنـذ خطبت لزوجى وأنا لا أشعر من جانبـه بأى حب لى ولا بأية لهفة على لقائى ومضت شهـور الخطبة بغير أن اشعر بجمال هـذه الفترة فى حياة كل فتاة بسبـب فتور مشاعـره أو بروده بمعنى اصح، ومع ذلـك فلم افقـد الأمل فى تحسن الأحـوال بعـد الـزواج، وتزوجنا بعد فترة خطبة قصيرة، وفوجئت به بعد الزواج دائم الانتقاد لى فى كل شىء تقـريبـاً من مـلابسى الى تسريحة شعـرى إلى كل تصرف أو فعل اقدم عليه.. وتحملت انتقـاداته صابرة مع أنى على درجـة عالية من الجمال وعلى خلق طيب والحمد لله ومتـدينة وحلوة المعاشرة ومن أسرة طيبـة وكان يتمنانى من هـو أفضل منه من شبـاب العائلة ومن الجيران لكنهـا القسمة والنصيب، وقد تألمت غاية الألم حين قـال لى ذات يوم ونحن فى عامنا الأول من الزواج انـه يفضل الموت على أن يعيش معى.. وحين راح يشعرنـى بأنه لم يجد لـدىَّ أى شىء يسعد بـه.. ورغم ذلك فقد تحملت آلامى النفسيـة فى صمت ودون شكـوى ولم أفكر فى طلب الطلاق لأنـه لم يكن قد مضـى عام

على زواجى إذ تخيلت ماذا سيقول الناس عنى لو طلقت وأنا مازلت عروسا فقررت الاحتمال ومـواصلة الـرحلة. وتحملت صـابرة صـد زوجى وبرود مشاعره تجاهى وانتقاداته الدائمة وانتقاصه لى فى كل شىء.. وصممت على أن ينجح زواجى رغم المؤشرات غير المطمئنـة ومنهـا طلبـه منـى تأجيل الانجاب خلال العام الأول، وقلت لزوجى ذات يوم: ماذا تريد منى أن أفعله لترضى عنى وتجد لدى مـا يسعدك؟.. واكدت له أننى سأفعل كل مـا يطلبه منى بلا ممانعة لكى يشعر بالـرضا ويتقبلنى كزوجة وشريكة حياة، فطلب منى ان اصفف شعـرى بطريقـة معينـة، وأن ارتدى مـوديلات معينـة من الملابس بالوان محددة، واستجبت لكل رغبـاته وصففت شعرى بالطـريقة التى ارادها.. واشتريت مـلابس جديدة من نفس الألـوان ونفس الموديلات التى حددهـا لى وارتديتها.. ومع ذلك فلم اشعـر بسعادته ولا بتجـاوبه، ثم ذهبت بعد ذلك بأيـام مع إحدى قريبات زوجى إلى محل اقمشـة فتصادف وجـود فتاة بـه تشترى قماشا، وأشـارت إليهـا قريبـة زوجى وروت لى أن زوجى كـان يحب هذه الفتـاة جـدا قبل زواجـه منى لدرجـة انـه يبكى من اجلها، لكنه لم يتزوجها ولا تعلم سبب ذلك، ونظرت إليها باهتمام فوجدتها فتاة عـادية جدا فى كل شىء، وليس فيهـا شىء مميز أو مثير لكنى لاحظت فقط انها تصفف شعرهـا بالطريقـة التى طلبها منى زوجى، وانها تـرتدى ملابسهـا من نفس الألوان والموديلات التـى اختارها لى، وتألمت لـذلك جدا وادركت أنها الحاجز الغامض الذى قـام بين زوجى وبينى منذ زواجنا وبلا ذنب لى. ورغم ذلك فقـد تجاهلت الأمر كأنى لم أعلم بـه وصممت على نجاح زواجى كراهيـة للفشل والطلاق والعـودة الخائبة لبيت أسرتى، وبعـد عام حملت فى طفلى الأول، وانجبتـه وتـركـز أملى فى أن ينسى زوجى أحـلامـه القديمة بعـد أن أصبح أبا وتتغير مشاعره تجاهى، فمضت السنـوات تباعا حتى بلغت ١٢ عاماً واصبح لدينا ثـلاثة اطفال، وبدأ زوجى يلين بالفعل فى معاملتـه لى بعض الشىء وبـدأ يغير من معاملتـه لى ويشعرنى بـوجودى، وسعـدت بذلك جـدا، فلم تمض ايام حتى كنت ارتب بعض أوراقـه فإذا بى اعثر بينهـا على خطاب بخط يده إلى فتاتـه القديمة علمت منه أن زوجهـا قد مات وأنها اصبحت أرملـة وصعقت بأنه يبثها فيـه حبه ويؤكـد لها أنها قد

عاشت معه فى خياله ووجدانه طوال سنوات زواجه، وانها هى حبيبة العمر وليس أحد قبلها ولا بعدها، وفهمت من الخطاب ايضا انه قد رجع إلى لقائها وانه يذهب إليها فى مقر عملها ويتقابلان فى العمل وخارج العمل.

وصدمت صدمة العمر وانا اقرأ هذا الخطاب اللعين.. وتساءلت وأين أنا من كل هذا الحب الذى هانت معه عليه حياتى وكرامتى وسعادة أطفاله الثلاثة وعشرتى الطيبة له وانا التى عاملته دائماً بالحسنى ورعيت الله فى معاملتى له طوال اثنى عشر عاما؟.. لقد انهرت عصبيا ونفسيا لايام طويلة واصبحت لا أستطيع النوم إلا بالمهدئات حتى دعوت الله عليه وعليها من كل قلبى بالا يجمع الله شملهما والا يهنأ ببعضهما البعض أبدا!

والآن.. اريد ان اسالك يا سيدى وانا احترق من الغيظ والقهر والألم.. ما هو «الشيء» الذى سيجده عندها ولم يجده عندى؟.. وهل لديه يقين بانه إذا تزوجها فسوف يسعد بها حقا أم ان مرآة الحب عمياء كما يقولون؟.. وسوف يكتشف بعد زواجه منها انها لا تستحق كل هذه التضحية ويلمس عيوبها التى لم يكن يراها من قبل بسبب حبه لها؟..

لقد فعلت المستحيل لارضائه يا سيدى .. فلم يزده ذلك إلا بعدا عنى واهانة لكرامتى.. وقد علمت انه يريد الزواج منها، وأنا الآن فى انتظار تنفيذ حكم الاعدام فى حياتى معه، وحياة أطفالى واستقرارهم، ولقد كرهته وكرهت نفسى بسبب احساسى باننى إنسانة مكروهة من أقرب الناس لى مع اننى محبوبة من جميع زملائى، كما اشعر بالرغبة الشديدة فى الانتقام من زوجى الذى انصرف عنى ولم يرع حرمة الرباط المقدس الذى يجمعنا، حتى كاد يدفعنى لان اخونه مع اى انسان اسمع منه كلمة اعجاب أو أرى منه نظرة حب، لولا أن منعنى خوفى من الله من ذلك.

فهل الزوج الذى يخون زوجته له عقاب من الله على خيانته؟.. وهل صبرى على ما فعله معى زوجى له أجر من الله لى فى السماء؟

وبماذ تنصحنى ان افعل.. هل أحافظ على ما تبقى من كرامتى وأطلب منه الطلاق خاصة وقد كرهته ولم احافظ على حياتى معه فى الأيام الأخيرة إلا من اجل أطفالنا؟.. أم تنصحنى بأن ادافع عن حياتى وحياة أولادى ومستقبلهم واستقرارهم للنهاية وبكل ما أستطيع من سلاح؟

اننى انصح كل من أحب فتاة بهذا الشكل وحالت الظروف بينه وبين أن يتزوجها الا يتزوج أبدا بعدها وبأن يقضى بقية حياته يعيش على ذكراها بدلا من أن يظلم معه بنات الناس.. والسلام عليكم ورحمة الله.

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يبدو أن زوجك ياسيدتى من هؤلاء الرجال الذين تنطبق عليهم كلمة المفكر الفرنسى جان جاك روسو التى تقول: «قد يهجر الرجل كل شيء من اجل المرأة التى يحبها»!

وقد يفعل المستحيل من أجل المرأة التى يرغب فى اجتذابها إليه، لكنه لن يحرك ساكنا من أجل المرأة التى يعلم عن يقين انها تحبه!

والحق أن بعض الرجال وبعض النساء أيضا من هذا النوع الجاحد المتبطر الزاهد فى مشاعر من يحبونه والذى يسعى دائماً وراء من لا يملك أى دليل على أنهم يبادلونه نفس مشاعره.

إنها آفة قديمة عند بعض البشر هى آفة الزهد فى الموجود والتطلع إلى المفقود، وانت يا سيدتى «الموجود» الذى كان ينبغى لزوجك أن يسعد به ويشكر ربه عليه ويرضى عن حسن معاشرتك له وسرعة تلبيتك لكل رغباته حتى ولو حولك بها إلى «مسخ» تقلدين به فتاة أحلامه القديمة.. لكن متى عرف الإنسان قيمة ما بين يديه قبل أن يفقده إلى الأبد؟.. ومتى سجد لربه شكرا وعرفانا على ما أنعم عليه به من نعم يتطلع غيره بحسرة إلى بعضها؟

لقد تناسى زوجك فى تطلعه إلى «الفردوس المفقود» ـ الذى حالت بينه وبينه من قبل ظروف الحياة ـ حقوق زوجته المخلصة عليه وحقوق أطفاله الثلاثة على أبيهم ومسئوليته الخطيرة عن استقرارهم ونشأتهم فى حياة طبيعية بين أبوين متحابين أو على الأقل متراحمين إن عزت المشاعر العاطفية بينهما.

فماذا نستطيع أن نقول لمن يطوح بأمان أطفاله الثلاثة جريا وراء حلم قديم من أحلام الشباب؟

لقد أخطأت يا سيدتى فى قراءة المؤشرات غير المطمئنة لعلاقة زوجك بك ابتداء من فترة الخطبة، إلى العام الأول من الزواج الذى أصر فيه على تأجيل الانجاب، وراح ينتقد كل شيء فيك ويعلنك بانه لم يجد لديك ما يسعد به!

ولقد كـان من الأفضل لك أن تتخـذى معه وقفـة حاسمـة فى فترة الخطبة، فيستشعـر مسئوليتـه عن أشعـارك بإقبالـه عليك أو ينسحب من حيـاتك بلا خسائر ولا آلام.

لكنك للأسف لم تفعلى ذلك فى الوقت المناسب. ودفعك خوفك من الفشل والعودة الخائبـة إلى بيت أسرتك إلى أن تحاولى بكل السبل انجاح زواجك إلى حـد الاستجـداء الذليل لمشـاعـره الفـاتـرة وأغراه ذلـك بالاستهـانـة بك وبمشاعـرك بدلا من أن يقـدر لك حرصك عليـه ورغبتك فيه، كما قـد يفعل بعض الجاحـدين. وحين بـدأ يلين فى معـاملتـه لك ويشعـرك بعض الشىء بوجـودك. وقعت الواقعة واكتشفت انـه انما يرتب للزواج من فتـاة الأحلام القـديمة بعـد أن زالت الحواجز بينهما.. وفى ظنى انـه لم يلن لك تعبيرا عن مشاعر عاطفية طـارئة تجاهك أو استشعاراً لصدق ما تبذلين من محاولات مضنية لارضـائه، وانما أغلب ظنى انه قد بدأ يلين لك فى نفس الـوقت الذى تجددت فيه علاقته بفتاته القديمة، كرد فعل تلقائى لدى الرجل حين يخون زوجته فيدفعه احسـاسه بالذنب تجاهها إلى محاولة «تعـويضها» عن هذه الخيانـة ببعض اللمسات العاطفيـة المزيفة.. أو ببعض الرقـة المصطنعة أو ببعض الكرم المادى الطارىء معها، كأنما يـرغب إلى جانب تعويضها، فى أن تستنيم إلى ثقتها فيه ليمضى فيما هو سادر فيه نهايته.

ولقد قلت مرارا أن السـعادة الحقيقيـة التى لاينغصها وخز الضمير.. أو الخوف من انتقـام السماء استجـابـة لنـداء المظلـومين لايمكن أن تتحقق للانسـان أبدا إذا كان لسعـادته ضحـايـا من الأبريـاء، لهذا فليس لدى من جديد أضيفـه إلى حديثى إلى زوجك، لكنى أقول له فقـط. إن النجوم البعيدة فى السماء تبدو لنـا دائما جميلة ولامعـة وشاعـرية، لكننـا إذا اقتربنا منهـا أدركنا انها كتل من الغـازات شديـدة الحرارة والخالية من أى جمال والتى يقتلنا لهيبهـا، وكذلك أشيـاء كثيرة فى الحياة يصورهـا لنا خيـال الحرمان واحة شـاعرية من السعـادة، فإذا أدركناها قـد نجد فيها مـا يلسعنا بلهب الندم والتعاسة .

وأنت تسـالينني يا سيدتى عن «الشـىء» الـذى يجده لدى المرأة الأخرى ولايجده لديـك، وأجيبك بأنه غـالبا هذا «الخيـال الجميل» الذى لم تتـح له

الظروف أن يتحقـق أو يختبر فى أرض الواقع، ولـو أدركه الآن لـربما سعد معـه ولربما شقـى به، وكـلا الاحتمالين متسـاويان تمامـا، لكن أصحـاب الضمائر ومن يحتملـون مسئـوليـاتهم الانسـانيـة عمن يـرتبطـون بهم، لا يقدمون على هذه المخاطرة أبدا اشفـاقا على أعزائهم من أن يدفعوا ثمنها فى كلا الحالين.

ونحن فى النهاية لانعرف الآخرين جيـدا إلا إذا اقتربنا منهم وعاشرناهم فى السخط والـرضـا.. وفى الصحة والمرض.. وفى السعـادة والشقـاء.. الخ. لهذا فان احتمال أن نفجـع فيمن يبدون لنـا على البعد كـالنجوم الـلامعة.. كبير وقـائم دائما.. والإنسان يتغير دائماً من مـرحلة إلى مـرحلة من العمـر ولايمكن أن يكون هـو نفسه بمزاجه النفسـى وطباعه بعد ١٥ أو ٢٠ عـاما من الفراق معه.

لكن زوجك مازال يعيـش أسيرا لخياله وأمنيـاته القديمـة، ولو كـان قد عـزف عن الزواج فى الفترة الماضيـة، وعاش على ذكـرى فتاتـه إلى أن زالت بينهما الحواجز، لما لامه أحـد على سعيه للارتباط بها الآن.. لكـن المؤكد انه ليس من العدل ولا من قبيل تحمل الانسـان لمسئوليتـه الانسانية عن أعزائه بشرف وشجـاعـة أن يضحى بسعـادتهم وأمانهم جميعـا طلبـا لسعـادة محتملة مهما كانت مغرياتها.

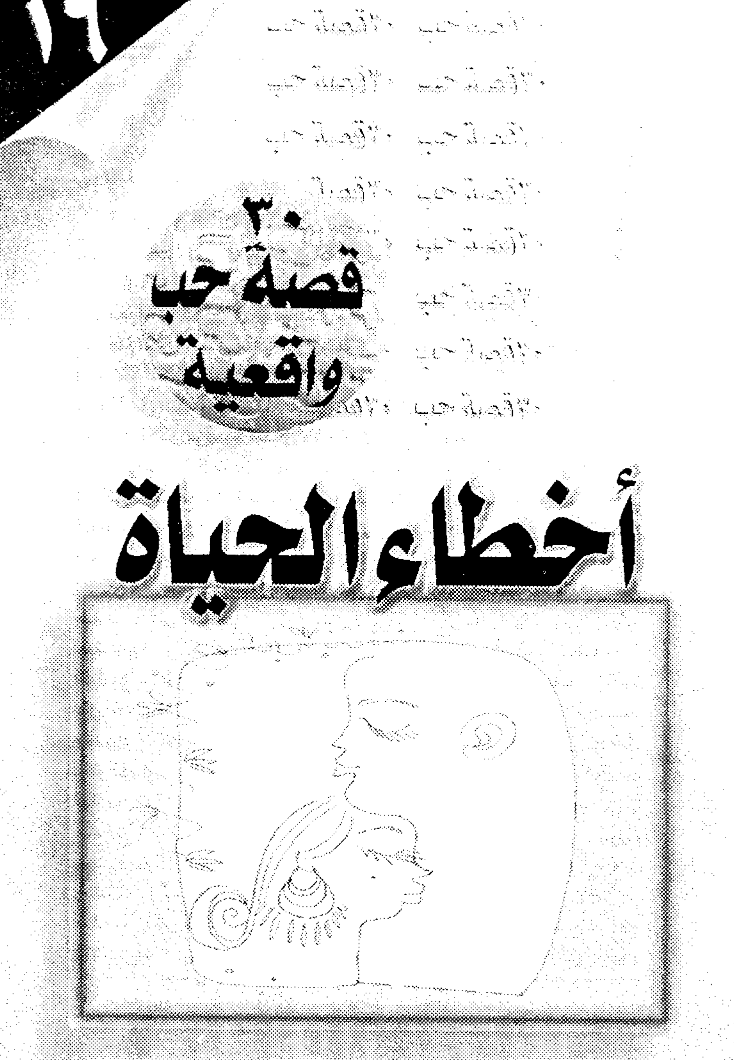
إن رسولنا الكـريم صلوات الله وسلامـه عليه يقول لنا مـا معناه انه إذا نظر أحـدكم إلى امرأة ووقعت من نفسه فليرجع إلى أهلـه أى إلى زوجته فإن عندها مثل الذى عند الأخرى.

ولا شك أن عنـدك الكثير والكثير ممـا كان ينبغى أن يسعـد بـه زوجك ويـرضـى عنـه.. لكن ماذا نقـول فى جحـود الإنسـان وسعيه الـدءوب وراء المفقود فى بعض الأحيان؟

ان خيانة الرجل لزوجتـه باللمس والاتصال المحظور، اثم كبير يحاسبه الله عليه أشـد الحساب، وصبرك على زوجك ومحاولاتك المستميتـة للحفاظ عليـه وانقـاذ سعـادة أطفـالك فضل عظيم يجزيك عنـه ربك أيضـا أعظم الجزاء، لهذا فإن نصيحتى لك هى ألا تستسلمى سريعـا أمام تلك الأخـرى وتنهـزمى أمامهـا بلا مقـاومـة.. وأن تحاولى وللمرة الأخيرة انقـاذ زواجك

وأمان أطفالك إبراء لذمتك من أية مسئولية عن انهيار هذه الحياة وتمزق أطفالك بين أبويهما ومن رأيي أن تواجهي زوجك بما علمت وأن تؤكدي له بما لا يدع له أي مجال للشك أو للاعتماد على ضعفك العاطفي السابق تجاهه، أنك لن تقبلي بزواجه من الأخرى مع استمرار حياتك معه.. فإذا أراد أن يندفع إلى [illegible] أولاً أن هذا الفردوس سيبتون به صاحب أبناء هم أطفاله [illegible] على هذا الأساس ويراجع نفسه طويلاً قبل [illegible] مخاطرة غير مأمونة العواقب للجميع.

ولنر بعد ذلك ماذا سيفعل حين يتأكد من [illegible] أن تتحقق بنفس اليسر الذي توهمه، ولن [illegible] إحساس الأب بمسئوليته عن أطفاله وإحساس الزوج بمسئوليته عن زوجته التي طالما غمرته بفيض حبها وإخلاصها له.. ولا تقلقي كثيرا لكراهيتك المؤقتة له. فهي ستزول بالضرورة حين يختار بينك وبينها فيكون الاختيار الأخير لصالحك وسينتفض حبه في قلبه من جديد إذا فعل.. وستنجو حياتكما مما يترصدها من أخطار بإذن الله.



أنا شاب فى الثالثة والثلاثين من عمرى .. نشأت فى أسرة عادية وعشت حياة هادئة.. وتعرفت وأنا فى نهاية المرحلة الثانوية بطالبة فى غاية الأخلاق والجمال، وتحاببنا وتعاهدنا على الزواج بمجرد أن أنهى دراستى الجامعية.. والتحقت فى العام التالى بإحدى الكليات النظرية ولحقت هى بى بعد عام آخر فى نفس الكلية.. واستمرت علاقتنا طاهرة وبريئة فكنا نتقابل فى ساحة الكلية وفى الأماكن العامة.. ونترقب اليوم الذى اتخرج فيه وأصبح قادرا على التقدم لأسرتها.. لكننى تعثرت للأسف فى دراستى الجامعية.. ورسبت أكثر من مرة فطال مشوار التعليم بالنسبة لى وتضافرت معه ظروفى المادية الصعبة، فيئست من أمل اجتماع الشمل بيننا وطلبت من فتاتى أن نقطع علاقتنا ، وأن تقبل من يتقدمون إليها ممن يقدرون على أعباء الزواج. ورفضت هى ذلك بإصرار وقاومت طويلا انهيار الحلم لكننى ألححت عليها بأن تستسلم للأمر الواقع، وألا تبدد سنوات العمر الثمينة فى انتظار حلم صعب التحقق، واستسلمت أخيرا لذلك وقطعنا علاقتنا، ونحن مازلنا فى المرحلة الجامعية، وتخرجت فتاتى قبلى بعام وتقدم لها شاب ممتاز وفى مركز مرموق، ورحبت به أسرتها وتمت خطبتها له، وبعد أسابيع من الخطبة أرسلت إلى تبلغنى باستعدادها لفسخ الخطبة إذا كنت على استعداد للزواج منها ولو بعد حين، لكنى أشفقت عليها من أن تربط مصيرها بمصير شاب مكافح مثلى لن يقدر على تكاليف الزواج قبل سنوات، وأرسلت إليها أرفض عرضها الكريم واعتذر عن عدم قبوله وأرجو لها السعادة فى حياتها الجديدة. وصدمت هى بردى القاطع.. فمضت فى مشروع زواجها، وانقطعت أخبارها نهائيا عنى، ومضت عدة سنوات وجدت خلالها عملا فى أحدى الشركات الكبيرة وتحسنت أحوالى المادية وبدأ الأهل يحثوننى على الزواج ورشحت لى إحدى قريباتى فتاة رأتها مناسبة لى من كل الوجوه، ورأيتها أنا فلم اقتنع بها. أو بمعنى أصح لم أجد فى نفسى ما يرغبنى فيها أو ينفرنى منها، وترددت فى القبول، لكن الجميع

شجعونى على الارتباط بها وحثونى عليه فمضيت فى اجراءات الخطبة والزواج بلا حماس وتمت الخطبة فى موعدها وتحدد موعد القران، وشغلت بإعداد مسكن الزوجية وشغلت خطيبتى بإعداد مستلزمات الزواج وقبل موعد الزفاف بثلاثة أيام ذهبت إلى وسط المدينة لبعض الأعمال، فإذا بى أجد نفسى فجأة أمام فتاتى القديمة التى لم أرها منذ عشر سنوات كاملة وهى تدفع أمامها عربة أطفال بها طفلة صغيرة وتنظر إلى بدهشة وابتهاج.. وأنا أنظر إليها مذهولا وعاجزا عن الكلام!

واندفعت إليها محييا فى شوق وحنين وحيتنى هى بحرارة شديدة ودفعت العربة أمامها ببطء كأنها تدعونى للسير إلى جوارها، وسرت معها منفعلا ومبتهجا وتبادلنا الحديث والسؤال عن أحوال كل منا.. وعلمت منها أنها ليست سعيدة مع زوجها، وصارحتها بأننى ساتزوج بعد ثلاثة أيام لكنى لست مقتنعا بزوجتى المقبلة ولا أدرى لماذا أمضى فى مشروع زواجى منها.. كأننى مرغم عليه!

وطال حديثنا لأكثر من ساعتين وأنا لا أشعر بما حولى، وهى كذلك وجاءت لحظة الفراق التى لامفر منها فطلبت أن تعرف عنوانى وتليفونى، لكنى فضلت ألا تعرفهما أشفاقا عليها من المتاعب التى قد تهددها، إذا تجدد الأمل فى اللقاء داخلنا مرة أخرى وأحنت هى رأسها موافقة ومؤمنة على ذلك.. وودع كل منا الآخر داعيا له بالسعادة فى حياته.

وبدأت حياتى الزوجية مع زوجتى محاولا أن أنفض من رأسى صورة فتاتى القديمة وشخصيتها الدافئة الجذابة، فمضت شهور الزواج الأولى فى فتور ولم أشعر بوجود زوجتى فى حياتى ولاحظت عليها ضعف شخصيتها وافتقادها للباقة الحديث مع الآخرين.. وطلبت منها أن تغير من نفسها وطبعها ورفضت الاستجابة لذلك فإذا بخيال فتاتى القديمة يطل على من جديد ويشاركنى حياتى كل يوم فأغيب معه فى لحظات حلم جميل.. ثم أفيق منه على وجه زوجتى وصوتها وحديثها الذى لا يمنعنى وإذا بى أجد نفسى أفكر فى الاتصال بفتاتى القديمة كل لحظة، ثم أتراجع لأنى لاأريد لها العناء ولا أريد أن أخون زوجتى التى تنتظر مولودنا الأول الآن .

إن خيال فتـاتى.. يلاحقنى كـل يوم.. ويحثنى على ألا أتوقـف أمام أى شىء سوى سعـادتى.. فأنفصل عن زوجتى وأتحمل تبعـات ذلك النفسية والعائلية والاجتماعية رغم صعوبتها وأطالب فتاتى بألا تكون أقل شجاعة منى وبأن تنفصل عن زوجها وتتحمل تبعات ذلك مهما كـانت قاسية عليها ثم نحقق معـا الحلم القـديم الـذى اعترضتـه ظـروف الماديـة وتعثـرى فى الـدراسة من قبل. ويستغـرقنى هذا الحلم طـويلا فاضيق بـزوجتى وبكل ما تفعل.. ثم أنظر إلى بطنها المنتفخ بالمولود المنتظر.. فأتراجع وأرد نفسى إلى دنيـا الواقع، فبماذا تنصحنى يـاسيـدى.. هل أقدم على الخطـوة المؤلمة وأهـدم أسرتى وأحكم على مولـودى بأن يجىء للحياة فى بيت لا يعيش فيـه أبوه.. أم أمتثل لأقدارى وأواصل حياتى مع زوجتى قابلا بها.

لقد أخطأت خطأ عمرى حين رددت بالرفض على رسـالة فتاتى القديمة حين أرسلت لى تبلغنى بـاستعـدادها لأن تفسخ خطبتهـا إذا كنت مستعـدا للتقدم لها.. ومازلت نـادما على هذا الرفض.. فهل تـرى فى الإمكان تصحيح هذا الخطأ القديم الآن ؟

☐ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

أخطـاء الحيـاة لا ينبغى أن تصحح على حسـاب الأبـريـاء الـذين لم يرتكبوها، ولا بارتكاب أخطـاء جديدة أشد هولا وحين يتأخر التصحيح عن موعـده المناسب فإن الاقدام عليـه فى الوقت الضـائع، يصبح خطأ آخر يضاف إلى أخطائنا القديمة ولا ينتقص منها.

فإذاكنت قد ندمت الآن وبعد عشر سنـوات على أنك قد رفضت يد فتاتك الممدودة إليك تحثك على أن تخطو الخطوة الصحيحة فى اتجاه تحقيق الحلم القديم، فليس من النبل أن تقبل بأن يدفع ثمن هـذا الخطأ الآن أطفال فتاتك القـديمة، وأبـوهم وأسرتها وأسرة زوجها، وتـدفعه أيضـا زوجتك وأسرتها ومولودك المنتظر.

وإنما ينبغى أن يتحمل الإنســان ثمن أفعالـه بشجـاعة ويقبل تبعـاتها بشرف. ونحن فى النهـاية لانعيش فى جـزيرة مهجـورة وإنما بين أهل وبشر وأبنـاء يتأثرون سلبـا وإيجابا بـاختيـاراتنا فى الحيـاة، ولا نستطيع حتى ولو راودنا هـذا الحلم الجميل فى الخيال أن «ننسى كل شىء ولا نتوقف إلا أمام سعـادتنا الشخصيـة فقط» كما تقول فى رسـالتك، وبغض النظر عما سوف يترتب عليها من شقاء للآخرين، ذلك أن هذه هى الأنانية.. الكريهة.. والفـردية البشعـة التى تنجم عنهما معظم الكوارث العـائلية والاجتماعيـة ولقد تخليت أنت عن حلمك القديم بـاختيارك ولم تتمسك به ولم تكافح من أجلـه، وإنما استسلمت سريعا لـلانهزامية.. والشك فى قـدرتك على تحقيق الأحلام ففقـدتها، باستسـلامك وإحباطك، وليس بسبب الظـروف المادية وحـدها، بـدليل أنـه لم تمض عدة سنـوات إلا وكـانت أحـوالك المادية قـد تحسنت وراح الجميع يحثونك على الزواج.

وكثير من أحـلام الإنسـان فى السعادة تبـدد فى الهواء ليس لعجـزه عن تحقيقهـا.. وإنما لشكه فى قـدرتـه على أن يحققهـا لنفسه بـالكفـاح الجاد والتمسك بالأمل حتى النهاية .

وفى رواية «السيمفونية الريفية» لـلأديب الفرنسى أندريه جيد قال الأب الكاهن بطل الـرواية: « ما أكثـر الأشياء التى كان من السهل الاقـدام عليها لولا تلك الاعتراضات التى يتفنن الإنسان أحيـانا فى ابتكارها لنفسه، وكثيرا ما حيل بيننا وبين هذا العمل أو ذاك لأننا قد سمعنا صوتا من داخلنا أو من المحيطين بنـا يقول لنـا : إننـا لن نقدر عليـه ، ولـو لم نسمع هذا الصـوت ونستجيب له لكشفت لنا التجربة عن قدرتنا على نيله والفوز به » !

وأنت قـد سمعت هـذا «الصـوت» المحبط من داخلك فقت فى عضـدك.. وأقعـدك عن الكفاح لتحقيق حلمك والتمسك بـه، مع انه لم يكن مستحيـلا، فما معنى أن تتعذب به الآن وقد قامت بينك وبينه سدود حقيقية كالجبال !

إننا نـنـدم غالبـا على ما يفـوتنا من فـرص الحياة ونتصـور فيها دائما «السعـادة المثلى» التى حرمتنـا منها الأقـدار، مع أننا لانستطيع أن نجـزم بأننـا كنا سنسعـد بها لو كـانت الحياة قـد سمحت لنا بها ولم تسمح لنـا ظروف الحيـاة بأن نختبر هذه «السعـادة المثلى» ونتحقق منها لأنها لم تتح لنا من الأصل .

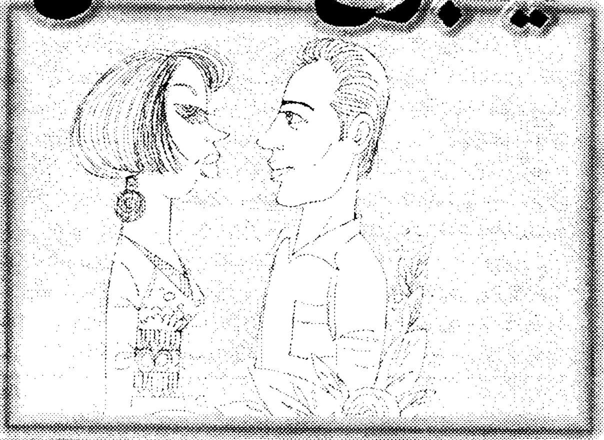
ولأننا فى النهـاية إنما نلتقى بأقدارنـا المقدورة علينا شئنـا ذلك أم أبينا. ولأن سعادتنا وشقـاءنا فى الحياة هما أيضا مـن قدر الله مهما تحسبنا لهما أو اجتهدنا .

فهون عليك يا صديقى ولا تستسلم لأحلام اليقظة الجميلة التى تعلم أنت قبل غيرك أن دونك ودونها أهوال ترتج لها أركان عدة أسر وأنك لاتقدر على الاقدام عليها إلا فى دنيا الخيال الحالمة الجميلة. ونصيحتى لك أن تدع فتاتك لحياتها وزوجها وأطفالها وأن تنفض صورتها من خيالك لكى لاتظل حائلا بينك وبين قبولك لزوجتك والتوائم معها، فهذا الخيال نفسه هو الذى يظلم زوجتك ويضعها دائما موضع المقارنة الظالمة مع أخرى لا ترى أنت منها سوى طيفها الشاعرى القديم ولم تعش معها حياة مشتركة ولم تختبرها فى كل أحوالها الدنيوية وحين تنجح فى إبعاد هذه الصورة عن خيالك فسوف تعترف لزوجتك بحقها العادل فى أن تكون امرأة أخرى مختلفة عن فتاتك القديمة فى شخصيتها وملكاتها وقدرتها وسوف تكتشف فيها من المزايا ما يرغبك فيها.. وما ترضى عنه وعن حياتك معها وتدع من أجله تلك الأحلام القديمة راقدة فى سلام فى خزينة الذكريات.

١٧

٣٠ قصة حب واقعية

ينبوع الحنان



اكتب لك هذه الرسالة بعد أن نامت ابنتى الصغيرة التى تبلغ من العمر ٦ سنوات وقصتى ياسيدى تبدأ منذ سبع سنوات عندما تزوجت من إنسان رائع احببته بكل قواى وأحبنى واغرقنى فى فيض مشاعره وحبه لكن أسرتى عارضت هذا الزواج لأسباب تتعلق بها ولم اتوقف عندها قليلا او كثيرا، وهذه الأسباب هى أن وسطه الاجتماعى اقل قليلا من وسطى ولأن أسرتى ارادت لى الزواج من شخص آخر كان قد تقدم لأسرتى واقتنعت به لأنه كما يقولون «مخربش» ويعرف كيف يتعامل مع الحياة والناس، فى حين أن من أحببته كان يبدو فى نظرهم إنسانا منطويا خجولا لايعرف كيف يتعامل مع الدنيا ولن ينجح فى أن يحمينى منها.. لكنى رغم ذلك تمسكت به ووجدت فيه ضالتى.. فهو رقيق الشعور.. طيب سريع التنازل عن حقه لكيلايغضب أحد منه حريص على الناس حتى لو اساؤوا إليه.. كنت أحس انه جاء إلى هذه الدنيا خطأ.. فهو لايعرف أى شىء عن طبائع البشر، ويصدق كل كلمة تقال له.. ويتعامل مع الناس دائما بحسن نية، وأشعر انه حين يعود من عمله إلى البيت كأنه يريد أن يحتمى بصدرى من الفظائع التى يراها فى مقر عمله أو فى الشارع.. فكنت أضمه إلى حتى يخلد إلى السكينة.. فينفجر ينبوع الحنان من قلبه وكان ذا قدرة عجيبة على العطاء والحنان.. وكنت أنظر إلى عينيه فأجدهما تطوفان فى المكان بحثا عنى.. ولا تطمئنان إلا حين تستقران على فابتسم له.. فيبتسم ويشع سعادة وحنانا.. وانقطعت عن أسرتى ـ بكل أسف ـ بسبب زواجى منه وأسرتى ليست أمى وأبى فلقد توفيا رحمهما الله، لكنها مكونة من عمى وزوجته وقد ربيانى وكانا رحيمين بى لكنهما اعترضا على زواجى وقاطعانى بسببه فاضطررت لذلك راغمة.

ومضت حياتى سعيدة، وانجبت طفلة اكتملت بها سعادتنا.. ولن أنسى ما حييت حنانه وأشفاقه على خلال فترة الحمل.. وكان يتصور أن اية حركة أؤديها خلال الحمل ترهقنى وتؤذى الجنين.. فيطلب منى ألا أفعل

أى شىء.. فاضحك وأهون عليه الأمر فيزداد عطفا وحبا.. أما لحظة الولادة فكانت لحظة تاريخية فى حياتنا معا.. ولن أنسى ما حييت رعبه حين جاءت لحظة الولادة فقد اشفقت عليه وهو يرتجف خوفا وهلعا علىّ ويتمتم بآيات من القرآن الكريم وهو ينتفض فطلبت من الطبيب أن يخرجه من المستشفى كله ومن أحد الأصدقاء أن يصحبه إلى البيت والا يعيده إلىّ إلا بعد أن يأذن الله، وحدث ذلك بالفعل وجاء زوجى المحبوب ليحمل طفلته ودموعه تهطل كالمطر حبا واشفاقا.

وعشنا أياما سعيدة سعيدة.. بعد ان انضمت إلى عش حبنا ابنتى الوحيدة.. ولم يتغير شىء فى حياتنا سوى أن زوجى قد أفرغ فائض حبه وحنانه على ابنته، وأن ابنتى قد شاركتنى فى حبه وتعلقت به تعلقا شديدا كانها «اكتشفت» بإلهام من الله نوعيته وانه نوع من البشر خلق ليحبه الأخرون حتى ولو اختلفوا معه .

لم يكن يزعجنى شىء إلا انى فقط كنت أريد له ألا يلتصق بى تماما لكى يستطيع مواجهة الحياة إذا فصلت بيننا الظروف لأى سبب ولأى فترة زمنية بسبب السفر أو المرض الخ.. وكان يحاول جاهدا ارضاء لى لكنه كان يعود إلى مرة أخرى فأقول فى نفسى «آه ياطفلى الصغير.. إنك لاتريد أن تبعد عنى» وأضمه إلى صدرى.

ومضت الحياة جميلة نشترك فى كل شىء.. ونعمل كل شىء سويا ونشترى أشياءنا معا.. ونذهب إلى العمل معا ونعود معا.. ونزور الأقارب عند الضرورة معا.. يشترى لى ملابسى.. وأشترى له ملابسه، إلى أن جاءته فرصة للسفر إلى الخارج فى رحلة عمل تابعة لعمله.. فكاد يرفضها لانه لا يريد أن يبعد عنى أو عن ابنته لمدة أسابيع.. فضغطت عليه لكى يقبلها.. ولكى لا تضيع هذه الفرصة ومضيت أشجعه واعد له حقيبة السفر وأكتب له قائمة المشتريات التى أريدها لى وله ولابنتى.. وهو خائف.. يرتعد وكلما اقترب يوم السفر يزداد هزالا ورعبا كأنه مقدم على خوض معركة وأنا اطمئنه وأداعبه وأقول له أنى ساعد الأيام على عودته.. ثم جاء موعد السفر فقبلنى وضمنى إليه طويلا وهو يبكى وقبل ابنته وضمها طويلا إليه.. ثم خرج ودموعى تودعه، وسافر للخارج، وشاءت إرادة الله ألا يعود

فقد توفى هناك فى حادث سيارة كان مع زملائه فى طريقه لزيارة أحد المصانع فوقع حادث للسيارة فأصيب كل ركاب السيارة بإصابات عادية أما هو فقد اختاره الله إلى جواره ولا راد لقضائه. فهذه إرادة الله، وبدأت متاعبى وآلامى عادت أسرتى للاتصال بى من جديد ورعايتى.. لكنى وجدت الحياة تختلف تماما عن الحياة التى عشتها طوال السنوات السبع الأخيرة. ولن أقول أنى حزنت عليه حزنا شديدا لأنى واثقة انك تحس بذلك الآن.. لكنى ساقول لك اننى كنت ومازلت أعيش مع طيفه حتى الآن كأنى فى انتظاره أن يعود إلى من رحلته.. أذهب إلى عملى فأتلفت حولى.. باحثة عن عينيه اللتين كانتا تطوفان حولى باستمرار.. وأعود إلى بيتى فأتخيله قلقا ينتظر عودتى ولايطمئن ولا يستقر ألا حين يرانى..أمضى الامسيات أمام جهاز التليفزيون فأغيب عما أراه وأرى وجهه الرقيق المتعب دائما كأنه يحمل فوق صدره خطايا البشر ينظر إلى بإشفاق كأنه يقول لى «أنا زعلان منك لأنك تهملين صحتك» فتغرورق عيناى بالدموع واحتضن ابنتى كأنى احتمى بها مما اعانيه، وهنا تبدأ مشكلتى وهى المشكلة الازلية.. فابنتى تبكى كل يوم وكل ليلة لأن «بابا» لم يعد من السفر حتى الآن.. وأنا حائرة لاأعرف ماذا أصنع لها.. وقد جربت كل الحيل بلا فائدة.. وفكرت أن أكتب إليها رسائل باسمه من الخارج كما رأيت فى بعض الأفلام لكن لاشىء ينسيها أباها. وقد ضاعف من الامى أن ظهر فى حياتى الشخص «المخربش» الذى تقدم لخطبتى قبل زواجى وراح يطاردنى بإصرار وعناد لأتزوجه مرة أخرى تساندة أسرتى التى عدت إليها، ورفضته مرارا.. فازداد ضغطا على.. وكلما فكرت مجرد تفكير أن أقبل عرضه أجد نفسى تفزع من فكرة أن «أحل» هذا الانسان الشرير «المخربش» محل ذلك الانسان الملائكى الرقيق خاصة انه يطلب طلبا قاسيا هو أن اترك طفلتى لحضانة عمى وزوجته لأتفرغ له، وهو لايريد أن يتركنى فى حالى فيذهب إلى مقر عملى ويشيع إنه خطيبى وحين أرفض عروضه.. يلاحقنى بالاقاويل لأسرتى ويطلب منها الضغط على لكى تتوقف هذه الأقاويل عنى.. وأنا حائرة لا أعرف ماذا أفعل.. ولا أجد من أبثه همومى.. وأفكر أحيانا فى الاستسلام لهذا الوحش وقبول الزواج منه.. لكن كيف استطيع

أن أتخلى عن جوهرة حياتى وهى ابنتى.. وأفكر أن أعيش لابنتى وأن أكيّف حياتى على الوحدة بعد أن ذقت السعادة انهارا مع زوجى الراحل.. لكن هذا الشخص الذى تتجمع فيه كل شرور الدنيا لايدعنى لحالى.. فماذا أفعل وبم تنصحنى.. هل أقبله زوجا.. وأضحى بابنتى.

□ **ولكاتبة هذا الرسالة أقول لها باختصار :**

لاتستسلمى لرغبة هذا الشخص فى الزواج منك وابعاد ابنتك عنك.. لأنك لاتحبينه ومازلت تعيشين حبك لزوجك الحالم الذى مر بالحياة كأنه طيف جميل عبر بها وترك وراءه أجمل الذكرى.. ولن تجدى السعادة بعد هذا الزوج الحالم مع زوج «مخربش» يمثل بالنسبة لك النقيض فى كل شىء ومن الواضح أن نمط هذه الشخصية لايلائمك لأنك أنت أيضا شخصية رومانسية حالمة.. وسوف تموتين كل يوم ألف مرة مع مثل هذا الزوج الفظ. كما انك بالتأكيد لن تجدى السعادة مع زوج لا يقدر مشاعرك كام ويشترط أساسا ابعاد طفلتك عنك فى مثل هذه الظروف المأساوية التى تعيشينها.. ولو سألتنى الرأى فإنى انصحك بألا تتزوجى ممن تكرهين.. لأن مثل هذا الزواج محكوم عليه بالفشل مقدما، وانصحك بأن تنتظرى قليلا إلى أن تلتئم جراحك ثم تزوجى بعد ذلك من تجدين فى نفسك الميل والارتياح له ولن تجدى مثل هذا الميل الا تجاه شخص لاتتنافر طباعه تنافرا تاما مع زوجك الراحل.. وعموما فإن الزمن يصنع الاعاجيب ولسوف تعبرين هذه المحنة بسلام إن شاء الله وستجدين من يضمد جراحك ويعيد السعادة إلى عشك القديم بشرط الا تتعجلى الأمور، أما ابنتك المسكينة.. فضاعفى من رعايتك وحنانك لها.. ولا مفر من أن «تسربى» إليها الحقيقة المرة على جرعات وبالتدريج إلى أن تعرف الواقع المؤلم ثم تنسى بعد حين بقلوب الأطفال ما يدمى قلوب الكبار.. والله معك ومعها فى أيامكما القادمة.

١٨

٣٠ قصة حب واقعية

ستار الختام



لا أعرف من أين أبدأ قصتى .. فأنا سيدة شهدت حياتى أحداثا عديدة مؤثرة ، فرحلت أمى عن الحياة وأنا فى العاشرة من عمرى، ولحق بها أبى بعد عامين من رحيلها، وكنت وحيدة أبوى، فحصل أعمامى على حقهم الشرعى فى تركة أبى، وورثت أنا نصف التركة، مع ميراثى عن والدتى وبالاضافة إلى قطعة أرض زراعية ومنزل كان أبى قد اشتراهما باسمى ليؤمن مستقبلى، وبسبب ميراثى اللعين هذا تصارع أعمامى بعد وفاة أبى على الفوز بى زوجة لأحد أبنائهم وأنا مازلت صبية مراهقة فى الرابعة عشرة من عمرها بدعوى الحرص على ألا تخرج الأملاك عن دائرة الأسرة إلى رجل غريب، ولم تكن لى أية رغبة فى أحد من أبناء أعمامى الذين كنت لا أشعر معهم جميعا إلا باحساس الأخت تجاه أخوتها، لكنى كنت على الناحية الأخرى فتاة يتيمة وضعيفة ولا سند لى، فلم أصمد طويلا للضغوط، ورسا المزاد فى النهاية على أقوى الأعمام نفوذا وتأثيرا، وكان هو الوصى الشرعى على، فسحب أوراقى من المدرسة رغما عنى، وأعلن خطبتى لابنه الذى يكبرنى بـ ١٤ عاما ومضى فى إجراءات الزواج بلا أدنى اعتبار لمشاعرى ولا لموقفى الرافض لابنه وتم عقد القران والزفاف وأنا ساخطة على ابن عمى الذى قبل الزواج بى رغم مصارحتى له بحقيقة مشاعرى تجاهه، ورغم أننى قد خلعت الدبلة ورددتها إليه أكثر من مرة.

ومضت الحياة بى رغم ذلك معه وأنجبت منه ولدين وبنتين كرست لهم كل حياتى وتحملت العبء الأكبر لتربيتهم ، وتواءمت مع حياتى، وحققت رغبتى القديمة فى استكمال تعليمى فواصلت التعليم وأنا زوجة وأم لأربعة أبناء، وعملت أيضا بإحدى المؤسسات وتدرجت فى العمل حتى أصبح مرتبى كبيرا، ثم مرض زوجى مرضا شديدا منذ سنوات ورحل عن الحياة بعد ثلاثين عاما من الزواج كان الأبناء خلالها قد تخرجوا فى الجامعة، وتزوجت الابنتان واستقرت كل منهما فى بيتها، وسافر الابن الاكبرللعمل فى الخارج، وتزوج الابن الأصغر واستقل بحياته عنى، فوجدت نفسى فى

النهاية وحيدة أعيش فى فراغ قاتل وأنا فى أواخر الأربعينات من العمر.. ولا شىء يسلينى عن بعض وحدتى سوى عملى، أما الأبناء فلا يأتون إلا للزيارة، وإذا جاءت إحدى الابنتين أشعرتنى بأن وراءها الكثير من المشاغل التى تنتظرها،حتى أصبحت شديدة الحساسية ومتضاربة المشاعر تجاههم، فإذا زارنى الأبناء شعرت بالرغبة فى أن أكون وحدى، وإذا غابوا عنى اشتدت على الوحدة وشعرت بوحشة قاتلة.

وفى هذه الظروف نقل إلى مقر عملى مدير جديد كان يعمل فى فرع آخر من فروع المؤسسة، وكنت أعرفه عن بعد كزميل قديم، وقد أدى لى من قبل عدة خدمات سابقة شكرته عليها فى حينها، وشعرت تجاهه بالاحترام والتقدير، وكنت كلما التقيت به بعد ذلك صدفة وعلى فترات متباعدة، لمحت فى عينيه نظرة الاعجاب التى لا تخطئها امرأة أبدا فى عينى رجل، ثم نقل بعد ذلك إلى مقر عملى وأصبح مديرى الذى تفرض طبيعة العمل أن أتعامل معه باستمرار، فتكرر لقاؤنا فى العمل ووجدتنى أستريح إلى حديثه.. وأستشف من جديد نظرة الاعجاب القديمة فى عينيه، فازداد اقترابنا، وكان زوجى قد رحل عن الحياة منذ عامين وأن فى التاسعة والأربعين من العمر فوجدت مشاعرى الحبيسة على مر السنين تستيقظ فى أعماقى وأشعر بالحب الجارف تجاه هذا الرجل، وبادلنى هو مشاعرى بأكبر منها، وكان يمر فى حياته الزوجية بمشاكل لا حصر لها ويحكى لى عنها كثيرا وأحكى له عن متاعبى مع الوحدة.. ومع العمر الذى ضاع فى الحرمان الصامت ثم طلق زوجته للمرة الثالثة، وكان قد طلقها من قبل مرتين لأسباب ومشاكل سابقة بينهما ولا علاقة لى بها، أما الطلاق الأخير فلقد كنت ـ أعترف بذلك ـ طرفا فيه أو أحد أسبابه مع أن زواجه لم يشهد قط الاستقرار قبل أن أعرفه، وفوجىء أبنائى بما طرأ على من تغيرات وانزعجوا لها بشدة، وتضاعف انزعاجهم حين صارحتهم برغبتى فى الزواج من هذا الرجل وانهالوا علىّ باللوم والاهانات والتهديدات بمقاطعتى إذا فعلت، فتحديت كل شىء وضحيت بكل شىء وتم الزواج.. ومنعنى أبنائى من استقبال زوجى فى البيت أو اتخاذه عشا لزواجنا مع أنه باسمى وقد ورثته عن أبى لأنه البيت الذى عاش فيه أبوهم، وكان زوجى قد ترك هو الآخر مسكنه

لزوجته وأولاده وسجله باسمها، وراح يتنقل بين مساكن اخوته، ولا أجرؤ على استقباله فى بيتى الذى أملكه خوفا عليه من أبنائى ومن تهديداتهم المتكررة فكنا نتلاقى فى الخارج وارتباطنا العاطفى يتعمق ويقوى فى وجه التحديات وعشنا فترة قلق شديدة لمست فيها من عقوق أبنائى الذين كرست حياتى لهم الكثير، وتحملت منهم الكثير، فمن حين لآخر يؤلموننى بالكلام القارس تارة، والمقاطعة تارة أخرى، ويسالوننى متهكمين: هل يستحق هذا الرجل هذه التضحية بنا من أجله؟! فلا أجد ما أجيبهم به، ولا أجرؤ على أن أقول لهم اننى أحبه بكل جوارحى ولا استطيع الحياة بدونه لحظة وأعجب لنفسى كيف أحب بهذه القوة وأنا فى الخمسين من عمرى.

وظل الزواج قائما وأنا أعيش وحيدة فى بيتى.. وهو يتنقل بين مساكن اخوته إلى أن وجد أخيرا شقة مناسبة وتركت بيتى للاقامة معه فيها، واشترينا الضروريات فقط ونقلت للشقة بعض الأشياء الأساسية، وعشنا معا أحلى أيام العمر، وهو يعوضنى عن عقوق أبنائى وتجريحهم لى، ومساوماتهم لى على أن أكتب لهم أملاكى حتى لا يشاركهم زوجى فى ميراثهم عنى وأنا أخفف عنه متاعبه وأغمره بمشاعرى الفياضة وانتهى الأمر بأن كتبت لأبنائى بالفعل ميراثى عن والدهم، أما ميراثى وأملاكى عن أبى وأمى فلم أعطهم منه شيئا، ولم أجد مبررا لذلك لأنه ليس من العدل ألا يكون بينه وبين أبنائى الذين أضعت عمرى عليهم إلا هذه العلاقة المادية!

المهم اننى عشت مع زوجى وحبيبى أياما فى غاية السعادة والهناء، وقدمنى زوجى لأهله فرحبوا بى وقالوا لى ان الله قد عوضه بى عما عاناه فى حياته الزوجية التى لم تعرف الوفاق قط.

واستمر هذا الحلم الجميل فترة ساحرة من العمر ثم بدأت أشعر بتغير طارىء فى طباع زوجى وبأنه مهموم بشىء غامض لا أعرفه، فسألته عما به وأجابنى بأنه أجهاد العمل ولا شىء غير ذلك، إلى أن الححت عليه بالسؤال أكثر من مرة فدمعت عيناه وصارحنى بأن أبناءه يضغطون عليه بشدة لكى يعيد أمهم إلى عصمته وانه حائر فيما يفعل بهذا الصدد،

وصدمت صدمة شديدة لأنه كان أكد لى من قبل انه طلقها ثلاث مرات، وعرفت ان أبناءه أبلغوه انها سوف تتزوج رجلا آخر سوف يقيم معها فى الشقة التى كتبها باسمها، وأن هذا الأمر قد جرح مشاعره كثيرا وأثار ضيقه ان تتزوج أم أبنائه من غيره فى نفس المسكن الذى وضع فيه شقاء عمره كله، ولم أصدق فى الحقيقة أن مطلقته سوف تتزوج وأدركت انها مجرد وسيلة ضغط عليه من أبنائه ومع ذلك فقد تأثر بها جدا وبدأ يحدثنى عن رغبته فى إعادة زوجته ناسيا ما أكده من قبل من انه طلقها ثلاث مرات!

ومادت الأرض بى وأنا أسمعه يقول ذلك وتساءلت متألمة: وماذا عنى؟ فإذا به يجيبنى بأن شرطها الأول لكى ترجع إليه هو طلاقى وأن تمسك قسيمة الطلاق بيدها وتتأكد من صحتها!

أما شرطها الثانى فهو أن تقيم فى نفس الشقة التى نعيش فيها وتغلق مسكنها القديم زيادة فى الانتقام منى والتشفى!

ولك أن تتخيل ما أحسست به من حزن وألم.. وأنا أرى زوجى الذى ضحيت من أجله بأبنائى يضحى بى من أجل زوجته السابقة وأبنائه.

ورجعت حزينة ومهزومة للإقامة فى بيتى الذى هجرته من قبل من أجله وتركت له حرية الاختيار.. ولم يعد زوجى زوجته إلى عصمته بعد لأنه لم يطلقنى حتى الآن ولم يشأ أن يطلقنى إلا إذا طلبت منه ذلك حتى لا يشعر بالذنب تجاهى كما يقول، وحين طالبته بالطلاق لكى تقبل مطلقته الرجوع إليه ويرجع للحياة معها ومع أبنائه، فوجئت به يطالبنى بالتنازل عن حقوقى بحجة اننى أنا التى أريد الطلاق، فما رأيك فى كل ذلك يا سيدى وهل ترانى كنت أعيش وهما كبيرا مع هذا الرجل.. أو لم يكن من حقى أن أفعل ما فعلت فى مثل عمرى هذا.. ولمن أشكو همى وفجيعتى؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

حين تجىء النهاية فإنه من الأكرم لنا الا نطيل فيها وألا نحاول افتعال الأسباب للمماطلة فى انهائها بلا طائل!

فالنهاية الحاسمة هى دائما أفضل ختام لكل تجربة إنسانية استوفت فصولها ولم يبق لإنهائها إلا إسدال الستار عليها. ذلك انه إذا كانت

التجربة خاطئة ومؤلمة من الأصل فإن الإسراع بوضع النهاية لها يقلل من مضاعفاتها وآلامها ويعيننا على تحجيم خسائرها والاستفادة الأسرع بدروسها، أما إذا كانت التجربة صحيحة ـ لكنها واجهت ظروفا غير مواتية فرضت عليها الفشل والانتهاء ـ فإن الاسراع أيضا بإنهائها يحفظ لنا ذكرياتها الطيبة.. ورموزها الجميلة بغير أن تشوهها مساومات وخلافات الختام فى النهايات غير الحاسمة.

وهكذا ففى كل الظروف فإن النهاية الحاسمة الكريمة بلا مراوغة ولا مماطلة ولا توقف أمام الصغائر هى أنبل النهايات دائما وأكثرها ترفعا عن الدنايا، أما النهايات المفتوحة للجدل والعناد وتفاقم الخلافات هى دائما أسوأ ختام لكل تجربة إنسانية سعيدة كانت أم شقية.

وتجربتك مع هذا الرجل كانت تجربة خاطئة من البداية يا سيدتى، لأن الأرملة أو المطلقة فى مثل ظروفك حين ترغب فى الزواج فإنه ينبغى لها أن تتزوج بمن يسهم زواجها منه فى حل مشاكل حياتها وتلبية كل احتياجاتها الانسانية، وليس بمن لا يعدها الزواج منه إلا بمزيد من هذه المشاكل وإلا بفتح جبهات جديدة للمتاعب عليها كجبهة الخصومة والخلاف مع أبنائها وأهلها.. أو جبهة النزاع والحرب الصريحة، بينها وبين أسرة زوجها وأبنائه إذا كان أبا وزوجا كما هو الحال فى قصتك.. أو حتى جبهة الخوف والعيش فى قلق من احتمال عودته لأبنائه وزوجته فى أية لحظة.

وتجربة الزواج برجل متزوج وله أبناء، حتى ولو كان قد طلق زوجته من أجلك لا تقدم الحل الموفق لوحدة أرملة فى الخمسين من عمرها ولها أبناء كبار ومتزوجون مثلك. ذلك أن انفصاله عن زوجته لا يعنى فى كل الأحوال، انقطاع الروابط بينه وبينها للأبد مع وجود أبناء لا يرضون عن حياتهم ولا عن أبيهم إلا إذا وفر لهم الحياة العائلية الطبيعية بين أبويهم.. فيظل نداء الأبناء قائما دائما وقويا فى حياة الأب ولا تصمد أمامه طويلا قصة حب عابرة لم تسبقها سوى بعض نظرات الاعجاب السابقة وبعض المعاملات القليلة العادية.. ثم اقتراب سريع تبادل كلاكما فيه الشكوى للآخر من حياته وظروفه الشخصية.

فالرجل كان يواجه بعض المتاعب العائلية مع زوجته قبل أن يعرفك،

لكن الحياة كانت تمضى به رغم ذلك معها إلى غايتها الطبيعية ثم ظهرت أنت فى حياته واستجاب لمشاعرك الحبيسة التى تبحث عمن يطلق شرارتها بعد أن ابتسر عمك لا سامحه الله صباك المبكر وبواكير شبابك قبل الأوان ولم يسمح لك بأن تعيشى مرحلتهما كاملة.. ثم تنتقلى منهما إلى مرحلة النضج العاطفى والنفسى والزواج فأجرم بذلك فى حقك من حيث لا يدرى لأن ابتسار بعض مراحل العمر وحرمان المرء من أن يعيشها فى حينها لا يثمر غالبا إلا الحنين لأن يعيش الانسان ما حرم منه من بعض مراحل العمل، وإلا الرغبة المكتومة فى ممارسة ما كان ينبغى له أن يمارسه فى حينه من مشاعر وخبرات مما يعرضه غالبا لتحدى الزمن والعمر وظروفه الشخصية إذا استسلم لهذه الرغبة الملحة بعد فوات الآوان. وهكذا فلقد أدى ظهورك فى حياة هذا الرجل ورغبتك فى أن تمارسى معه ما حرمت منه من مشاعر وخبرات عاطفية قديمة، إلى اقدام الرجل على طلاق زوجته، للمرة الثانية فى تقديرى وليس للمرة الثالثة كما زعم لك لكى يهدىء خواطرك ويبدد هواجسك بشأن احتمال استئناف الحياة بينهما ذات يوم.

وتم الزواج بينكما مضحية بعلاقتك وبأبنائك وباعتبارات عائلية وإنسانية عديدة فنعمت بالحب والسلام معه لفترة وتعزيت بتجربتك الجديدة عما اعتبرته عقوقا من جانب أبنائك، ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد تكشفت التجربة سريعا للرجل عن انها لا تعوضه عن افتقاده لأبنائه وللحياة العائلية الطبيعية بينهم بالرغم من كل ما كان يشكو منه من قبل من زوجته وأسفرت أيضا عن عجزه عن احتمال تعاسة أبنائه بانفصاله عن أمهم وحياته معك بعيدا عنهم، فأيقن الرجل انه غير قادر على التضحية بأبنائه كما تقدرين أنت واستجاب لرجائهم له بالعودة لأمهم وبدأ طريق الانسحاب من هذه القصة العاطفية التى اعترضت مجرى حياته لبعض الوقت. لكنها لم تنجح فى تحويله إلى مسار نهائى آخر. ولست أتصور انه قد هجرك لانه قد تألم لفكرة أن تتزوج أم أبنائه من رجل آخر يعيش فى مسكنه الذى وضع فيه شقاء عمره، فالأمر أبعد من ذلك بكثير وأعمق أغوارا، ولا يمكن أن يكون شقاء العمر أو المسكن هو دافعه الأساسى لإنهاء قصته معك والعودة لزوجته، بعد أن تحدى ظروفا عديدة بزواجه

منك وإنما الأقرب للمنطق والعقل. هو أن الدافع الأقوى لذلك هو أبناؤه وعجزه عن احتمال تعاستهم ببعده عنهم، ورغبته هو في استعادة الشكل الطبيعي لأسرته مع أبنائه وزوجته السابقة.. في نفس الوقت الذي تراجع فيه الحب.. أو ذوى وتكشف عن سحابة عابرة هطلت أمطارها لفترة في حياته ثم جفت ومضت في طريقها والدليل على ذلك هو قبوله بشروط زوجته للعودة إليه وموافقته على طلاقك وإخراجك من مسكن الزوجية رغم قصة الحب التي جمعت بينكما فلعلك قد عرفت الآن بالدليل المؤلم أنك قد أخطأت حين انسقت وراء مشاعرك الحبيسة بلا ترو ولا تقدير للظروف العائلية المحيطة بك وبه، ولعلك قد عرفت أيضا أن التجربة كلها لم تكن تستحق منك التضحية بأبنائك ولا بعلاقتهم بك، مهما حدث ومهما كانت الأسباب وأنه لا حق لك في اعتبار موقفهم منك عقوقا لك، لأنه ليس سوى احتجاج صاخب على إقدامك على هذه التجربة وانسياقك إليها ضد التيار وبلا أية محاذير.

ولست أنكر عليك في النهاية حقك في الزواج إذا رغبت فيه واشتدت حاجتك إليه، لكن ذلك لا ينبغي أن يتحقق -. إذا تحقق - إلا بتأييد أبنائك له وبعد اقتناعهم بحاجتك الانسانية إليه. وبشخص من سوف يشاركهم فيك وبإخلاص نيته في الارتباط بك، وبعد إقناع صوبي وهادىء من جانبك لهم بمبدأ الزواج أولا ثم بشخص من ترتبطين به.. فإذا لم يرضوا به رغم كل ذلك فكثيرات من الأمهات لا يضحين بسعادة أبنائهن في مثل هذه الظروف من أجل الرغبة في الزواج ولا يعرضن أبناءهن لما يشعرون به من حرج عائلي كبير أمام أزواجهن وزوجاتهم وأصهارهم بسبب هذه الرغبة من جانب أمهم. ويقنعن من الحياة بما سمحت لهن به، ويرضين عن حياتهن وأنفسهن.. ويتعزين عما يفتقدن بأشياء أخرى كثيرة وجميلة في الحياة. أما الانسياق وراء التجربة الغرامية في مثل هذا العمر والتضحية بكل شيء من أجلها من الأبناء إلى الوضع العائلي إلى اغتصاب زوج امرأة أخرى ووالد أبنائها بدعوى متاعبه معها، فليس كل هذا من الحكمة ولا مما يرضى عنه العقل.

ولقد تحديت أنت كل شيء وضحيت بكل شيء كما تقولين لأنك شعرت

قبل الزواج انك لن تستطيعي الحياة - لحظة واحدة - بدون هذا الرجل؟ فكيف تعيشين الآن بعد هجره لك يا سيدتي؟ وكيف تتحملين الحياة؟

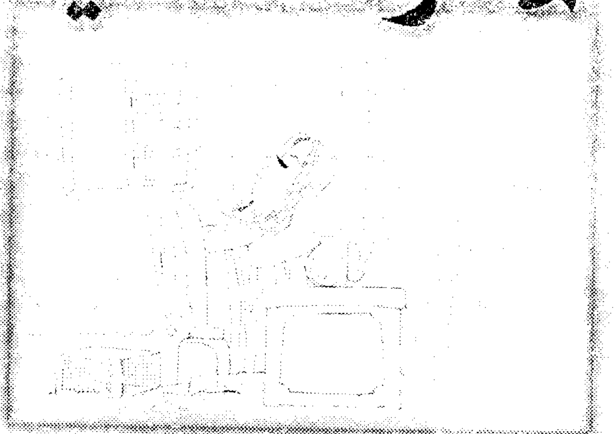
إن الانسان أقوى كثيرا مما يتصوره في نفسه.. وهو قادر دائما على أن يحيا في أصعب الظروف وعلى أن يحتمل الحياة لحظات بل سنوات كثيرة بدون ما حرم منه أو ما حالت بينه وبينه الأقدار والظروف، لكننا نبرر أخطاءنا واندفاعاتنا وعثراتنا دائما بهذه العبارة التي لا معنى لها.

ولهذا كله فإن رأيي هو ألا تسوف في اسدال ستار الختام على هذه القصة العارضة في حياتك.. وألا تماطلي في الطلاق بدعوى تمسكك بالحصول على الحقوق المادية قبل إتمامه، فالرجل كما هو واضح لا يقدر على الوفاء بها، وأنت قادرة ماديا ولست في حاجة حقيقية إليها لكنك ترغبين بتمسكك بها في ألا تقطعي ما بينك وبينه من صلة، أملا في تجدد العلاقة بينكما ولو من باب عجز زوجك عن تحمل تبعات الطلاق! وليس هذا مما يليق بك ولا بالتجربة نفسها التي بدأت عاطفية وضد تيار العمر والأوضاع العائلية ولا يجوز لها أن تنتهي بالنزاع المادي حول ما لا يستحق النزاع حوله، فإذا كنت قد أحببت هذا الرجل حقا واستمتعت معه بأيام «في غاية السعادة» كما تقولين، فلا تفسدي ذكرى الأيام الجميلة بالمماطلة والمطالب المادية الرخيصة.. ولا تقفي عقبة كأداء في طريق عودته لزوجته وأبنائه وحياته العائلية واستفيدي بدرس تجربته مع أسرته، في استعادة حب أبنائك لك، ورأب الصدع الذي حدث في علاقتك معهم.. وانتظري حلا آخر لوحدتك أكرم وأكثر ملاءمة لك ولأوضاع أبنائك العائلية والاجتماعية..

والسلام.

٢٠
قصة حب
واقعية

المحاولة الثانية



أنا مهندس قاهرى شـاب فى الثلاثين من عمرى نشأت بين أبوين طيبين وأخت وحيـدة فمضت بنـا رحلـة الأيـام حتى تخرجت أنـا وأختى فى نفس الكليـة العملية بتفـوق فلم يسعد أبـوانا طـويلا لـلأسف بثمرة كفـاحهما الشريف فى الحيـاة ورحـل أبى عن الـدنيـا عقـب تخرج شقيقتى بشهـور وتبعته أمى بعد عـامين آخرين ووجدت نفسى أنا وشقيقتـى وحيدين تماما فى الحياة فـازددنا ترابطـا وتعاطفا وتعـاهدنـا ألا تفرق بيننا الأيـام، وبعد شهور من رحيل أمى تقـدم لشقيقتى رجل فاضل فكـادت ترفضه إشفـاقا علىّ من وحـدتـى بعـد رحيل أبـوى، لكننى نهضـت لأداء واجبى تجاههـا وتحريت عن سمعته وأسرتـه وأخلاقه وجـاءت التحريات كلهـا لصالحه.. فـرجعت إلى أختى وحثثتهـا بقـوة على قبولـه.. وأكـدت لها اننى لن أسعـد بحيـاتى إلا بعـد أن أطمئن إلى استقـرارهـا فى بيت زوج يحبها ويـرعـاهـا ويحميها، فسألتنى بإشفاق: وأنت؟ فأجبتها باننى رجل وأستطيع مواجهة الحيـاة وسـوف يضـع الله فى طـريقى من تقـر بها عينى وتعــوضنى عن وحـدتى، حين يشـاء ذلك. فتـزوجت شقيقتى وسعـدت بزواجهـا سعـادة كبرى، وتعانقنـا ليلة الـزفاف بـاكيين ومسترحمين لأبوينـا اللذيـن علمانا بتضحياتهما وربيـانا على الحب الأخوى الصـادق والحنان وانتقلت أختى إلى بيت زوجهـا، وشعـرت بأن الـدنيـا كلهـا قـد خلت علىّ بعـد زواجهـا.. وانفردت بنفسى فى سكن العائلة وأصبح بيتهـا هو واحتى التى أشعر فيها بـالحب وبأنفاس العـزيـزين الـراحلين.. وكلما زرتها سألتنى عن زواجى وعاتبتنى بشدة على استمرارى فى وحدتى.

وذات يوم فاتحنى مهندس زميل لى فى العمل فى أمـر ارتباطى بابنة عمه التى تصغـرنى بأربع سنوات فقط وقـال لى انها رأتنى فى حفل عيد ميـلاد طفلتـه فى بيته واننى لفت انتبـاهها بشـدة فحـدثت زوجته وسألتهـا عنى، وأرضانى ذلك كـرجل لكنى أشفقت من قلة امكـانياتى المادية وعجزى عن تكاليف الـزواج وصارحتـه بذلك فأكـد لى ان أسرة عمه لا تحفل بـالماديات

وانها تريـد لابنتها زوجا أمينـا وعلى خلق ودين مثلى، وتشجعت بما سمعت ولبيت دعوته لزيارة أسرة هـذه الفتاة، وأحسست حين رأيتها وجلست إليها بارتياح شديد لها مع انها ليست باهرة الجمال، ولقيت منها اهتماما تلقائيا شـديدا لا يتجمل ولا يتحفظ فأسعـدنى ذلك واستشرت شقيقتى فى أمرهـا واصطحبتهـا لـزيـارتها فأحبتهـا أختى من الـوهلـة الأولى وشجعتنى على الارتبـاط بها بحماس شديـد وتعمقت عـلاقتى سريعـا بفتاتى خـلال فترة الخطبة القصيـرة.. ولاحظـت سعادة خطيبتى بل وفـرحتها الواضحـة بى، ولقيت من أبيهـا وأمهـا وأختيهـا كـل حفـاوة وتقـديـر، وذللت الأسرة كل الصعاب المادية أمامى وكلما تعثرت فى شـىء أو ترددت أمامـه بسبب قلة امكانيـاتى، تطوع والد فتاتى بـأن يتحمله عنى بأريحية وهو يقـول لى انه لا يهمه إلا سعادة بناته الثلاث خـاصة كبراهن الطيبة الحنون.. أى فتاتى. وفى ليلة الزفـاف أبكتنى شقيقتى الحبيبة بفرحتها الطاغية وبقيـامها بدور الأم والأب لى فى حفل الــزفـاف، وبإصرارهــا على أن تحمل ذيل فستــان عروستى فى الـزفة ورعايتها لها ولى فى الكوشــة وبزغاريدهـا السعيدة التى كانت تستـدر دموعى رغما عنى ثم صـاحبتنى حتى باب مسكنى وقبلتنى وقبلت عـروسى وهـى تـوصيهـا خيرا بى لاننى كما قــالت طيب وغلبـان ومقطـوع من شجـرة.. وانصرفت أختى راضيـة وسعيدة وبـدأت حيـاتى الزوجية مع شريكـة حياتى، وسرعان ما اكتشفت فيهـا أشياء كثيرة جميلة. فهى رقيقـة الاحساس وطيبـة ومتدينة وعطـوف، ولا تخفى حبهـا لى أمام الجميع وصارحتنى بطفولية أحببتهـا فيها وقدرتها لها انها تمنتنى لنفسها منـذ رأتنى فى بيت ابن عمهـا وانها حثت زوجتـه على أن تفـاتح زوجهـا فى أمرى، وأسعـدنى كل ذلك وبادلت زوجتى حبـا بحب وإخلاصـا بإخلاص ولم تمض شهــور قليلــة حتى حملت وأنجبت لى طفـلا جميــلا زاد من سعادتنا وابتهاجنا بـالحياة، لكنى لاحظت فجأة ان زوجتى قد بدأت تشكو من قلة النوم وفقـدان الشهية، وانها تمضى الليل أحيانا بطولـه عاجزة عن النـوم.. ومسهدة وحـائرة، حتى لتعجز عن النهـوض من الفراش فى اليـوم التالى وتظل مستلقيـة فيه بلا نوم ولا قدرة على الحركـة وسألتها عما بها.. فلم تفـدنى بشىء سـوى انها تجد نفسهـا عاجـزة عن النـوم.. واستشرت

طبيـــــب الشركة التى أعمل بها فى شأنها فقال لى انه يرجح انها تعانى مما تشكو منه بعض الزوجات الشابات اللاتى ينجبن لأول مرة.. وهو اكتئاب ما بعد الولادة واتبعت نصيحته فى إعطائها مهدئا خفيفا.. مع الحرص على الترفيه عنها.. وتجنب كل ما يؤلم مشاعرها الخ.. ثم رجعت إلى البيت ذات يوم فوجدتها مستلقية فى فراشها وعيناها مفتوحتان لكنها لا تنطق ولا تتحرك ولا تستجيب لمحاولاتى للحديث معها أو تحريكها وهرولت لاستدعاء الطبيب الذى نجح فى افاقتها وعرفت منه انها أصيبت بهذه الحالة بسبب عدم النوم.

وجاءت والدتها لزيارتها على غير انتظار وعلمت بما حدث لها ففوجئت بها تضطرب اضطرابا شديدا وتطلب منى عرضها على طبيب بالذات.. وفى أسرع وقت وألححت عليها فى معرفة السبب فعلمت منها ان هذه الحالة قد انتابتها من قبل، فاصطحبتها إلى عيادة الطبيب المقصود فإذا به طبيب نفسى معروف، وإذا بزوجتى لها ملف قديم عنده ومرضها هو الاكتئاب النفسى، وصدمت صدمة هائلة حين علمت بذلك وتشاغلت عن صدمتى بمساعدة زوجتى على الشفاء فتحسنت حالتها بالعلاج الذى وصفه لها الطبيب، لكن لم يمض وقت طويل حتى لاحظت عليها الشرود الدائم وانعدام التركيز رغم حرصى على إحاطتها بالحب والرعاية والحنان وتعمدى اخفاء أثر صدمتى بمعرفة حقيقة مرضها ثم رجعت من العمل ذات يوم فوجدتها فى فراشها نائمة فأيقظتها لتناول الغداء فلاحظت ضعفها الشديد وشحوبها وعجزها عن النهوض من الفراش ووجدت علبة الدواء التى تتناول منها قرصا واحدا كل يوم فارغة إلى جوارها فأدركت الكارثة.. وهرولت خارجا لاستدعاء الطبيب الذى جاء وأصر على نقلها إلى المستشفى فنقلناها وأجريت لها الاسعافات اللازمة وصارحنى الطبيب بأن زوجتى قد حاولت الانتحار بسبب ما تعانيه من اكتئاب نفسى ونبهنى إلى أن المحاولة ستتكرر مرة أخرى ولهذا فلابد من إبعاد كل الأدوية والأدوات الحادة عنها ومراقبتها بحرص طوال الوقت.

ومنذ ذلك الحين يا سيدى وأنا أعيش فى رعب قاتل ترقبا لهذه المحاولة الثانية التى لا أعرف متى ستجيء.. ولا من أى باب من أبواب الجحيم ستأتينى منه.

لقد ضممت زوجتى إلى صدرى بعد رجوعنا من المستشفى.. وبكيت بين يديها وعاتبتها على ما أرادت أن تفعله بنفسها وبى وبطفلها الوحيد، فبكت طويلا وقالت لى انها لا تستحقنى ولا تستحق أن تحيا حتى تحت قدمى لأنها مريضة ولأنها أخفت عنى هى وأسرتها حقيقة مرضها حتى لا أفر منها بعد أن أحبتنى خلال فترة الخطبة وتعلقت بى حتى الجنون، فقلت لها ان ما حدث قد حدث ولا لوم عليه ولا عتاب بعد أن تزوجنا وأنجبنا وأصبح لنا طفل صغير يحتاج إلينا وأكدت لها اننى لا أستطيع الحياة بدونها واننى أريدها أن تقاوم الاكتئاب ونزعة الانتحار التى قد تهاجمها لكى ترعى طفلها الصغير وتسعدنى بوجودها فى حياتى، فأقسمت لى انها نادمة على ما فعلت وانها لن تكرره أبدا وانها لا تريد منى سوى أن أسامحها على كتمانها لمرضها عنى بسبب ما وصفته بأنه أنانيتها ورغبتها فى أن تتزوج منى، فأقسمت لها بأنى لا أحمل لها فى قلبى إلا الحب والخوف عليها.. ولا أريد من الحياة سواها.. فاستراحت لذلك، لكنى لم أعرف طعم الراحة بعد ذلك قط يا سيدى.. فهى تتناول دواء وصفه لها الطبيب باستمرار للوقاية من عودة المرض إليها والذى حدده بأنه «الاكتئاب الرجعى» وأنا أغادر البيت كل يوم ذاهبا إلى عملى والهواجس تلاحقنى كل لحظة عما يمكن أن تفعل إذا عاودتها النوبة خلال غيابى وماذا سيكون مصيرها ومصير طفلى ومصيرى إذا وقعت المحاولة الثانية التى يتوقعها الطبيب فى أية لحظة ولم ينجح أحد فى إنقاذها فى الوقت المناسب، كما انى لا أغادر البيت إلا إذا جاءت أختى «لمراقبة» زوجتى كل لحظة إلى أن أرجع للبيت أو جاءت أمها أو إحدى شقيقاتها للقيام بنوبة المراقبة والحراسة إلى حين عودتى، فإذا رجعت للبيت لم أدعها تغيب عن ناظرى لحظة واحدة وأتفنن فى اخفاء الآلات الحادة والأدوية عنها، وإذا طالت غيبتها فى الحمام بعض الشىء طرقت عليها الباب متوجسا إلى أن يجيئنى صوتها وإذا نمت فى الظهيرة نهضت مفزوعا بعد لحظات متسائلا عنها، ولا يغمض لى جفن فى الليل إلا إذا اطمأننت إلى استغراقها العميق فى النوم، فإذا جفاها النوم كما يحدث أحيانا ظللت ساهرا حتى يهزمها الارهاق وتنام وقد أنهض بعد ذلك مرتعبا أتحسسها لأتأكد من وجودها إلى

جانبى . اننى أعيش فى جحيم دائم يا سيدى وقد عاهدت نفسى ألا أتخلى عن زوجتى أبدا لكنى أسأل هل سيستمر هذا العناء إلى ما لا نهاية.. وهل سأفاجأ بالمحاولة الثانية للانتحار على غير انتظار رغم كل ما أبذله من احتياطات وتحفظات؟

أولا يمكن أن تستشير طبيبا نفسيا كبيرا من أصدقائك فى أمر زوجتى ليطمئن بعض مخاوف ويعطينى بريقا من أمل الشفاء.. والنجاة والأمان ذات يوم؟ ان شقيقتى تبكى على حالى وتقول لى انها قد ازدادت هما بحالى وقلقا علىّ بعد الزواج عما كانت عليه، قبل زواجى وأنا فى وحدتى، وهى تحب زوجتى وتشفق عليها وتوصينى بها خيرا، لكنها تأسى لحالى وتطالبنى بالبحث عن علاج شاف لها لدى الأطباء.. فهل هناك أى أمل فى مثل هذا العلاج يا سيدى؟

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

— ترقب البلاء قد يكون فى بعض الأحيان أقسى على النفس من حلوله ومواجهته بما يتطلبه الموقف من إجراءات. فالنفس انما تتحسب للمجهول وتخشاه بأكثر مما قد تخشى مواجهة الأمر الواقع والتصرف ازاءه بما تمليه ضرورات الموقف.

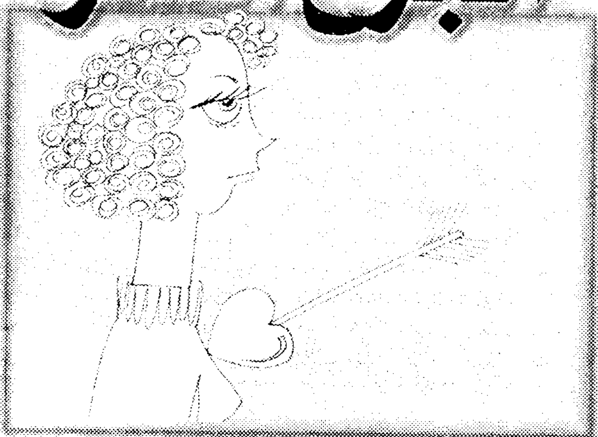
فأرح ضميرك بأداء واجبك الانسانى فى حماية زوجتك من نفسها واتباع نصيحة الأطباء فى اتخاذ كل احتياطات الأمان بشأنها، لكن لا تعش كالوتر المشدود كل لحظة ترقبا لخطر قد يجىء وقد لا يجىء فتحكم على نفسك، بمعاناة القلق النفسى والتعرض للأمراض العضوية الناشئة عنه، وتضاعف بذلك من الخسائر العائلية بدلا من أن تخفف منها، فالاكتئاب النفسى الرجعى، له مؤشرات تسبق احتداد نوبته وتصاعدها إلى حد الاقدام على الانتحار، وأنت قد لمست فى المرة السابقة بعض هذه المؤشرات وتعرفت عليها وهى الشرود الدائم والكآبة وانعدام التركيز والعجز عن النوم، ومادامت زوجتك كانت تحيا حياتها الطبيعية وتتناول الأدوية الوقائية من الاكتئاب باستمرار ولا تظهر عليها أعراض من هذه المؤشرات، فلا خوف عليها من الانتحار ولا مبرر للتوتر الدائم وترقب المحاولة الثانية كل لحظة واستمتع بأوقات الصفاء مع زوجتك الطيبة التى لا تخفى حبها

لك عن الجميع، وادخر فى قلبك وروحك زادا معنويا تستعين به على مواجهة أيام الشدة إذا حلت وسارع باستشارة الطبيب كلما بدت لك من المؤشرات ما يدعو إلى ذلك، وقد يكون دخول المصحة لفترة قصيرة فى بداية النوبة حلا مفضلا لتفادى أخطار الاقدام على الانتحار وربما أستطيع مساعدتك فى ذلك عند الضرورة لا قدر الله. والرعاية العاطفية والطبية كفيلان بتفادى كل الاخطار بإذن الله. أما بريق الأمل فى الشفاء التام الذى تتساءل عنه فقائم وموجود إن شاء الله. فالاكتئاب الرجعى كما علمت من طبيب نفسى مشهور له أطوار كأطوار الانسان من طفولة وشباب وشيخوخة، وهو الآن فى مرحلة الشباب لدى زوجتك وقد تتسارع نوباته فى بعض المراحل لكنه سيصل خلال سنوات إلى مرحلة شيخوخة المرض، فيهمد وتتباطأ نوباته، ثم تضعف إلى أن تختفى نهائيا بإذن الله.

فاصمد لمحنتك يا صديقى وتخفف من حالة الطوارىء العصبية التى تعيشها كل لحظة الآن وانتقل إلى حالة من الاسترخاء الحذر التى لا تحرمك من الاستمتاع بحياتك العائلية وحبك لزوجتك وحبها لك إلى أن تلحظ أولى المؤشرات المنذرة فترجع إلى حالة الاستنفار من جديد، وتبادر بعرض زوجتك على الطبيب وتفرض عليها رقابة عائلية متصلة، ولكل إنسان فى النهاية من سعادته ما يرضيه.. ومن تعاسته أيضا ما يشقيه، فتقبل أقدارك وارض بها واستعن بحب زوجتك لك ورقتها معك وفخرها بك على مواجهة حياتك والتوائم معها.. والأفضل أن تعرض زوجتك على الطبيب فى مواعيد دورية لتطمئن إلى استقرار الحالة وبعد شبح النوبة التالية عنها، وكلما استشعرت زوجتك حبك لها وتمسكك بها وخلوك من أى لوم داخلى لها ولأسرتها لاخفائها أمر مرضها عليك، ابتعد عنها شبح الاكتئاب وتباعدت مؤشراته، وازدادت هى تمسكا بالحياة ورغبة فيها.. فالاحساس بالذنب قد يقتل ذوى المشاعر الرقيقة ويتحالف مع المرض عليهم.. وأنت قد سامحت وتسامحت نبلا منك وكرما، فلا تدخر جهدا فى إشعارها بذلك لكى تستفيد من الأثر المعنوى الايجابى لتخفف عنها من الاحساس بالذنب تجاهك فى إبعاد شبح الاكتئاب عنها.. أعانها الله وأعانك عليه.

٣٠ قصة حب واقعية

الجرح الغائر



أنا إحدى قارئات بابك المدمنات، وكثيرا ماتمنيت أن أقرأ مشكلة مشابهة لمشكلتي لأجد فيها مااستفيده منها، إلى أن قرأت منذ أسابيع رسالة «الدائرة المظلمة» التي يروي فيها طبيب شاب قصته مع زوجته وطفلتيه ومعاناته معها حتى انتهى الأمر بينهما بالطلاق.. ثم غرق في أحزانه إلى أن عثر على الإنسانة التي اطمأن قلبه إليها ورأى فيها مايعوضه عما عاناه، فإذا بإحدى طفلتيه تمرض مرضا خطيرا وإذا بمطلقته التي طلبت الطلاق من قبل وأصرت عليه، ترجع إلى صوابها وتطلب التئام الشمل مرة أخرى ليتعاونا معا على علاج طفلتهما.

وقصتي هذه لست أرويها لهذا الطبيب الشاب، إنما أريد أن أرويها للفتاة التي كانت تستعد للارتباط به حين واجهه هو هذا الاختيار الذي سينتهي به غالبا إلى الرجوع إلى مطلقته حرصا على الطفلة المريضة وشقيقتها.. فأنا سيدة في الخامسة والثلاثين من عمري نشأت في أسرة متوسطة المستوى كبيرة العدد، وكنت أكبر اخوتي وقد تخرجت في كليتي وعملت في إحدى الشركات فور تخرجي، وتعرفت في العمل على زميل فاضل لي لاحظت عليه منذ البداية قلقه واضطرابه ومعاناته لهموم غامضة، وجمعت بيننا زمالة العمل فازداد اقترابا مني بطريقة مهذبة، وعرفت منه إنه على وشك الانفصال عن زوجته التي أنجب منها طفلا عمره ٤ سنوات، فعرضت عليه أن أتوسط بينه وبينها للإصلاح وإعادة الشمل، فأكد لي إنه لافائدة من وراء ذلك وان كليهما لايرغب في العودة للآخر وان كل المساعي السابقة قد فشلت في الاصلاح بينهما، ولم يبق إلا التفاوض على شروط الطلاق، وأسفت لحاله.. ثم تحول الأسف إلى تعاطف شديد حين صارحني بعد فترة بأن زوجته هذه قد انفصلت عنه قبل عام ونصف العام وحرمته من رؤية طفله طوال تلك الفترة، وعندما طالبها بذلك أعلنت له بجرأة شديدة إنه لاحق له في مطالبته برؤية هذا الطفل لانه ليس ابنه!.. وصدم الرجل صدمة هائلة زلزلت كيانه.. واكتسى وجهه بطابع الحزن الدائم

والاكتئاب حتى تألم له كل الزملاء وتعاطفوا معه.. وتألمت له معهم وحزنت لحاله، وتم الطلاق بينه وبين زوجته بالفعل واجتر الرجل الفاضل أحزانه في صمت..

واستمرت علاقة الزمالة الحميمة بيننا في العمل وبعد عام ونصف العام سألني ذات يوم في استحياء هل تقبلينني زوجا لك إذا تقدمت لطلب يدك من أسرتك؟.. ووجدتني أعلن له موافقتي وترحيبي به وكان دافعي إلى ذلك هو تعاطفي الشديد معه وارتياحي العاطفي له الذي يبشر بميلاد الحب الشريف بعد الزواج وتقدم لاسرتي وناقشته الأسرة في ظروفه طويلا وقبلوا به وتعاطفوا معه فقد كان جديرا دائما بالحب والاحترام وخطبت إليه وعمري ٢٣ عاما، واستمرت الخطبة عاما وقعت خلاله بعض المشاكل بينه وبين مطلقته ولم أتوقف عندها باعتبارها من طبيعة الأشياء في مثل هذه الظروف، وتزوجنا في شقة صغيرة مريحة، وبدأنا حياتنا الزوجية وبدأت المشاكل الحقيقية في نفس الوقت من جانب مطلقته كما لو كانت أول مطلقة في العالم تواجه الحياة بطفل صغير!

فلقد بدأت تأتي إلى بيتي كثيرا ومعها في كل مرة مشكلة جديدة وطوفان من السباب والكلمات الجارحة لزوجي، فتأتي مرة ومعها الطفل لتتركه لأبيه لأنها لاتريده، وقد أدت واجبها «كاملا» تجاهه.. ثم تنقض ماقالته وترجع به من حيث جاءت، وتأتي مرة أخرى مطالبة بزيادة المصروف مع أن زوجي يهتم به وينفق عليها وعلى طفلها بسخاء، وتأتي مرة ثالثة لتعلن إنها سوف تتزوج وتريد أن تتخلص من الطفل ثم ترجع به في النهاية أيضا، وهكذا بلا انقطاع ولا راحة على الدوام، وفي كل مرة تطلق قذائفها الجارحة التي تستحي الأذن من سماعها، وفي إحدى هذه المرات كررت على زوجي وأمامي ــ سامحها الله ــ ان الطفل ليس ابنه وإنما ابن «أحد الاشخاص القريبين منه» ثم التفتت إلى الطفل الصغير الذي لايعرف من شئون الدنيا شيئا وطلبت منه أن يبحث عن أبيه الحقيقي حين يكبر!.. فطعنت زوجي في مقتل، سامحها الله، وساءت حالته النفسية للغاية وفقد ثقته في نفسه وفي الآخرين، وانطوى على جرحه المؤلم رغم كل محاولاتي للتخفيف عنه.. والتهوين عليه.

وخلال ذلك كان الحمل قد تأخر عندى، واتجهت الأنظار من جانب أهل زوجى بتلقائية ناحيتى تتهمنى بالمسئولية عن ذلك، باعتبار إنه قد سبق له الانجاب من قبل، وبدأت رحلة التحاليل والعلاج فإذا بنتائج الفحص تثبت سلامتى وقدرتى على الحمل فى أى وقت، وتثبت من ناحية أخرى - وللأسف - ان زوجى هو المسئول عن عدم الانجاب، ولم تحتمل اعصابه أكثر من ذلك فثار ورفض العلاج ليثبت لنفسه انه سليم ولايحتاج إليه، وقدرت أنا ظروفه ومحنته المؤلمة فتجنبت الحديث فى الموضوع لفترة ثم رجعت له معه فثار من جديد وأصبح يثور كلما فاتحته فيه. وينتهى الأمر بخصام بيننا لفترة ثم أرجع إليه وتستمر الحياة من جديد، ومازالت مستمرة منذ احد عشر عاما لم أندم خلالها على ارتباطى به فهو انسان فاضل وطيب وحنون وأرى حبى كل لحظة فى عينيه لكنه من خلال هذه السنوات أيضا وإلى جانب مشكلتنا الأساسية فى عدم الانجاب وقلقى لمرور السنين دون حمل وانجاب مع تجاهل زوجى لهذا الموضوع نهائيا. فلقد رافقتنا أيضا مشاكل مطلقة زوجى وابنه خلال رحلة الحياة وكأنما قد أصبحت جزءا أساسيا منها.. فلقد كبر الولد حتى بلغ مرحلة الثانوية العامة وكبرت معه مشاكله واستنفد كل طاقتى المادية على متطلباته التى لاتنتهى ولاتراعى أية اعتبارات، وفشل فى الثانوية العامة بعد أن تعلق أملى بنجاحه فيها لنرتاح أخيرا ونلتقط أنفاسنا. كما تزوجت أمه من رجل فاضل فاض برعايته على هذا الابن لكنه قوبل بالاستنكار من جانبه بعد أن فسدت أخلاقياته للأسف بسبب سوء تربية والدته له وبسبب تعلقها بوهم الارستقراطية الكاذب، والمستوى الراقى فى الحياة مع انها من أسرة متوسطة جدا، وهو يتمتع «بجرأة» هائلة فى التعامل معى ومع والده، ومؤخرا مع والدته أيضا ويؤكد للجميع ان علاقته بأبيه علاقة مادية فقط.. وقد كاد زوج والدته يهجرها ويهجر البيت أكثر من مرة بسبب سوء أخلاق هذا الولد لولا انه رجل فاضل حكيم ويحاول إصلاحه والحفاظ على بيته بالتعاون مع زوجى، وقد أصبحنا لايمضى بنا يوم دون اجتماعات عائلية مطولة وجلسات ساخنة ووفود تذهب ووفود تجىء بين بيتنا وبيت مطلقة زوجى وبيت أهلها.. وأهل زوجها الخ، وكأننا نتعامل مع مشكلة

الشرق الاوسط وكل ذلك والولد مستمر فى غيه ومشاكله وقد انتقل إلى مرحلة الطلبات الباهظة التى لايقدر عليها أبوه ولا أحد غيره كالسفر إلى أمريكا والسيارة والمصروف اليومى الباهظ، إلى جانب تسريحات الشعر البذيئة التى ينفر منها مجتمعنا، وفى وسط كل ذلك بدأ أهل زوجى يتمردون علينا معا أنا وهو، وبدأ تدخلهم المباشر فى حياتنا.. وبدأوا يطلبون معرفة أين ينفق زوجى دخله وفيم ينفقه ونحن بلا أطفال، وبدأت أسمع تعليقات مؤلمة عن عدم انجابى وعن جدوى فائدتى فى الحياة وأنا لاأنجب ولاأستطيع الانجاب وأبتلع الألم صامتة حتى لاأعيد فتح جرح زوجى الغائر ويرجع هو إلى فقد ثقته بنفسه بعد أن أكرمنا الله بتخلصه من هذه الحالة النفسية السيئة منذ سنوات.

وسط هذه الدوامة أجدنى أتساءل أحيانا وأين حياتى من كل هذه المشاكل المستمرة منذ تزوجت حتى وصلت مؤخرا إلى ساحة القضاء بين زوجى وبين أهل مطلقته بسبب مشاكل ابنه المستعصية على الحل؟.. وأين حقى فى أن أصبح أما وأشعر بدبيب الأمومة يسرى فى أحشائى لكى أحس بأن لى وظيفة أخرى فى الحياة عدا وظيفة الخدمة وانتظار الاجتماعات اليومية لحل المشاكل التى لاتنتهى بين الولد وزوج أمه وبين أمه وزوجها، وبين الاثنين وزوجى، وبين أهل مطلقته وبينه وبينى وبين أهل زوجى، إلى جانب تطاولات مطلقته وقذائف لسانها عليه والتى لايفعل زوجى حيالها شيئا سوى الصمت التام خوفا من الفضائح، وحتى لايرى الولد أبويه وهما يتراشقان بالسباب فى حضوره، فلا تراعى هى ذلك وإنما تزداد عدوانية تجاهه.

اننى أفكر كثيرا الآن فى حياتى ياسيدى وكلما حاولت أن أعيد النظر فيها، نظرت إلى زوجى الفاضل الذى يحبنى بشدة ويرى فىّ الزوجة العاقلة الحكيمة، فأراه يتعذب وسط هذه الدوامة المستمرة من المشاكل إلى جانب مرضه بآلام الغضروف التى تلزمه الفراش أحيانا بالأسابيع، فأتأمل حاله مشفقة عليه وأتساءل: ماذنبه فى كل ظروفه هذه؟.. وازداد تعاطفا معه. ثم تهتف نفسى فى أحيان أخرى: نعم هو لاذنب له فى ظروفه فعلا.. لكن ماذنبى أنا أيضا فى كل ذلك؟، فلا أجد لتساؤلى جوابا مريحا أيضا.

لقد كتبت رسالتى هذه لكى أسألك رأيك فى حياتى ونصيحتك لى بما أفعل إزاءها ولكى أقول للفتاة التى تدخلت الأقدار فى اللحظة الأخيرة لتحرمها من الزواج بالطبيب الشاب المطلق الذى سيرجع لمطلقته وطفلتيه، أنها قد تعانى بعض الوقت لفقدها من اختارته وتفهمت ظروفه، لكنها ستفوز فى النهاية بجائزة السماء وتحيا بعد حين حياة طبيعية مع انسان آخر بلا مشاكل كمشاكلى التى أعيشها من زواجى حتى الآن، فالانسان لاينفصل أبدا عن ظروفه الشخصية وإنما تظل لاصقة به وتطارده حتى نهاية حياته.. وقد كان هذا هو ماتعلمته وخبرته من قصتى فى زواجى ومع الحياة.. فماذا تقول لى يا سيدى؟.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

نعم ياسيدتى لاينفصل الإنسان أبدا عن ظروفه ولايجوز له أن يقيم بنيان حياته أو حساباته للمستقبل على أساس تجاهلها أو توهم انتفائها من الأصل فالحالمون وحدهم هم الذين يقعون فى هذا الخطأ الجسيم ويدفعون ثمنه دائما من سعادتهم وسلامة حياتهم، أما الواقعيون من البشر فيعرفون جيدا ان ظروف الإنسان الشخصية وأقداره تتبعه دائما كتلك المدينة التى عناها الشاعر اليونانى المصرى كفافيس حين كتب قصيدته الشهيرة التى يقول فيها: ولسوف تتبعك هذه المدينة إلى آخر العمر يقصد بذلك جذور الإنسان وأقداره وظروفه الشخصية، لهذا فمن الحكمة دائما ألا يتجاهل الإنسان مشاكله وظروفه وألا يفر من مواجهتها والتعامل معها.

غير ان الإنسان من ناحية أخرى لاينعدم أمامه مجال الاختيار فى النهاية، وإنما يختار أيضا لحياته رغم أقداره المقدورة عليه وينبغى له أن يرضى بتبعات اختياره وان يتحملها بشرف.

وأنت مثلا قد اخترت لحياتك وقبلت بتبعات اختيارك لزوجك، ولم يكن فى ظروفه الشخصية مايخفى عنك، وزوجك أيضا قد اختار لحياته بعيدا عن مطلقته وتحمل تبعات هذا الاختيار ومازال يتحمل حتى الآن.. وزوج مطلقته أيضا قد اختار لحياته عالما بكل الظروف المحيطة ويدفع ثمن اختياره راضيا أو ساخطا. وإذا اختار الإنسان لحياته بملء إرادته فمن

واجبه الإنسانى والأخلاقى ألا يتنصل من تبعات اختياره أو يتشكى منها أو يحاول فرض أوضاع جديدة تتعارض مع ماتعهد به منذ البداية وماقبل به راضيا وواعيا بما يفعل.

نعم قد تضيق النفس أحيانا بما تعانى.. وقد يتوقف الإنسان فى الطريق لحظات ليراجع اختياراته ويتأمل حياته ويتشكى مما يؤلمه فيها، لكننا نمضى بعد ذلك غالبا على نفس الطريق الذى خطونا عليه خطواتنا الأولى بارادتنا الحرة.. التزاما بالعهد ووفاء بالأمانة.

فإذا كان جدّ فى ظروفك جديد، فهو إنك لم ترزقى بأطفال حتى الآن، مع ارتباط مسألة الانجاب لدى زوجك بذلك الجرح الغائر القديم الذى لم تتورع مطلقته عن أن تضع عليه الملح الأجاج بسادية غريبة لكى يشتد وقع الألم على نفسه، لاغفر الله لها، ويزداد الجرح إيلاما!

ان هذه هى المشكلة الحقيقية التى تواجهينها ياسيدتى وليست دوامة المتاعب التى تعانين منها منذ زواجك بسبب مطلقة زوجك، ومتاعب ابنه، ومشاكل أمه مع زوجها، فكل ذلك من تبعات اختيارك الأول، ولابد أن تقبلى بها حتى ولو تشكيت من وطأتها فى بعض الأحيان.

والحق اننى إذا كنت قد عجبت لشىء فى رسالتك هذه فهو لجرأة زوجته الأولى فى «الجهر» بجريمة بشعة ارتكبتها فى حق ربها وزوجها وطفلها الوحيد، وكأنما تفاخر بما ارتكبت وقد كان الأحرى بها أن تتستر عليه وتنزوى به مستخزية.

وبدلا من أن تفعل ذلك فلقد راحت تطعن به زوجها السابق فى مقتل «بسادية» مرضية غريبة كأنما تتلذذ بإيلامه وتعذيبه.. فكيف انقلبت المعايير والقيم إلى هذا الحد؟!

انها تجاهر «بعارها» الشخصى وتهدد به بدلا من أن تتخفى به وتستجدى عفو ربها.. وعفو من ارتكبت هذه الجريمة البشعة فى حقه وهو زوجها!!.. فالخيانة فى البداية والنهاية هى خطيئة الخائن الشخصية وليس أحدا غيره، ولايستطيع انسان فى الوجود رجلا كان أم امرأة، ومهما أحاط شريك حياته بالقيود والسدود، أن يمنع أحدا من خيانته إذا سمحت له أخلاقياته بها، وانعقدت ارادته على ذلك، ففيم التلذذ إذن بالمجاهرة بخطيئة

لاتغسلها مياه البحر لإيلام الخصوم وجرح مشاعرهم وهز ثقتهم فى أنفسهم؟

انني اقدر لزوجك بالطبع شرف خصومته مع مطلقته وقيامه بمسئوليته المادية والأدبية عن ابنها وتعففه عن إثارة هذه المسألة الشائكة التى تنال منه ومن أعزائه بقدر ماتنال من تلك السيدة إذا صح كل ماورويت عنها، لكنى رغم ذلك كنت أفضل ألا يتعامل معها بمثل هذا التخاذل من البداية وإلى الحد الذى تستشعر هى فيه «عزة» الطرف الأقوى ، وليس تخاذل الطرف الخاطىء واستخزائه وبحمله بالتعفف عن النزاع والتهديد وإثارة المتاعب.. إذ كيف يجوز لأحد أن يتفنن فى الايلام واختيار مقاتل الإنسان لكى يطعنه فيها بلا رحمة ولو أدان نفسه فى سبيل ذلك بارتكاب أبشع الخطايا؟.. وماذا يتوقع منا بعد أن يفعل ذلك، هل يتوقع أن نطلب منه نحن «العفو» وتكتم عاره حرصا على سمعة أعزائنا؟.. لقد كان زوجك يستطيع أن يلجمها ويوقفها عند حد الأدب مع استمراره فى أداء التزاماته تجاهها، إذا كان قد ذكرها فقط فى عنفوان عدوانيتها واجترائها عليه بأنه الضحية وليس الجانى، وانه يستطيع لو أراد أن يدينها أمام الجميع بالجرم المشهود وان يقيم دعوى انكار نسب ضدها مهما كان شأن شريكها فى الجريمة أو حساسية وضعه بالنسبة له، فان كان لم يفعل ذلك وكان من الحكمة حقا ألا يفعل، فلتفق إذن من غيها وتتعامل معه بما يستحقه من احترام منها ومن عدل فى تعاملها معه.. وإلا صدق عليها قول الأديب الراحل مصطفى صادق الرافعى:

ما الام الشجرة التى لو نطقت لشتمت من يسقيها!

وإذا كانت الأمور قد تجرى على هذا النحو أحيانا، وكما يقول المثل الهولندى القديم.. من انه حين ينقلب الحب إلى كراهية فانه لايعرف حدودا.

فالحق أيضا. منْ ناحية أخرى انها لاتجرى على هذا النحو حتى ولو انقلب الحب إلى كراهية بين من لايعرفون شرف الخصومة ولايلتزمون بأخلاقيات الخصام التى تعتبر المحك الحقيقى لأخلاق الإنسان، أما من يعرفونها فهؤلاء هم من ينطبق عليهم قول الإمام على بن أبى طالب فى نهج

البلاغة فى صفات المؤمن التقى حين يقول عنه إنه: لايحيف على من يبغض. ولايأثم فيمن يحب!

أى لا تدفعه كراهيته لمن يكرهه إلى أن يظلمه أو يحرمه حقا، ولاتدفعه محبته لآخر إلى ألا يلتزم معه بحدود ربه.. أو بالعدل الذى لايعطيه ماليس من حقه.

فإذا ناقشت بعد ذلك مشكلتك الحقيقية وهى عدم الانجاب، وليست آثار «المدينة» اياها التى تبعت زوجك إلى عشك معه وسوف تتبعه إلى نهاية العمر، فانى أقول لك ياسيدتى اننى أحس من ثنايا سطورك وكلماتك العطوف عن زوجك، انك ترتبطين به ارتباطا عضويا يصعب عليك فصمه.. فإذا كنت تتحرقين لانجاب الأطفال وممارسة أمومتك، فلاشك إنك وحدك التى تستطيعين أن تحسمى هذا الاختيار الصعب بين حبك لزوجك وسعادتك معه برغم كل هذه المتاعب، وبين تطلعك المشروع بعد اثنى عشر عاما من الزواج إلى الانجاب، وإن كانت عشرتك الطيبة لزوجك طوال اثنى عشر عاما، ترجح اختيارك للاستمرار والتماس التعويض من السبل المتاحة، فمن واجب زوجك أن يعينك على هذا الاختيار بألا يقصر فى طلب العلاج لنفسه حتى ولو من باب الإرضاء النفسى لك وإبراء الذمة.. لترضى بعد ذلك بحياتك إذا رضيت بها.. ولالوم عليك إذا فعلت، فالسعادة الحقيقية أيضا شىء عزيز المنال، ولاتسخو علينا الحياة بها فى كل الأحوال، ونحن نرضى غالبا عن بعض جوانب حياتنا ونسخط على البعض الآخر.. وسيكون هذا هو الحال دائما فى أى اختيار يختاره الانسان لنفسه، والسعداء منا هم من يسلمون بهذه الحقيقة ويقبلون بها ويستمتعون بما أتاحته لهم الحياة من أسباب السعادة حتى ولو كانت غير بادية لعيون الآخرين.. والحق اننا نجفل غالبا من التضحية بالموجود، لصالح المجهول الذى لانعرفه ولانعرف هل سنسعد به أم نشقى، ولايقدم على هذه المخاطرة غالباً إلا أهل المجازفة أو من تدفعه ظروف شديدة القسوة والالحاح للاقدام على التغيير، والتضحية بما بين يديه وانت وحدك التى تستطيعين أن تقررى هل بلغت دوافعك إلى التغيير هذا الحد من الالحاح أم لا، وهل فرصتك فى الانجاب من آخر مضمونة أم لا، ثم تختارين لنفسك

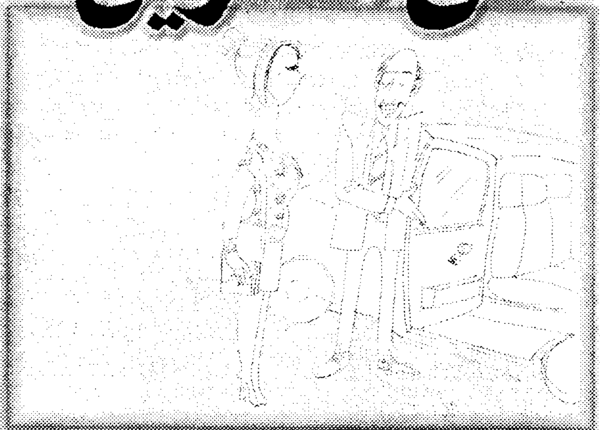
بعد ذلك ماترينه محققا لاحتيـاجاتك الانسانية، وبشرط ألا تضيقى بتبعاته وقـرابينه التى لامفـر منها.. وإذا صح تقـديـرى فان اختيـارك فى النهايـة سوف يكون لصالح حياتك الحالية مع زوج عطوف ترين الحب فى عينيه فى كل لحظـة.. ويحسن عشرتك، ويتمسك بك ولالـوم عليك أيضـا لـو فعلت.. بإذن الله..

٣١

قصة حب قصة حب قصة حب قصة حب

٣٠ قصة حب واقعية

فى الطريق



أنا سيدة فى الثانية والاربعين من عمرى أحمل مؤهلا دراسيا عاليا، وأعمل بوظيفة محترمة ولى ابن عمره ١٦عاما وابنة عمرها ١٣ سنة، وكلاهما يدرس بمدرسة راقية والحمد لله. أما زوجى الحبيب فيبلغ من العمر ٤٤عاما، وقد تزوجنا عن حب بعد انتهائنا من مرحلة الدراسة وبدأنا حياتنا حينذاك من الصفر وتحملنا صعوبات البداية القاسية معا وتجاوزناها بالحب والصبر والتعاون بيننا وكانت كلها صعوبات مادية إلى أن منّ الله علينا بكل شىء، وتهيأت لنا بعد سنوات الكفاح أسباب الحياة المريحة من شقة لائقة وسيارة مناسبة ومستوى مادى جيد. كما ظلت علاقتى بزوجى منذ البداية ـ وهو الأهم ـ مثالية فى كل شىء والحمد لله ولاعجب فى ذلك فهو انسان طيب وعلى خلق ودين كما انه أب رائع لابنائه يحبهم ويحبونه ويعطيهم من نفسه كل مايملك، أما عن عمله فهو يعتبر خبيرا فى تخصصه ويعمل بوظيفة مهمة فى القطاع الخاص، ومنذ عام وبضعة شهور بدأت ألاحظ على زوجى الحبيب انه لايلتزم بمواعيده المألوفة فى العودة للبيت، وانه يرجع إلى أسرته مرهقا ولايرغب إلا فى الاستسلام للنوم.. فظننته مجهدا بكثرة العمل ثم بدأت أتوجس من ان يكون مريضا ولايعتنى بصحته العناية الكافية فطلبت منه أن نذهب معا لاستشارة الطبيب فى حالة الارهاق المستمر التى يعانى منها، فرفض وهون على الأمر بأنه لايعدو ان يكون بعض الاجهاد بسبب العمل، وسوف يسترد حيويته بعد بعض الوقت، فلم أشأ الضغط عليه فى هذا الأمر حرصا على مشاعره، وتعمدت عدم الاشارة إليه بعد ذلك، لكيلا أوذى مشاعره كزوج! لكن زوجى استمر فى التأخر عن العودة لبيته وزاد تأخره وبدأ يكذب أيضا وينكشف كذبه فى تقليل أسباب تأخره كل هذا الوقت عن بيته وزوجته، وهو الذى عهدته صادقا منذ عرفته خلال مرحلة الدراسة الجامعية. وتكرر ذلك منه أكثر من مرة.. وبدأ القلق يسيطر علىّ فوجدت نفسى فى لحظة انهيار أواجهه بكل ما ألاحظه عليه من تغيرات وأطالبه بتفسيرها لى، فإذا به يعترف لى بآخر ماكنت أتوقع ان اسمعه فى يوم من

الأيام من حبيب العمر وهو أنه قد تزوج!.. ياإلهى تزوج؟.. نعم.. تزوج من فتاة عمرها ٢٥سنة وتحمل مؤهلا متوسطا وتقيم أسرتها بأحد الأحياء العشوائية فى القاهرة، وأبوها عامل بسيط.. وتزوجها منذ حوالى تسعة شهور!

وتوالت اعترافاته المذهلة أمامى فحكى لى انه قد تعرف عليها فى الطريق إذ عاكسها وهو يركب سيارته فاستجابت لمغازلته وركبت معه السيارة وتعارفا وبدأ يلتقيان ويتواعدان لمدة ستة شهور «أحبها» خلالها ورغب فى الزواج منها، فتقدم لاسرتها التى فرحت به جدا فاشترى لها شقة بالتقسيط بمبلغ ٣٠ألف جنيه «كما يقول» وأثثها بعد ان أقنع أصلا أقاربه باقراضه مبلغ ١٨ألف جنيه لانه فى حاجة «ضرورية» له وقد جرى كل ذلك وأنا غافلة تماما ومطمئنة اطمئنانا نهائيا إلى ثقتى به وبأخلاقياته المألوفة، أما ماجرى بعد المواجهة والاعتراف فهو أعجب، لان زوجى لايريد التخلى عن تلك الفتاة، ولايريد أيضا التخلى عنا، ويطالبنى بأن اتقبل الأمور على ماهى عليه وألا اتخلى عنه لانه لايستطيع العيش بدونى ويحب أولاده ويعشقهم ويلبى لهم كل مطالبهم!

ومنذ وقعت هذه المواجهة وانا أعيش فى دوامة من الحيرة والعذاب وقد أصبح نظام حياة زوجى هو ان يخرج من بيتى فى الصباح لعمله.. ويخرج منه بعد انتهائه فلا يرجع إلى زوجته وأولاده، وإنما يمضى إلى «الأخرى» فيقضى معها ٥ أو ٦ ساعات ثم يعود إلينا فى نهاية السهرة أو الامسية السعيدة وكأن شيئا لم يكن! أما ملابسه ونقوده وأوراقه المهمة ففى بيتى، وأما حديثه عن العمل ومشاكله ومسئولياته وأسرته وأصدقائه فمعى وحدى وأى مشكلة يواجهها يرويها لى أنا، وأما أبناؤنا فلا يعرفون شيئا عما جد على حياة أبيهم، ولاأريدهم أن يعرفوا حتى لاتهتز صورته أمامهم وقد اتفق هو مع «الأخرى» على عدم الانجاب، حتى لايتسبب انجابها فى أن يؤدى ابننا الوحيد الخدمة العسكرية، وبعد أن كان فى بداية زواجه منها يبيت عندها بعض الليالى بحجة السفر فى مهمة عمل، تعذر عليه ذلك الآن بعد انكشاف الحقيقة، ولم يعد يقضى الليل معها وانا الآن أعانى من الحيرة والألم ولا أعرف حلا لمشكلتى أفكر أحيانا فى أن أترك له كل شىء وأرحل إلى إحدى المحافظات النائية لأعمل بها وأطوى هذه الصفحة من

حيـاتى نهائيـا، لكنى لاأقـوى على ترك أولادى، ولا أعـرف كيف ستكـون مشاعـرهم تجاه أبيهم إذا طلبت الطـلاق وعرفـوا أسبابه، كما أنـى، لاأريد أيضا أن أدمر فى داخلهم كل شىء نبيل وطيب إذا دمـرت بغير قصد صورة أبيهم الحنون الرزين فى مخيلتهم.

وهو من ناحية أخرى يرفض هذا الحل بشدة ويقسم بكتاب الله على أنه «يحبنى» ويحب أبنـاءه وانـه لم يتـوقف عـن حبى لحظـة واحـدة رغم كل مـاجرى ويـريـدنى معه إلى نهايـة العمـر، وأنا لاأستطيع الصبر على هـذا الوضع الشـاذ حتى النهاية، وحالتى النفسيـة والمعنوية فى تدهـور مستمر وفى حين أعانى أنا أحـزانى وحدى إلى جانب مسئوليـاتى عن ابنائى وبيتى وزوجى واسرتى وعملى.. تقبع الأخـرى فى مسكنهـا وتنتظر منى ان أتـرك زوجى لها وليس لـديها مـا يـؤرقهـا من هموم ومسئـوليـات وتعيش فى بحبوحـة من العيش بالمصروف الكبير الـذى يقدمه لها ولـديها شقة تمليك باسمهـا، ولايشغلها شىء سوى أن تنتظـر كل أصيل وهى فى أبهى صورة عودة «أمير»إلى «أميرته» فهل هذا عـدل! أو لم يكن زوجى يستطيع المقاومة والصمود لهذا الاغـراء.. وكل مافعله يتنـاقض مع كل ماكان يـؤمن به من قبل!.

أو لم يكن يستطيع أن ينبهنى من البدايـة إلى مايتعرض لـه من إغراء أو ضغـوط لكى أسـاعـده على المقـاومـة... ولكـى يحتمى بى وبأولاده فى مواجهتهـا؟ وكيف سمح زوجى لنفسـه بمغازلـة الفتيات فى الطريـق العام وهو الذى كان يستهجن ذلك بشدة من قبل؟ وكيف أقـام علاقة عاطفية مع فتاة صغيرة وهو متزوج ثم يتزوجهـا بهذا الشكل، ولماذا لايريد أن يدعنى لحالى ويلح علىّ دائما بأنه يحبنى ولايستطيع الاستغنـاء عنى ولاعن حياته معى؟

اننى أكـاد أجن من كثـرة التفكير فى أمـرى كل لحظـة وأحس ببـوادر الاكتئـاب والانهيـار تقترب منى،، وأراجع نفسى وحيـاتى مع زوجى ليل نهار واتسـاءل فيم أخطأت معـه حتى فعـل مـافعل؟ ولماذا لم يصـارحنى بأخطائى لاتخلص منها فلا يصبح لديـه سبب يدعوه لأن يحيا هذه الحياة المزدوجة؟ إنه ينفى عنى أننى قـد قصرت معه أو أخطأت فى شىء.. ولايقدم لى تفسيرا لما فعل ويكتفى بمطالبتى بان أعتبر مافعل مجرد «قلة أصل» منه!

لكنى لاأستطيع التسليم بهذا التفسير ولا أستطيع الصبر على ماأعـانيه وحدى لأننى لاأريـد لأهلى أو لأحد من الأصـدقاء أن يعلم بما جـرى وأدعو الله كثيرا أن يوفقنى إلى حل عادل لمشكلتى فبماذا تنصحنى؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

لاجديـد تحت الشمس ياسيـدتى، فالإنسـان هو الإنسـان فى كل مكان وزمان.. ومـن متناقضـاته الغـريبة أنه قـد يرغـب لنفسه أحيـانا فى الحد الأقصى من الأشياء، ويطـالب الآخرين فى نفس الوقت بـالتنازل عن بعض حقـوقهم الطبيعية من أجلـه لكى تكتمل لـه هو السعـادة من كل جوانبهـا وبغض النظـر عما ينعكس عليهم من آثار هـذه السعـادة نفسها من عنـاء وشقاء!

وهذا هـو بالضبط مـايطالبك بـه الآن زوجك الحبيب الذى اكتملـت له حياتـه الخاصة ولم يجد مـايشكوه منك كما يصـارحك بذلك فبـدلا من أن يسعد بما أتيح له ويشكر ربـه عليه تطلع إلى الاستزادة من «النعم».. ورغب فى شىء من الاثارة والمغامرة والتجديد، ولم ير بأسا فى ان «يجرب» ماكان يعيبـه على الآخرين مـن قبل فيغازل فتـاة فى الطـريق ويقيم معهـا علاقـة غـرامية،ثم تسحبـه رمال التجـربة النـاعمـة أكثر فأكثـر فيتزوجهـا سرا ويتمـزق بين بيتين لبضعة شهـور ويرجـع خلالها لشريكـة عمره وابنـائه «مجهـدا» لايـرغب إلا فى الاستسلام للنوم، ثم تضطـرب شخصيتـه التى كانت مستقيمـة من قبل فيتورط فى الكـذب مرة بعـد أخرى إلى أن ينكشف أمره ويعترف لزوجته بكل ماحدث! وإلى هنا فقد نتجاوز رغم كل شىء عما فعل فكل إنسان معرض للخطأ.. وقد تغفر له شريكة العمر ماتورط فيه من خيانة وعبث إذا صدق ندمـه وأبدى رغبته فى تصحيح خطئه وتحمل تبعات ذلك بشرف. لكن مـايثير التأمل حقا هو مـايطالبك بـه زوجك وكل من يجد نفسه فى مثل موقفـه غالبا، وهو أن تتقبلى الأمـور «كما هى عليه» وتواصلى حياتك معـه فى حب.. وأمان وسلام، وتقدمى لـه كل ماكنت تقدمينـه له من قبل من إخـلاص وحنان ورعـاية ومشـاركة ومسئـولية أمينـة عن الأسرة والأبناء، ومظهـر عائلى واجتماعى كريـم يليق به ويتشرف! فإذا سئل ولماذا لاتصحح انت خطأك وتسرح تلك الفتاة التى لم تتجـاوز علاقتك بها بضعة شهور بإحسان وتـدعها لمصيرها فتتزوج شابا مـلائما لسنها وتنجب منه

ماتحرمها انت منه؟ أجاب عن هذا التساؤل المنطقى، بأبعد إجابة عن المنطق والعدل واقربها إلى الأثرة والانانية فيجيبك غالبا بالرفض لأن ذلك سوف «يخصم» من أسباب المتعة والسعادة فى حياته.. وهو ليس راغبا فى «التضحية» بشىء من ذلك ولهذا فهو يطالب شريكة عمره ورفيقة كفاحه وأم ابنائه بأن «تضحى» هى من أجله وتتقبل الأمور على «ماهى عليه».. لأنه كما يتصور الإنسان أحيانا فى نفسه «الملك» الذى ينبغى أن يقدم له رعاياه القرابين وليس عليه هو أن يقدم لهم أية «تضحية» ولو كانت من باب تصحيح الخطأ والتنازل عن بعض المتعة الإضافية أو الترفيه فى حياته!

فإذا سئل بعد ذلك وماذا إذا رفضت زوجتك قبول الأمور «على ماهى عليه» وهذا من حقها شرعا وقانونا، وطلبت الانفصال عنك لتبدأ حياة جديدة هى الأخرى من باب الثأر للكرامة أو التعويض والرغبة فى نسيان التجربة الاليمة.. هل تقبل ذلك؟ أجابك بلا تردد بالنفى، وفسر لك رفضه بأن ذلك سوف يجعل لمغامرته العاطفية ثمنا باهظا لايقوى على أدائه وهو أن «تضطرب حياته الشخصية اضطرابا مؤثرا بالانفصال عن شريكة العمر المقبولة من الأهل والمجتمع» وتضطرب حياة ابنائه الذين يعشقهم ويلبى لهم كل مطالبهم اضطرابا أشد وتهتز صورته الاجتماعية أمام كثيرين، فتكون الخسائر أكثر من الأرباح.. هو يريد كما هو واضح أن يستزيد من «السعادة» لا أن يقلل منها ولهذا فالحل الأمثل من وجهة نظره هو أن تتقبل شريكة عمره الامور «كما هى عليه» ولو عانت هى مرارة الخذلان وخيانة العهد وآلام الغيرة القاتلة من منافستها فى قلبه وحياته التى جاءت لتقطف ثمار شجرة لم تروها بالعرق والدموع وكفاح السنين كما فعلت هى.

أما «التضحية» بهوى النفس التى لا تتطلب إلا شجاعة الاعتراف بالخطأ.. وشجاعة الرجوع إلى الطريق الصحيح فليست فى حسابه.. ولاينبغى ان يتوقعها أحد منه!

وهكذا الإنسان فى بعض الأحيان ياسيدتى، حين تسيطر عليه أهواؤه ويعجز هو عن السيطرة عليها، فإذا كنت تسالينني عما تفعلين فى مواجهة هذا الموقف، فلعلى أكون قد أجبت عن مثل هذا السؤال عشرات المرات من قبل ولكن لاباس من التاكيد على ماقوله دائما من جديد وهو أن الشرع

والقانون يعطيانك الحق فى طلب الانفصال عن زوجك إذا عجزت فى النهاية عن احتمال ضرر خيانة العهد ووجود امرأة أخرى فى حياته، لكن واجب الأمومة والمسئولية عن الأبناء الذين لاذنب لهم فى أزمة «منتصف العمر» عند بعض الرجال، يطالبك إذا قبلت بذلك بأن تدافعى عن حياتك وسعادتك وسعادة أبنائك فى وجه هذا الغزو الخارجى لحياتك العائلية، وبأن تبذلى كل ماتستطيعين لاستعادة زوجك واجتذابه إليك إلى ان يكتشف عبثية التجربة التى تورط فيها من الأصل ويصحح الأخطاء، ورأيى دائما هو أن من واجب من يخوض معركة الدفاع عن حياته ضد خصوم يحاولون هدمها هو ان يتصرف فى ذلك على نحو معاكس تماما لما يتوقعه منه الخصوم وبحيث لايعينهم ابدا على تحقيق أهدافهم فيخسر المعركة بلا مقاومة. فإذا كانت «الأخرى» مثلا تنتظر منك ان تتخلى عن زوجك وتنسحبى من الميدان وتدعيه لها لتنفرد به دونك فلا تفعلى ماتتوقعه منك او تأمل فيه، وإنما تشبثى بموقعك وحصونك ودافعى عنها بلا هوادة وبكل الطرق المشروعة والحكيمة، واذا كانت هى قد فرغت من كل الهموم والمسئوليات ولايشغلها إلا انتظار فارسها وهى فى «أبهى صورة» وتتوقع منك ان تهزمك انت الأحزان والهموم بعد اكتشاف الأمر، فيذوى جمالك وتتحول حياتك مع زوجك إلى جحيم متصل من الصراع والشجار واللوم والحساب والأحزان، فلا تحققى لها هذا الأمل.. ولاتجعلى المقارنة تنعقد دائما فى ذهن زوجك بين ما يجده من حنان وعطف وسلام عندها لانه لامشاكل تؤرقها فى علاقتها به، وبين مايجده عندك من جدال وايلام وحساب واتهامات ونكد مقيم بسبب توتر العلاقة بينكما، بالضرورة بعد الأزمة، وانما اجعلى المقارنة تتخذ شكلا آخر لتصبح فى ذهن زوجك بعد خمود العواطف الطارئة مقارنة بين حب العمر الأصيل، الذى ارتفع فوق آلامه وكتم سره حتى عن اقرب الناس إليه ومازال يقدم له رغم معاناته الحب الصامت ويقدم لبيته وابنائه وحياته ومظهره العائلى والاجتماعى العطاء الوافر وبين عبثية المغامرة التى تورط فيها وأراد بها لنفسه أن يثبت لنفسه جدارته بقلوب الفتيات الصغيرات وهو فى منتصف العمر، فلم تلبث الرغبة أن خمدت بعد قليل.. ولم تلبث المشاعر التى تصورها ابدية أن همدت، ولم يبق من المغامرة إلا عناؤها وما تمثله بالنسبة لضميره من احساس مؤلم بالذنب تجاه زوجته

وأبنـائه هكذا ينبغى أن تكـون المقارنـة حقـا إذا قرَّ عـزمك على الدفـاع عن حيـاتك حتى آخر نفس، ولا تتصـورى أنك تواجهين «أميرة» لايشغلهـا من هموم الحياة سوى انتظار أميرها، وبـالتالى فهى أقدر منك على المنافسة أو لعلك لـو اطلعت على حيـاتها لادركت انها أيضـا لا تخلـو من هموم الغيرة القاتلة منك ومما تمثلينه فى حيـاة زوجك ومن جذور متأصلة يصعب عليها اقتـلاعها، ومن تغلغل فى حيـاتـه وأفكاره ومـاضيـه وحاضره ومستقبلـه يصعب عليها مـواجهته فضـلا عن دور الأم والزوجـة العلنية التى يتشرف بانتمائها إليه أمام الآخرين، فى حين تشكـو هى من هامشية دورها فى حياة زوجهـا. ومن احساس « الجاريـة» التى لا يزورهـا سيدهـا إلا تحت جنح الظلام ولا يقضى معهـا سوى ساعـات فى الخفاء ولا يريد الانجـاب منها. وكل هـذه العوامل تهدد بنيـان حيـاتها الهش، بالتهـدم فى أيـة مرحلـة من المراحل وتفقدها الاحساس بـالأمان والاطمئنان للمستقبل فتصرفى على هذا الاسـاس يـاسيدتـى ولا تفقدى الثقـة فى نفسك ولا فى جـدارتك وأشعـرى زوجك بالرفض الصامت لما فعل فى استمرارك فى العطاء له ولابنائه وأسرته، وحددى له فترة زمنيـة معقولة يحق لك بعدهـا ان تختارى لنفسك وحياتك كما تشائين إذا لم يبـادر بتصحيح الخطأ.. قبل ان يتفاقـم وتخرق الأخرى شرط عدم الانجاب سرا لتصعب من حل المشكلة.

فإذا كان من أصحـاب القلوب الحكيمـة فلسوف يقدر لـك تعاملك. مع خيانته لك بهذا الاسلوب النبيـل وبهذا الحرص الأمين على كرامته وسمعته، وصـورته أمـام أبنائه وأهلـه وأهلك، ولن يطـول إبحاره فى بحـر المغامـرة وسيعود سريعا إلى زوجته وابنائه وينقـذ نفسه من هذا التمزق الذى لايليق به وبعمـره ومكانتـه، وسوف يتحمل تبعـات المغامـرة وخسائرهـا المادية بشرف ويكف عن هـذا «الـزعم» المخجل بأنـه «يحب» كليكما معـا ويتمنى استمرار الأمور على مـاهى عليه إلى النهاية فـالله لم يخلق لأحد من قلبين فى جـوفه، ولم تعـرف النفس البشريـة بعد قلبـا يتسع لعشق امـرأتين بنفس القدر ونـوع العشق فى نفس الوقت! فلماذا الإصرار إذن على محاولـة خداع النفس.. وخـداع شريكـة العمـر بمثل هـذا الادعـاء ولماذا لايحسم أمـره بشجاعة، فيصحح خطأه ويسرح الأخرى بإحسان مع تعويضها التعويض المناسب، أو يدعك كما تختارين لنفسك ويتحمل عواقب فعلته؟

٣٢

٣٠ قصة حب واقعية

رائحة العطر



قرات رسالة «التحليل النهائى» للسيدة التى خانها زوجها ولاتجد سببا لخيانته وتسالك لماذا يخون الرجل زوجته التى تحيطه بكل مايدعوه للوفاء والاخلاص، وأريد أن أروى لها قصتى لعلها تجد فيها مايفيدها فى تجربتها، فأنا سيدة خريجة لاحدى الكليات النظرية، وتزوجت بعد قصة حب دامت اكثر من خمس سنوات، وأنجبت بنتين وولدا وعشت فى هدوء مع زوجى المحب الحنون وهو انسان مستقيم الطبع لايعرف المراوغة ونعمنا بالسعادة الصافية والحب العميق المتبادل.. فزوجى هو حبى الأول والأخير، وأنا فتاة احلامه التى كافح سنين طويلة ليجتمع شمله معها كما انى على قدر لاباس به من الجمال والمظهر الحسن.

ولان أسرتى من إحدى محافظات الجنوب وأنا اقيم مع زوجى فى القاهرة حيث يعمل فلقد كنت أسافر إلى بلدتى كل شهر او شهرين حسبما تسمح لى الظروف لأزور أمى التى أصبحت وحيدة بعد سفر شقيقى للخارج للحصول على الدكتوراة فاقيم معها يوما او يومين ثم أرجع لحياتى وزوجى واسرتى.

ومضت حياتنا على هذا النحو خمسة عشر عاما او تزيد، ثم مرضت أمى مرضا شديدا استدعى ان اكون إلى جوارها، فتركت زوجى وأبنائى وأقمت معها لرعايتها فى مرضها شهرا ونصف الشهر ثم توفيت امى إلى رحمة ربها واضطررت للاستمرار فى بيت الأسرة فترة العزاء وحتى ذكرى الاربعين فطالت بذلك غيبتى عن زوجى وأولادى حوالى ثلاثة شهور.

وكان زوجى يجىء لزيارتى فى بيت أمى من حين إلى آخر فيبيت ليلته وحيدا فى بيت أسرتى لازدحام البيت بالاقارب والزوار ثم يرجع إلى عمله فى اليوم التالى.

وقبل حلول موعد الذكرى بأيام اتصلت ببيتى تليفونيا للاطمئنان على زوجى والأبناء كعادتى.. فلم أجد أبنائى فى البيت وعلمت من زوجى انهم يقضون بضعة أيام عقب انتهاء الدراسة لدى عمتهم التى تقيم فى إحدى

ضواحى القاهرة وأن الشغالة قد تركت البيت منذ فترة، وتعجبت مما سمعت لعلمى بأن زوجى لايطيق ابتعاد أبنائه عنه.. ولايحتمل الحياة وحيدا، كما تعجبت أكثر لترك الشغالة للعمل فى بيتنا وهى مطلقة شابة وفى حاجة لمرتبها ولم تكن تشكو من شىء خلال عملها معنا.. ولم تفكر من قبل فى ترك العمل لدينا.. ولم استرح لكل ذلك ونهشتنى الوساوس والشكوك فى زوجى لأول مرة منذ زواجنا.. ولم أدر ماذا أفعل فذكرى الأربعين بعد خمسة أيام ويستحيل أن اترك بيت أمى.. قبلها فلم أنم ليلتها وفى الصباح حزمت أمرى وأبلغت اقاربى أنى أحتاج للسفر إلى القاهرة لأمر هام وسأعود قبل موعد الذكرى.

وسافرت للقاهرة دون إبلاغ زوجى بذلك ووصلت إلى بيتى فرأيت سيارة زوجى أمام البيت فى نفس الوقت الذى كان ينبغى أن يكون فيه فى عمله.. فترددت فى الصعود إلى مسكنى إشفاقا على نفسى من أن أفاجأ بما لا أحتمل رؤيته.. وظللت واقفة فى مكانى أراقب العمارة التى أقيم فيها حتى رأيت زوجى يغادرها ويركب سيارته ويمضى بها فاستجمعت إرادتى وصعدت إلى شقتى فما أن فتحتها حتى شممت رائحة عطر أعرفه جيدا تفوح من المكان.. وتذكرته على الفور فهو عطر كان قد جاءنى هدية ولم تعجبنى رائحته النفاذة، فأعطيته للشغالة التى تعمل عندنا لتتجمل به لزوجها ولم تكن قد طلقت منه وقتها وجريت فى الشقة كالمجنونة أفتش فى ارجائها.. فلم أجد أحدا لكنى وجدت على الكمودينو بجوار فراشى، نفس زجاجة العطر اللعينة التى أهديتها من قبل للشغالة.. ووجدت أيضا قميص نوم غريبا فى الحمام! فمادت الأرض بى وشعرت بدوخة وغثيان وبمشاعر غريبة.. وبكراهية هائلة لزوجى.. وأجهشت بالبكاء واستغرقت فيه.. فلم ادر إلا وزوجى واقف أمامى وهو فى حالة ذهول واضطراب والخجل الشديد يرتسم على وجهه.. ويسألنى أسئلة لامعنى لها فصرخت فى وجهه بما رأيت فلم يستطيع تبرير وجود زجاجة العطر وقميص النوم وراح ينكر بلا وعى ويتلعثم ويتعثر فى الكلام بطريقة واضحة.. ولايكاد ينطق بجملة واحدة مفيدة.. وإنما مجرد كلمات متقطعة.. وغير مترابطة.. ولا تفيد شيئا إلا الانكار، فطلبت منه الطلاق ودخلت غرفة الأبناء وأغلقتها على نفسى من

الـداخل وظللت طوال الليل أبكى حتى طلع الصباح.. وتأكدت من أن زوجى قـد غادر غـرفة النـوم ودخل الحمام ففتحت البـاب بحرص وخـرجت من الشقة عائدة إلى بيت أمى دون أن أراه أو يرانى.

ورجعت لبيت الأسرة وأنا أبكى.. وكل من يـرانى يواسينى فى رحيل أمى وهو لايعـرف إننى لاأبكى رحيل أمى وحـدها.. وإنما رحيل الحب والـوفاء والسعادة عن حياتى أيضا.

ووجدت نفسى أواجه هذا السؤال المرير:

ماذا أفعل مع هذا الزوج الخائن؟

وفى اليوم التالى جاء زوجى إلى بيـت أمى ليحضر ذكرى الأربعين فرأيته منكسرا ويتحاشى التقاء عيوننا، وانتهز أول فرصة اختلى بى فيها وأخذنى بين ذراعيه وبكى وكـانت المرة الأولى التى أرى فيها دمـوعه.. فـدفعته عنى برفق وتركت لـه الغرفة وخرجت، وفى الصباح التـالى طلب منى إغلاق شقة والدتى والعودة معه إلى بيتنـا لنتفاهم هناك على كل شىء .. ورفض السفر بدونى فـرجعت معه ووجدت أولادى فى انتظارى بشقتى وكـان لقاؤهم بى حـارا وجميـلا، وفى مسكننا حـاول زوجى مـرة أخـرى أن يضمنى إليـه.. وأجهش بالبكاء بصوت عـال ولكن دون اعتراف بما فعل.. فتركته وابتعدت عنه وأفكارى ومشاعرى متضاربة وغريبة.. أراجع حياتى معه فأجده كان طـوال ١٥ عـاما مثـالا للـزوج المحب الحنـون السخى فى عطـائه النفسى والعـاطفى والمادى لى والأب المثالى لأبنـائه علاوة على حبى الشـديد لـه، ثم أستعيد مافعل وماصـدمنى به صدمة هائلة فتثـور ثائرتى وأحس بالجرح العميق لحبى وكـرامتى.. ورغم غضبى الشديـد وحيرتى فلقد شعـرت بأن شيئا ما فى داخلى يود أن يسامحه على مافعل لكن كرامتى تأبى على ذلك!

وأخيرا وبعـد حيرة شديـدة اهتـديت لقـرار هو أن أصلى لله وأدعـوه أن يهدينى للصـواب ففعلـت.. واجتنبت زوجى وحـرصت على الابتعـاد عنـه بضعـة أيـام.. وكلما مضى يـوم أجـد ذلك «الشىء» اللعين بـداخلى يعـود ويحثنى على أن أسامحه وأقبل ندمه الصامت بل ويلتمس له بعض «العذر» وليس كلـه فيما فعل رغم بشاعتـه فى الضعف البشرى اللعين.. وفى أنه قـد

فعل مافعل بسبب ابتعادى عنـه ثلاثة شهور طـويلة لم تسمح لنا الظروف خلالها بالالتقاء كزوجين محبين.

وخلال صراعى مع نفسى جاءنى زوجى وطلب منى إذا كنت قـد كرهته نهائيا أن أصـارحه بذلك مؤكـدا لى إنه لايستطيع الحياة بـدونى.. فلم أجبه بشىء.. لكنى حـزمت أمـرى بينـى وبين نفسى وقـررت ألا أضحى بـه أو أهـدم بيتى وأسرتى وأشقى أبنـائى من أجل غلطة وحيـدة ارتكبهـا زوجى مهما كانت مـؤلمة.. وأملت فى أن تداوى الأيـام جراحى، واستأنفت حيـاتى مع زوجى وأنـا راغبة فى الصفح والاستمـرار معه وظللت أعـواما بعـد ذلك وأنـا أعانى من آثـار هـذا الجرح حتى التأم تمامـا.. ونسيته ونسيت هـذه الواقعة تماما فلم أشر إليها معه قط ولم يتطرق لها من قريب أو بعيد طوال السنـوات الماضيـة فكأنما سقطت هـذه التجربـة من ذاكـرتى إلى غيـاهب النسيان طوال السنوات الماضية، حتى تذكرتها وأنا أقرأ رسالة تلك الزوجة واسترجعت تفاصيلها ولكـن بلا مرارة ولاضيق فكأنما قد حـدثت لانسانة أخرى غيرى.. وراجعت موقفى فيها وماأتخذتـه من قرار بالصفح وإعطاء زوجى فرصـة أخرى فوجـدتنى غير نادمـة على هذا القرار، فلقـد أكدت لى عشرة السنين بعد هـذه الواقعة إنه كـان ومازال الزوج الحنـون ـ المخلص المحب لزوجتـه وأبنائه.. والذى شاركنى وشـاركته حلو الحياة ومتـاعبها.. وحمانى من الـوحدة والمعـاناة وتشـاركنا فى تربيـة الأبناء حتـى بلغنا بهم شاطىء الأمـان ولربما لم يكـونوا ليحققوا مـاحققوه فى حيـاتهم من نجاح وسعـادة لـو كنت قـد استسلمت لنـوازع الغضب وحـدهـا فأعمتنى عما لزوجى من مزايا أخرى وعما لأبنائى من حقوق علىّ وعليه.

لقد أردت أن أروى لكاتبة رسالة «التحليل النهائى» قصتى لأطلب منها أن تغفـر لزوجهـا تلك النـزوة ولكن بشرط ألا يعـود لمثلها أبـدا وبشرط أن تكون توبته عنها صادقـة، فنحن معشر النساء مطلوب منا أن نكون أوسع أفقـا وأكثر تسـامحا مع من يستحق هـذا التسامح إذا كـان زوجـا حنونـا ومحبا وسخيـا فى عطائه لزوجتـه وأسرته، وسـؤالى لك ياسيدى فى النهـاية هو: هل الـرجل حقا ضعيف إلى هـذا الحد؟ وهل من الممكن أن يحب الرجل زوجته فعلا ثم يقدم رغم ذلك على خيانتها؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

يقولـون ان الأصل فى وصف الغضب الشديد عـادة «بالغضب الأعمى» هو انـه يعمى بصيرة الإنسان عن كل شىء آخر حـوله ويحصر كل تفكيره ومشـاعره فى الموقف الـذى استثار غضبـه فيتخـذ الإنسان من القـرارات والتصرفات الانفعاليـة مايتعامل به مع الموقف وحـده ويغفل أو تغيب عنه خلال سورة الغضب ظـروف واعتبارات أخرى كانت جديرة بمـراعاتها لو كانت قد اتيحت له فرصة التفكير المنطقى الهادىء فى الأمر كله.

لهذا قيل بحق ان الغضب الشديد عدو التفكير السديد.

وقال بـرناردشـو ان الغضب ريح هوجـاء تطفىء شمعة العقـل! وأكاد أضيف إلى عبارته البليغة هذه:.. والقلب أيضا!

واحسب يـاسيدتى ان مـاأنقذ زواجـك وسعادتك من الانهيـار عندمـا حدثت تلك الـواقعة القديمـة هو انك لم تستسلمى لقـرار الغضب التلقائى الذى اتخذتـه فى سورة انفعالك حين رأيـت مارأيت فى شقتك، وإنما أعطيت نفسك فرصـة عادلة للتفكير الموضـوعى الهادىء فى علاقتك بـزوجك فأتاح لك هـذا التفكير الهادىء مـراجعـة النفس وتأمل هـذه الواقعـة على ضـوء ماضيـه معك وعلاقتك الطويلة بـه فانتهيت من المراجعة إلى اعتبـار ماوقع منه ضعفـا عابرا وليس أصيـلا فى شخصيته.. ووجدت فيما أحـاط به من ظروف ومـلابسات كغيابك عنه ثـلاثة شهور بعض «مـايفسر» لك أسباب هـذا الضعف وان كـان لايبرره بالطبع، فملت للتجـاوز عن خطيئتـه وألح عليك ذلك الشىء الذى بداخلك للعفـو عنه، وماكان ذلك «الشىء» إلا الحب القديم والعظيم الـذى تحملينه له والـذى صمد لهذه العاصفة ونجـا منها، وماشجعك على الـرجاء فيه.. وفى ان يكـون ندمه على مـابدر منه صـادقا.. سوى تاريخه القديم معك ورصيده السابق لديك..

وهذا هو الفارق الهام، بين خطأ الإنســان حين تكون الاستقامة الخلقية هى طـابع شخصيته ثم تـزل قـدمه ذات مـرة إلى هاويـة الضعف البشرى فينـدم على مـافعل، ونتجاوز نحن بعـد حين عن غضبنـا منـه ، وبين خطأ الإنسان المتكرر حين تكون النزوة والاستهتار الخلقى هما طابع شخصيته فيدمن الخطأ وطلب العفـو عنه كل حين، ويعجب لنا عندمـا نضيق ذرعا به

وبأخطائه المتتالية ونرفض الصفح عنه.

وقد أثبتت لك تجربـة السنين ياسيـدتى انك قد تسـامحت مع من كان يستحق منك هذا التسـامح فعلا فمضت حيـاتكما بعد ذلك هـادئة مطمئنة معطرة بعطر الحب والوفاء والعرفان.

ومن حقك ان ترضى عن اختيارك للعفو عنـه وتفضيلك للاستمرار معه ولمصلحة أبنائك على المدى البعيد.. لو تخيَّلت الآن فقط عمق الهوة التى كان من الممكن ان يجرفك إليهـا قـرار الغضب وحـده لو لم ينتصر قـرار الحب ويذكرك برصيده القديم لديك ويهديك إلى الرجاء فيه.

ولايتأتى ذلك غـالبـا إلا للمنصفين وأصحـاب القلوب الحكيمـة الـذين لايهدرون كل مـا قـدمـه لهم الآخـــرون من قبل عنـد أول خطأ أو تصرف لايلقى منهم قبولهم، ولا يتصرفون فى ذلك بمنطق الخرافة العـربية القديمة التى تـزعم إنـه كـانت هنـاك سلحفاة تضع تسعـا وتسعين بيضـة كلهـا سلاحف جيدة ثم تضع بيضة فتفقس حية تلتهم التسعة والتسعين كلها!

فى حين يفعل ذلك لـلأسف بعض شركاء الحيـاة مع شركائهم فينســون لهم كل شىء عنـد أول خطأ.. أو خـلاف.. أو منعطف لايتفق مع رغبـاتهم فكأنما قد التهم خطؤه أو تصرفـه الأخير التسعة والتسعين التى قدمها لهم كلها.

ومن أجمل ماقرأت مؤخرا لأحد علماء السلوكيات.. عبارة يقول فيها:

لاتتخذ أى قرار مصيرى فى حياتك إلا إذا درت حول التل دورة كاملة!

وتفسير هذه العبـارة هو أن كـل مشكلة مصيريـة تواجـه الانسان إنما تنتصب أمـامـــه كـالتل المرتفع ولـن يتأتى لـه أن يتخـــذ بشأنها القـرار الصحيح.. إذا اكتفى بتأمل جـانب التل المطل عليه وحـده وإنما لابد من ان يدور حـول هذا التـل دورة كاملة لكـى يرى كل جـوانبه الأخـرى ويوازن بينها وتكتمل له كل معالم الصورة فيكون قراره أقرب للصواب منه لو كان قـد اتخذه وهو لم يـر من التل إلا جانبـا واحـدا ناهيك عما تتيحـه له هـذه الدورة من مهلة كافية للتروى والتفكير الهادىء قبل اتخاذ أى قرار.

والمؤكد انك قـد درت حول التل دورة كـاملة أتاحـت لك رؤية الجوانب الأخرى فى زوجك.. وحيـاتك.. وأبنائك فـاتخذت قرارك على ضـوء ذلك كله

٣٠ قصة حب واقعية

التحليل النهائى



ولم تندمى عليه ونصيحتك لكاتبة رسالة «التحليل النهائى» مشكورة ومأجورة.

أما سؤالك عن ضعف الرجل وهل يصل به إلى هذا الحد.. وهل يمكن حقا ان يحب الرجل زوجته ثم يقدم على خيانتها، فإنك تفتحين به بابا لحديث شائك طويل ليس هذا مجاله وان كنت قد أجبت عن جانب من هذا التساؤل فى ردى على رسالة التحليل النهائى.. وعلى اية حال وتجنبا للحرج فانى أقول لك كما قلت من قبل ان الدين هو أكبر عاصم للإنسان ضد الخطيئة.. وأن الحب هو أكبر عاصم له ضد الخيانة .. وبعد ذلك أقول لك ان ضعف الرجل يختلف فى الشرق والغرب وفى كل مكان عن ضعف المرأة، مع التسليم دائما بأن لكل قاعدة استثناء فى كلا الجنسين.. فالمرأة إذا ضعفت فإنها تضعف غالبا استجابة لنداء الحب وحده.. أما الرجل إذا ضعف فإنه قد يضعف استجابة لنداء الحب.. وقد يضعف أيضا استجابة لنداء الغريزة المتوحشة التى لم يردعها عاصم من دين.. وصادفت ظروفا وإغراءات يسرت الاستجابة لندائها.

وبعض الرجال ــ لابد أن نعترف بذلك ـ يتعاملون فى ذلك مع نداء هذه الغريزة كما يتعاملون مع غريزة الطعام الذى يقيم الأود ويمنع الهلاك جوعا، ويفصلون فى تعاملهم معها بين « حبهم » لمن يحبون وبين تلبيتهم لندائها عند الضرورة أو فى نزوة عارضة.

وهو خطأ نفسى وعاطفى ووجدانى وأخلاقى غريب، لانه يفصل بين وظيفتين لافاصل بينهما فى الحقيقة عند الاسوياء والناضجين عاطفيا وإنسانيا وخلقيا.. ناهيك عما يحمله من تعارض مخيف مع نواهى الدين وأوامره.. ويكفى هذا الحد من الحديث فى الأمر الشائك ـ وشكرا.

أنا سيدة فى الثلاثينات من العمر.. جامعية وخريجة إحدى كليات القمة كما يقولون عنها.. تزوجت وعمرى ثلاثة وعشرون عاما من مدرس بالمرحلة الابتدائية يكبرنى ببضع سنوات وبعد عام من الزواج اكتشفت «الكارثة الكبرى» التى تنتظرنى وهى أن زوجى غير قادر على الانجاب نهائيا.. ولن أزعم لك ياسيدى أن ذلك لم يصدمنى أو لم يؤثر فىّ كما قد تزعم بعض السيدات فى مواقف مماثلة وانما سأكون صادقة معك ومع نفسى فأقول لك ان هذا الخبر قد زلزلنى وحطمنى تماما، ليس لأننى كنت أحلم فقط بأن أكون أما منذ صباى وإنما أيضا لأنى أحب كل الأطفال ولاتخلو حقيبة يدى أبدا من بعض الحلوى لهم وقد كنت أحلم بأن تكون لى أسرة كبيرة تضم ثلاثة أو أربعة أطفال لأنه لاعم لى ولا خال، لكن هكذا شاءت إرادة الله، فلم أيأس ولم أتوان ولم أقصر فى خدمة زوجى وواجباتى معه فى كل موقف بل ورحت أؤكد للجميع وفى كل مناسبة أننى المسئولة عن هذه «المصيبة» وذلك لكى أدفع عن زوجى الحرج والاحساس بأى نقص، ورحت أستمع باهتمام إلى نصيحة كل صديقة وكل جارة تقدم لى خبرتها فى التغلب على مشكلة عدم الانجاب بل وأكتب اسم طبيب أمراض النساء الذى تنصحنى به شاكرة.. وأتظاهر بنيتى فى الذهاب إليه أمام الصديقة.. ولاأفعل ذلك بالطبع. وعشت حياتى مع زوجى فى هدوء رغم مرات الخلاف البسيط القليلة بيننا والتى كنت أفضل فيها العودة إلى بيت أسرتى حتى تهدأ النفوس وأستجيب لرجاء زوجى فى العودة حين يجيئنى مصالحا بلا تردد، وأيضا رغم فترات وحدتى الطويلة فى شقتى من الخامسة مساء كل يوم وهو موعد عودتى من عملى إلى منتصف الليل، وهو موعد رجوع زوجى من عمله الاضافى حيث يعمل فترتين.

وخلال ذلك لم نكن نقصر فى طلب العلاج والذهاب إلى الأطباء، ثم شاء القدر بعد ست سنوات من الزواج - أن يظهر فى حياتنا أمل جديد فقد ذهبنا إلى طبيب أعطانا الأمل فى أن يثمر العلاج ثماره المرجوة هذه المرة، وأعطانا

علاجا مكثفا لمدة أربعة شهور نفذناه بدقة فلم يثمر النتيجة المرجوة.. فكررنا العلاج المكثف لأربعة شهور أخرى ولم يتحسن الموقف أيضا، فكررنا العلاج لأربعة شهور ثالثة.. وصارحنا الطبيب بأنه الأمل الأخير لنا وانه لن يستطيع - إذا لم يحقق النتيجة المرجوة .. أن يفعل أى شىء آخر وتمسكنا نحن بهذا الأمل الأخير حتى النهاية وتناولنا العلاج المكثف بحرص شديد وأمل لاينقطع فى رحمة الله وانتهينا منه بسلام وتحدد لنا يوم ٨ ديسمبر الماضى للذهاب إلى الطبيب لاجراء التحليل النهائى لخصوبة زوجى بعد آخر دورات العلاج.. وخفق قلبى بشدة خوفا مما قد يكشف عنه هذا التحليل النهائى وحزمت أمرى بغير تردد وصارحت أقرب صديقاتى بأنه كيفما جاءت نتيجة التحليل الذى يتوقف عليه آخر أمل لنا فى الانجاب، فإن مشاعرى تجاه زوجى لن تتغير ولن تتبدل وسأرضى بحياتى وبما شاءته لى الأقدار بغير سخط.

وفى اليوم السابق لإجراء هذا التحليل خرجت من البيت للذهاب إلى عملى كالمعتاد صباح كل يوم.. ووقفت فى إنتظار سيارة العمل التى تنقلنى إليه فتأخرت السيارة طويلا على غير العادة.. وبعد ساعة ثقيلة يئست من الانتظار وهممت بركوب المواصلات العامة لكنى زهدت فى ذلك فجأة وساءلت نفسى لماذا أتحمل عناء المواصلات العامة طوال هذه المسافة الطويلة إلى العمل وقررت فجأة عدم الذهاب للعمل والحصول على إجازة عارضة ذلك اليوم وعذرى فى تخلف السيارة مقبول، ورجعت إلى شقتى لأمضى اليوم فى بيتى وأقوم ببعض الواجبات المنزلية الاضافية. فأدرت المفتاح فى باب الشقة وفتحته بهدوء فإذا بى أرى زوجى العزيز الذى صبرت على عشرته كل هذه السنوات يجلس فى الصالة ليس فوق مقعد أو فوتيل ولكن فوق «حجر» سيدة لاأعرفها ولم أرها من قبل فى حياتى!

وقفت مذهولة لما أرى وعاجزة تماما عن النطق والحركة للحظات فإذا به يسألنى فى برود عن سبب عودتى.. وإذا بى أجيبه وأنا لاأدرى بما أقول بأن عربة العمل لم تحضر، ثم درت حول نفسى دورة كاملة لاأعرف لماذا واتجهت بتلقائية إلى غرفة النوم.. لاأعرف أيضا لماذا ربما لكى أرى هل تغير فيها شىء عما كانت عليه حين تركتها منذ ساعة، ثم عدت للصالة بعد

لحظات فلم أجد السيدة الغريبة التى كانت بالصالة منذ لحظات، ووجدت زوجى يقول لى فى هدوء مفتعل وكأنما يعرفنى بشىء عابر لايستحق الحديث عنه طويلا: هذه مدام .... خطيبة أخى!

فلم أسمع منه كلمة أخرى وخرجت على الفور من شقتى وركبت سيارة أجرة إلى أهلى ودموعى تهطل لاإراديا، ورويت لهم ماحدث وانتابتنى نوبة هذيان وانهرت انهيارا تاما لم أدر معه ماذا حدث لى بعد ذلك ولاأذكر منه سوى مشهد الطبيب وهو يحقننى بحقنة مهدئة فى بيت أسرتى.. وصمم أهلى على استرداد منقولاتى من شقة زوجى فى نفس اليوم ونفذوا ماأرادوا.. وتمنيت فى ذهولى وصدمتى لو أن زوجى كان قد حاول انكار الواقعة أمام أهلى أو تصويرها لهم تصويرا مخففا لكنه للأسف لم يفعل أو لم يعرف كيف يفعل.. فاكتفى بالصمت العاجز عن كل تبرير.

وضاعت ياسيدى سنوات العذاب والصبر على الحرمان من الأطفال بلا طائل ولا عزاء.. ونهشتنى الأفكار والتساؤلات الملحة فحرمتنى من النوم وراحة البال ورحت أسأل نفسى كل لحظة لماذا يخوننى زوجى مع سيدة أخرى بعد كل ماقدمت إليه من معروف وعشرة طيبة؟ وكيف هان عليه أن يفعل ذلك فى مسكن الزوجية الذى ينبغى أن يصونه بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى؟ ولماذا يفعل ذلك وأنا لم أقصر فى حقوقه الزوجية لحظة واحدة وحرصت عليه دائما وعلى مشاعره إلى حد اتهام نفسى بالمسئولية عن عدم الانجاب رعاية له.. هل فعل ذلك لأنه لايحبنى؟ كيف يكون الأمر كذلك وقد كان يؤكد دائما تمسكه بى وحرصه على استعادتى فى مرات الخلاف القليلة التى شهدتها حياتنا.. إذن فلماذا يصدمنى فى مشاعرى وأنوثتى بهذه الطريقة المهينة المزرية؟.. اننى لاأزعم اننى سيدة فائقة الجمال أو مبهرة.. فأنا سيدة عادية لها جمالها المقبول ومظهرى مهندم دائما، وإنسانة طيبة ترضينى أقل كلمة، وحلوة المعشر وكنت أبتسم دائما فى وجه زوجى حتى لا يشعر بأى نقص فيه، كما كنت أحاول دائما أن أكون متسامحة معه وأتغاضى عن كل خلاف قد يقع معه.. فلماذا إذن يفعل مافعل؟ اننى لاأبحث لديك ياسيدى عن حل لمشكلتى.. فالحل واضح لكل ذى عينين ولاحل سواه.. لكنى أبحث لديك عما يرد لى بعض كرامتى

الضائعة.. وعما يشفى بعض جراحى الغائرة.. وأبحث لديك عن إجابة تشفى غليلى وتطفىء نار الحقد والغل التى اندلعت فى قلبى على هذه التساؤلات التى تلح علىّ ليل نهار.. فهل تستطيع أن ترد علىّ بعض كرامتى المبعثرة؟

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول:**

لايستطيع الإنسان مهما فعل أن يمنع الآخرين من الإساءة إليه إذا تحركت نوازع الغدر والشر فى أعماقهم.. ولاغرابة فى ذلك ياسيدتى، فأفعال الآخرين لاتقع فى نطاق سيطرتنا ولانملك أن نخضعها لارادتنا مهما أجهدنا أنفسنا فى محاولة ذلك، ومهما كان حجم العطاء الذى نقدمه لهم، إذ اننا حتى لو كنا نستطيع أن نأسرهم بمعاملتنا الطيبة وعطائنا الصادق لهم فى كثير من الأحيان، فإن نزعات النفس البشرية الغامضة كثيرة أيضا ياسيدتى.. وغرائزنا وأهواؤنا الجامحة وحوش ضارية تتلوى داخلنا تريد أن تحطم القيود الأخلاقية والدينية التى نكبلها بها لتنطلق فى الحياة كما تنطلق الوحوش فى الغابة، فإذا وهنت هذه القيود لدى البعض أو ضعفت درجة سيطرتهم على وحوش الغرائز والأهواء فى أعماقهم، انطلقت من مكامنها تسعى إلى كل مايحقق لها رغباتها دون توقف كثير أو قليل أمام القيم الاخلاقية أو أمام حقوق الآخرين علينا وواجباتنا تجاههم، والإنسان يسأل فى النهاية عما يفعل هو وليس عما ارتكبه الآخرون ضده من خيانة أو غدر أو تصرفات خسيسة.. وليس مما يسىء إلينا فى نظر أنفسنا وأنظار المنصفين أيضا أن نتعرض أحيانا لشىء من ذلك فالجريمة عار مرتكبها لاعار ضحيتها.. والسارق أحق بأن يشعر بالمهانة من المسروق، لانه هو الذى ارتكب عملا شائنا يفقده اعتباره لدى الآخرين وليس الضحية.

لهذا فلست أرى لك الاستسلام لهذا الاحساس المؤلم بالمهانة والهوان «والكرامة المبعثرة» لمجرد أن زوجك لم يحفظ لك عهدك.. ولم يقدر لك عطاءك المخلص له ولا انكارك لنفسك من أجله واحتراما لمشاعره.. فكرامتك مصونة وفى حرز حريز نسجت خيوطه من أخلاقياتك ومثالياتك والتزاماتك الخلقية.. ورؤيتك الخيرة للحياة، أما غدر الغادرين.. فعارهم وحدهم ولو آذى مشاعرنا وألحق بنا أقصى الألم. وكل مايملكه المرء فى

مواجهة إساءة الآخرين له هو أن يدفع الإساءة الجارحة عن نفسه وأن يرفض السكوت عليها أو التسامح معها، وأن يتخذ ممن أساء إليه موقفا عادلا ترضى به نفسه وكرامته.. وهذا ماتفعلينه الآن بالتحديد.. ولا لوم عليك فيه ولاجناح، فنحن قد نطالب الزوج أو الزوجة بالتسامح مع الإساءة حتى ولو كانت جارحة وحتى لو تكررت مرة ومرات، أملا فى الإصلاح وحرصا على استمرار مظلة الأسرة، وأشفاقا على الأبناء من أن يدفعوا ثمنا باهظا لمغالاة الإنسان فى الاعتزاز بكرامته ورفضه الصفح عن الإساءة، وليس هناك من مبرر نبيل للصفح والنسيان عن كل ذلك إلا هذا المبرر وحده، فلأى مبرر إذن يمكن أن يطالبك أحد بالصفح والتسامح إذا لم تدفعك إليهما دوافعك العاطفية الذاتية وحدها؟ إن الحب والوفاء والعطاء والعطف المتبادل والعشرة الطيبة هى المبرر الوحيد لاستمرار الحياة الزوجية بين زوجين لم تشأ لهما الأقدار أن ينجبا أطفالا، فإذا انتفى المبرر لم يكن لاستمرار مثل هذه الحياة أى معنى سام ولا هدف نبيل، ولا لوم على من لايجد سعادته فيها إذا تخلص منها فى هدوء وبحث عن أمانه وسلامه النفسى فى حياة أخرى. لهذا فلست ألومك فى موقفك من زوجك بعد هذا المشهد المؤلم الذى صدمت به فى مسكن الزوجية.. وبعد كل ماقدمت له من عطاء نفسى وعاطفى بلغ بك حد انكار الذات والرضا باتهامها ظلما بالمسئولية عن الحرمان من الانجاب رعاية لمشاعره..

ولك أن تتمسكى بهذا الموقف حتى النهاية إذا شئت.. ولك أن تتنازلى عنه إذا شفيت نفسك مما عانت ورغبت فى استئناف الحياة مع زوجك إذا صدق ندمه على مافعل وقدم لك الترضية الكافية التى تضمد جراحك.. أما الأسباب التى قد تدفع رجلا لأن يفعل مافعل زوجك وقد توافرت له كل أسباب الرضا بحياته معك والاكتفاء بك والتى تتساءلين عنها بمرارة وحيرة.. فالحديث يطول عنها أيضا وكلها مما لايقبله العقل أو المنطق.. والقاعدة هى أن الحب الحقيقى هو العاصم الأول للرجل والمرأة ضد الخيانة بالقلب والفكر وإن الالتزام الخلقى والدينى هو العاصم الأكبر لأى منهما ضد الخيانة بالفعل والتصرفات، فإذا غاب هذا وذاك.. فقد تقع الخيانة أحيانا لأسباب مختلفة فقد تكون ضعفا بشريا صادف إغراء

خارجيا قويا لم يستطع الصمود أمامه، وقد تكون نزوة طارئة غاب فيها العقل والالتزام واستسلم الإنسان فيها لغرائزه ورغبته الغامضة فى إصطناع الاحساس بالجدارة وبأنه مرغوب من الآخرين وموضع رغبتهم واهتمامهم.

وقد تكون فى بعض الأحيان رغبة خفية فى التعويض النفسى وإثبات الكفاءة و«الرجولة» خاصة إذا أحاطت بهذه الرجولة بعض الشبهات فتكون « المغامرة » فى هذه الحالة محاولة لاشعورية من جانب الإنسان لنفى هذه الشبهات عنها فى نظره هو أولا، وفى أنظار الآخرين.. كما قد تكون كذلك رغبة فى تعويض النفس عما تفتقده فى حياتها المشروعة من بعض النواقص العاطفية أو البيولوجية أو الإنسانية، مهما كان مظهر هذه الحياة خلابا ومتكاملا فى أنظار الآخرين، وقد تكون .. وقد تكون .. وقد تكون.. إلخ.

وليس يعنيك كثيرا أن تعرفى دوافع زوجك لأن يفعل مافعل إلا إذا كانت بعض هذه الدوافع تتعلق بك أنت، وترغبين فى تحرى الأسباب والاستفادة من الأخطاء فى المستقبل.

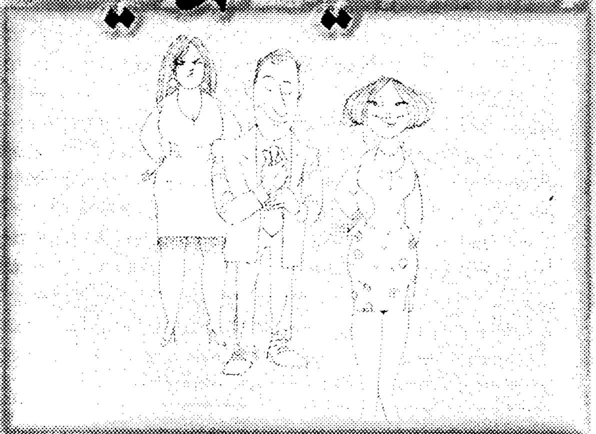
أما دوافعه الذاتية المعلنة والخفية فلن تفيدك فى شىء إلا فى فهمها وفى اكتساب خبرة جديدة بالنفس البشرية ونزعاتها المختلفة.. والفهم قد يؤدى إلى التماس الأعذار والصفح بعد حين.. وهذا كله متروك لك وحدك لتقدريه وفقا لظروفك واعتباراتك الشخصية وحدها..

وفى كل الأحوال فليست هناك تجربة يعيشها الإنسان ولايستفيد منها شيئا صغر أم كبر، فإن لم تكن «خبرة السعادة» هى جائزته فيها.. فلقد عرف على الأقل «بخبرة الألم والتجربة» من لايصلحون له.. ولابد أن يعينه ذلك بشكل أو بآخر فى بحثه العادل المشروع عن الصالح المنشود!..

٢٤

٣٠ قصة حب واقعية

التضحية المخيفة



منذ خمس سنوات وأنا أفكر فى الكتابة إليك ثم يجد جديد فى حياتى فيؤجل قرارى . فأنا سيدة فى الأربعين من عمرى من عائلة متدينة ومحترمة أبدو أصغر كثيرا من سنى كما أنى بدون غرور أو مبالغة على قدر معقول جدا من الجمال والرشاقة والأناقة وأحسن التصرف فى الأمور وفى مواقف الحياة المختلفة .. وقد بدأت قصتى معه وأنا طالبة بالسنة الثانية بكلية نظرية حين التقيت به وأحسست بشىء قاهر يجذبنى إليه ، فكانت بيننا قصة حب كبيرة عرف بها الجميع واستمرت خطبتنا خمس سنوات كاملة لأن حبيبى لم يكن وقتها يملك إمكانيات الزواج ، ورضيت منه بدبلة خطبة بسيطة وتم الزواج بأثاث بسيط كان بعضه مستعملا وجددناه ، وتقبلت كل ذلك وأنا سعيدة لاجتماع شملنا بالرغم من أننى كنت فى بيت أسرتى مدللة وبدأنا حياتنا الزوجية بإمكانيات مادية قليلة ولم أشعر بأى نقص فى حياتى مع زوجى .. وأنجبت ثلاثة أطفال وتحسنت ظروف زوجى فتركت وظيفتى وتفرغت لزوجى وأطفالى وبيتى ، وانشغلت بهم عن كل شىء فى الحياة ، حتى تباعدت رغما عنى زياراتى لأهلى واخوتى وأمى التى تعيش بمفردها لأنى أكرس كل وقتى لزوجى وأطفالى وبيتى ولم أشك يوماً من أعبائى المنزلية أو أعباء الأطفال .. وبلغ من حبى لزوجى أن أصبحت أحب ما يحبه وأكره ما يكرهه ولا أنام إلا بعد أن ينام هو ، وأصحو من نومى قبله ، وإذا مرض ولو بالصداع البسيط سهرت الليل كله إلى جواره وأنا سعيدة بأن أؤدى له عملاً أو واجبا.. كما لم أقصر فى الاهتمام بمظهرى داخل البيت وخارجه ، واهتممت باستقبال ضيوفه وحسن ضيافتهم وبكل شئون زوجى فقد أردت أن أكون له الزوجة والحبيبة .. والأم .. والأخت والسكرتيرة التى تنظم أوراقه واتصالاته وتذكره بالأمور الهامة فى حياته .

ومضت ١٥ عاما من الزواج وقبلها خمس سنوات من الخطبة ولم يتغير شعورى تجاه زوجى أو يفتر حبى له بمقدار شعرة واحدة ، بل زاد وتضاعف ولا غرابة فى ذلك فهو أول حب فى حياتى وآخر حب بل هو

الرجل الوحيد الذى عرفته وأحببته ولا أكف عن التعبير له عن حبى بالكلمة واللمسة واللفتة بعد ١٥ عاما من زواجنا حتى اعتاد زوجى كلما فعلت معه ذلك أن يقول لى اننى خيالية وتأثرت بالأفلام العاطفية والقصص التى أقرأها ولم يكن ذلك يضايقنى بل كان يثير ضحكى ومداعباتى .. لكن ما آلمنى حقاً وهزنى من أعماقى هو أننى قد اكتشفت فجأة أن زوجى الحبيب يخوننى مع فتاة صغيرة ليست فى مستواه الاجتماعى ولا من سنه ويسافر معها بالأيام إلى أفخم المصايف ويتركنى مع الأبناء فى البيت بزعم أنه مسافر فى عمل بل وأنه كان ينوى الزواج منها إلى أن علمت بالأمر فتركها ، وكانت صدمتى هائلة فى زوجى الذى كان مثالاً للأخلاق والاتزان والعقل ولأنه كان ينتقص دائما أى رجل يخطىء فى حق أبنائه وزوجته .

ومع ذلك فقد تحملت صدمتى فيه وحدى وكتمتها عن الجميع ولم أشك لأحد منه وحاولت أن أنسى وأضمد جرحى بنفسى فما أن بدأت أتناسى ما حدث حتى اكتشفت أن زوجى على علاقة جديدة بسيدة تكبره فى السن وأم وجدة لأحفاد أيضا ولا تمتاز بأى شىء ومن وسط غريب جداً ودارت بى الدنيا من جديد وتركها على الفور حين أدرك أنى قد عرفت بالأمر .

ثم توالت الصدمات بعد ذلك كأنما كانت فى عقد ثم انفرطت حباته فتساقطت واحدة وراء الأخرى ..

فهذه سيدة أخرى وجارة لنا .. وأعرف بالأمر وأواجهه وأبكى وأستعطف .. وأذكره بالحب القديم وبالشرف والأخلاق والدين .. والأبناء فيخجل ويتركها.. فلا تمضى شهور حتى أعرف بعلاقة أخرى وتتكرر نفس القصة .. مرة رابعة وخامسة .. وكلما أفقت من آثار محنة جديدة وتصورت أن الأحوال قد هدأت أخيرا أصدم بقصة جديدة وجرح جديد ورغم كل ذلك فقد سامحته على كل ما فعل وغفرت له ليس عن ضعف وإنما عن حب كبير ، واحساس بأننا روح واحدة فى جسدين ولا يمكن أن ينفصلا إلا بالموت ، كما أنى أيضا كنت أضع مصلحة أبنائى فوق كل اعتبار لأنهم يحبون أباهم جداً ويتعلقون به تعلقاً شديداً ورغم صفحى ونسيانى فانى كثيرا ما تعجبت من أمره وكثيراً ما سألت نفسى لماذا يفعل زوجى ما يفعله .. وأنا لا أقصر فى واجباتى الشرعية تجاهه ولم أرفض له نداء ذات يوم مهما كنت مريضة أو عاتبة عليه فى شىء ، ولماذا يفعل ذلك وأنا لا أقصر معه حتى فى ترديد كلمات الحب على مسامعه كأننى فتاة

مراهقة تحب لأول مرة فى حياتها وكل ذلك إلى جانب محاولاتى المستمرة لإسعاده وإسعاد أولادى واهتمامى بالتغيير والتجديد فى حياتنا واهتمامى بالمناسبات والأعياد ومعاملتى له أمام الجميع بحب واحترام مع عدم البوح بأى شكوى منه حتى لا تهتز صورته فى أعين الآخرين وحتى يبقى دائما الرجل المحترم منهم .

نعم كثيرا ما سألت نفسى هذه التساؤلات المريرة فلم أجد لها جواباً شافيا وتركت للزمن تضميد الجراح وصبرت على زوجى على أمل أن يتغير أو تنزل عليه هداية السماء ، ثم نقل زوجى منذ أربعة شهور وفقاً لطبيعة عمله إلى صعيد مصر وأقام فى إحدى المدن هناك فى استراحة تابعة لجهة عمله .. وبقينا نحن فى القاهرة حيث مدارس الأبناء . وسافر زوجى وعاد فى أجازته الأولى فإذا بى أحس بتغيير رهيب فيه فكأنه قد أصبح رجلاً غريبا لا أعرفه من قبل وفسرت هذا التغيير الكبير بظروف نقله وإقامته وحيداً فى تلك المدينة البعيدة لكنى أحسست رغم ذلك بتشاؤم كبير لم أشعر به من قبل فى الكوارث السابقة ولم أجد له تفسيرا مريحا ولم تمض فترة طويلة حتى صدق احساسى الغامض واتصل بى بعض أصدقاء زوجى ليبلغونى بأنه على علاقة بسيدة متزوجة من رجل كبير السن ولها أبناء فى الجامعة .. وأنها سيدة مستهترة ولا تبالى بشىء ولا بأحد وتسافر إليه فى تلك المدينة البعيدة .. وتستقبله فى القاهرة عند مجيئه من عمله فيغيب معها طوال اليوم ويأتى إلينا آخر الليل ولم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك وواجهته بما عرفت فأنكر فى البداية .. ثم عاد واعترف بأنها علاقة عمل وسوف ينهيها على الفور وبالفعل قضى تلك الاجازة معنا ولم يرد على اتصالاتها التليفونية المتكررة وجاءت ووقفت تحت البيت تنتظره ولم يخرج إليها ..

ثم سافر زوجى إلى عمله فإذا بى أعرف أنها قد سافرت إليه هناك وأثرت عليه واستعادت علاقتها به .

ورجع زوجى فى الأجازة الأخيرة فطالبته بمصارحتى بالحقيقة مهما كانت قاسية وأكدت له أننى لن أتخلى عنه وإنما ساقف بجواره إذا كان متورطا فى شىء معها فاعترف لى بوجود علاقة بينهما لكنه لو تركها الآن فلن تدعه فى حاله وإنما ستهدده فى عمله وتستطيع ذلك لأنها على صلة ببعض الكبار فى الدولة !

فطالبته بتركها وبألا يخشى شيئا فاتصل بها وأنهى كل شىء بينهما لكنها لم تهدأ واتصلت به وهددته فعلا .

وكأنما أراد زوجى أن يحتمى بنا من وحدته وضعفه معها فى مقر عمله ومن ضعفه فطلب منى أن أنتقل معه أنا والأولاد على الفور إلى المدينة التى يقيم فيها على أن ننقل أبناءنا إلى المدارس هناك وبدون تفكير وبدون تردد بل وبدون حتى أن أخبر أمى أعددت على الفور خلال ساعات حقائب السفر لى وللأولاد ورتبت كل شىء وأغلقت مسكنى وسافرنا للإقامة معه فى الاستراحة فى تلك المدينة ورغم مفارقتى لبيتى وأهلى وأخوتى ووجودى فى غربة لا أعرف فيها أحداً فلقد كنت سعيدة لوجودنا نحن الخمسة تحت سقف واحد .. ولعودة الاحساس بالأمان لى وللأولادى ونحن مع زوجى وإلى جواره وحمدت الله كثيرا على ذلك ورأيت أن متاعب الغربة هى أهون ضريبة أدفعها للحفاظ على زوجى وحبى وأولادى وبيتى .

لكن سعادتى لم تطل كثيرا للأسف فلقد أحسست بتغير زوجى من جديد وسألته عما ألم به فاعترف لى بأنه متزوج من هذه السيدة بعقد عرفى بعد أن تركت زوجها وأولادها طلبة الجامعة من أجله ! وأحسست بأن زوجى قد طعننى هذه المرة فى مقتل ، بهذا الاعتراف وبأنه قد قضى على آخر أمل لى فى الإصلاح معتقدا أننى سوف أقبل بهذا الوضع اعتمادا على أننى أحبه .

وتحاملت على نفسى وصبرت حتى لا أضيع امتحانات نصف العام على أبنائى لكنى لم أعد أستطيع الصبر ولا القبول أكثر من ذلك .

إن زوجى يقول لى أن ما فعله من حقه وأنه « شرع الله » وأنا أسألك : هل أباح له الزواج بأربع بغير أسباب أو لغير حكمة .. وحتى لو كانت الزوجة سليمة وفى عز شبابها وتحب زوجها ولم تقصر معه فى شىء يذكر بل على العكس كانت تبالغ فى حبها وحسن معاملتها له ؟

وهل من « شرع الله » حقاً أن ينخرب بيت بعد عشرين عاماً كان خلالها سعيداً وآمناً .

وهل يرضى الله سبحانه وتعالى أن يضيع أبنائى فى الطريق وأن تضيع آمالى وأحلامى فى السعادة والأمان ؟

إن زوجى يعتقد أن هذه السيدة تحبه وأنها قد ضحت من أجله بزوجها وأولادها .. فهل السيدة التى تترك زوجها المسن بعد ٢٥ عاماً من الزواج

وتتخلى عن أولادها تكون قد « ضحت » فعلاً وتستحق أن يتركنا زوجى من أجلها ؟؟

وهل السيدة التى تترك زوجها وأولادها وتبيع أهلها فى سبيل رغبتها فى رجل آخر تكون سيدة صالحة وتؤتمن ؟

وهل السيدة التى تهدم بيتها بيدها وتريد أن تهدم بيتاً آخر هو بيتى ، تكون سيدة مضحية وتستحق أن يقدر لها زوجى « تضحيتها » ويضحى من أجلها وهل حب عشرين عاماً كحب أربعة شهور ؟

وأخيراً وهل يرضى الله سبحانه وتعالى بأن تضيع أسرة وأربعة أشخاص هم أنا وأولادى وأن تضيع عشرون عاماً من الحب والإخلاص والوفاء فى مقابل سيدة تاركة لزوجها المسن وأولادها مقابل علاقة أربعة شهور ؟

هل هذا عدل ياسيدى ؟

اننى أكاد أجن ولا يستقر لى جنب فأرجوك أن تجيبنى بكل صراحة وأن تشير علىّ وعليه والسلام عليكم ورحمة الله .

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

لا أعرف لماذا لا نتذكر « شرع الله » إلا فى هذه الجزئية وحدها منه .. ونتغافل عن مجمله أو معظمه فى كثير من سلوكياتنا ومعاملاتنا الأخرى فى الحياة ؟

وأين كان « شرع الله » فى العفة والوفاء والاخلاص وعدم خداع شركاء الحياة وهو يخرج من علاقة محرمة إلى أخرى .. ولماذا لم يحصنه ولم ينهه عن هذه العلاقات الآثمة قبل أن تتطور احداها وتتحول إلى زواج عرفى سرى لا يختلف كثيراً فى مضمونه وفى سريته عن هذه العلاقات السابقة ؟

أليس غريباً أننا لا نتذكر « شرع الله » هذا إلا إذا أردنا أن نبرر خيانتنا لعهودنا مع من عاهدناهن على ألا نشرك فى حياتنا معهن أحدا سواهن ؟

لقد تحدثت من قبل كثيرا عن تعدد الزوجات ولن أعيد ترديد ما قلت فيه لكنى سأقول لك فقط : إن الإسلام لم يبتكره ولم يأمر به على عكس ما يتصور البعض من ظاهر الآية « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وإنما نظمه وقيده بأربع زوجات وبشرط العدل فى النفقة والمبيت والقدرة عليه وقد كان معروفاً وسائداً فى الشعوب القديمة قبل الإسلام ، وفى

التوراة نصوص ووقائع تؤكد ذلك فلقد كان لداود عليه السلام زوجات كثيرات وكان لسليمان عليه السلام سبعمائة زوجة وثلاثمائة من السرارى ، وليس فى الانجيل نص بمنعه وكان مباحا فى أوروبا حتى حرمته الكنيسة فى العصور الوسطى وهو فى رأى أكثر الفقهاء ليس أمراً واجباً وإنما مباح فقط لحكمة قدرها الله سبحانه وتعالى لصلاح المجتمع وسد أبواب الخطيئة ، كأن تكون الزوجة مريضة وغير قادرة على تلبية احتياجات زوجها الإنسانية والعاطفية ، أو أن تكون محرومة من الإنجاب وتشتد على زوجها رغبته فى الإنجاب مع الاحتفاظ بزوجته الأولى بقبولها وموافقتها ، أو أن تكون رغبة الزوج فى النساء أكبر من أن تلبيها له زوجة واحدة ، أو أن يكون فى المجتمع كثرة من النساء يُخشى معها من انتشار العلاقات غير المشروعة . وتعدد الزوجات فى رأى عالم جليل كفضيلة الشيخ سيد سابق فى فقه السُنة « ليس واجباً ولا مندوباً ـ أى مستحباً ـ وإنما هو أمر أباحه الإسلام لمقتضيات عمرانية وضرورات إصلاحية » .

وفى رأى عالم فاضل كالدكتور عبد الجليل شلبى « فإن الإسلام لا يحتم ولا يشجع على تعدد الزوجات ولكنه أباحه على شريطة ألا يزيد عدد الزوجات على أربع وأن يستطيع الزوج العدل بينهن .

أما فى رأى مستشرق فرنسى كبير كالأستاذ جوستاف لوجيون فهو « البديل الأخلاقى ـ عند الضرورة ـ لتعدد الزوجات السرى لدى الأوربيين » ويقصد به تعدد العشيقات والعلاقات المحرمة .

وفى كل ذلك فلم يكن فى ظروفك ولا فى ظروف زوجك ما يبرر له أو يدعوه إلى السباحة فى بحر النزوات والمغامرات .. والعلاقات الآثمة التى انتهت به إلى هذا الزواج السرى ..

و « شرع الله » الذى يتحدث عنه يعطى للمرأة فى مقابل إباحته لتعدد الزوجات الحق فى أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها كما يجيز لها أيضا أن تجعل عصمتها بيدها لكى يسهل عليها الطلاق إذا تزوج زوجها عليها .. بل انه ليجيز لها كذلك أن تشترط فى عقد زواجها تعويضاً مالياً يقدمه لها زوجها إذا تزوج عليها .

والأصل فى الزواج انه تعاهد بين طرفين على أن يكون كل منهما للآخر وحده بلا شريك له فى قلبه ولا فى حياته ، فإذا خرج الزوج على هذا التعاهد الضمنى فقد خانه .. والشرع والقانون يطالبانه بأن يصارح زوجته

برغبته فى الزواج .. من أخرى ولها أن تقبل وتواصل رحلتها معه .. ولها أن ترفض وتطلب الطلاق وتحصل عليـه للضرر إذا أصر الزوج على الزواج من أخرى وبـالتالى فإن مـا فعله زوجك هـو خيانـة لعهده معك حين تحاببتما وتـزوجتما وتعاهـدتما على الاخـلاص والوفـاء حتى نهايـة الرحلـة وهى « خيانة » بـدأت منذ فترة بسلسلـة العلاقـات والنزوات التى طـرأت على حياتـه معك .. والواضح أنه يعـانى من أزمة منتصف العمر التى يعـانيها بعض الرجال وبعض النساء أيضـا بعد الأربعين . فيدفعهم قلقهم النفسى من تسرب الشبـاب وتسلل بوادر المشيـب اليهم إلى محاولة اثبـات العكس بالاستجابة لبعـض النزوات العابرة والعناية بـالمظهر والاهتمام المغالى فيه بالجنس الآخر .

وهى مرحلة لا تطول .. على أية حال ولقد تعاملت معها بصبر وتسامح كبيرين على أمل الإصلاح إلى أن روعك زواجه من هذه السيدة « المضحية » وإجاباتى عن تساؤلاتك المريـرة هى أن عشرين عاماً من الحب الصادق .. والعطاء المخلص والوفاء والتفانى فى إرضاء المحبوب إلى حد تدليله لا يمكن أن ترجحها أو تتكافأ معها علاقة لا يـزيد عمرها على أربعة شهور ويتخفى بها طـرفاهـا عن الآخرين .. لأنهما يعلمان قبل غيرهما أنها لا تلقى قبـول المجتمع ولا احترامه مهما تسمت من المسميات .

كما أن سعادة بيت صغير وزوجـة محبة ومشرفة لزوجها مثلـك وثلاثة أبنـاء وتـاريخا طويـلا من الحب والـذكـريات المشتركـة يجمعك بـزوجك لا يمكن أن تـوضع فى إحدى كفتى الميـزان مع سعادة سيـدة « مضحية » هجرت زوجها المسن وأبناءها الجامعيين جريا وراء نداء العاطفة والمغامرة بعد أربعة شهور فقط من تعرفها بفارسها الجديد .

وأغلب ظنى انها كانـت راغبة فى التخلص من حياتها الـزوجيةالسـابقة من قبل أن تلتقى بـزوجك بكثير وأنها قـد حـزمت أمرهـا فى ذلك منـذ زمن طـويل ، إذ ليس من المقبـول أن تتخـذ زوجة لمدة ٢٣ عـامـاً على الأقل وأم لأبنـاء شباب مثل هـذا القـرار المصيرى خلال بضعـة شهـور فقط التقت خـلالها بفارس أحـلام جديـد مهما كـان سحره عليهـا أو جاذبيتـه وإنما الأقرب للعقل والمنطق هو أنها قد حزمت أمرها فيما يتعلق بحياتها الزوجية منذ زمن طويل وكانت تنتظر فقط من يعينهـا على تنفيذ قرارها الصعب هذا وحمايتها من الأهوال العائلية التى ستترتب عليه .

لم يكن هناك أفضل من زوجك لكى يقوم بدور الحماية الضرورى هذا تحتاج إليه . فهو كما عـرفت من رسالتك يشغل وظيفة سيادية طلبت ألا أشير إليهـا وهو بحكم عملـه قادر بـالفعل على حمايتها من انتقـام أهلها وأسرة زوجهـا منها بل ومن بطش أبنـائهـا بها أيضا بعـد الكارثـة العائلية التى تسببت لهم فيها ولقـد قام زوجك بدوره المطلوب خير قيام .. لكنه أخطأ الحسـاب فحمل نفسـه « تضحيـة » لا معنى لأن يتحملهـا ولا لأن يرى نفسـه مطالبـا بتقديـرها لها .. فـالأصح إنها هى المدينـة له بحمايتها من بطـش ذويها وليس هو المدين لها « بـالتضحية الكبرى »كما يصور له غرور الرجل الذى يستريح دائما لفكرة تضحية المرأة من أجله .. ويجد فيها مبررا نفسيـا للإحسـاس بالجدارة والتميـز .. لكن الحقيقة غير ذلك للأسف فلقد كانت علاقتها بـه علاقة احتياج وحماية .. وليست علاقة حب عـاصف هدم فى أربعـة شهـور بيتـا دام أكثر من عشرين عـاماً وكـان زوجك هـو الوسيلـة المثلى لتنفيـذ قـرارها الصعب بـالتخلص من حيـاتها الزوجية فماذا يبقيه عليها .. بعد أن أدى دوره خير أداء؟

وكيف يضعك وأنت الزوجة والأم والحب والعشرة والتاريخ المشترك مع هذه السيدة فى ميزان واحد ؟

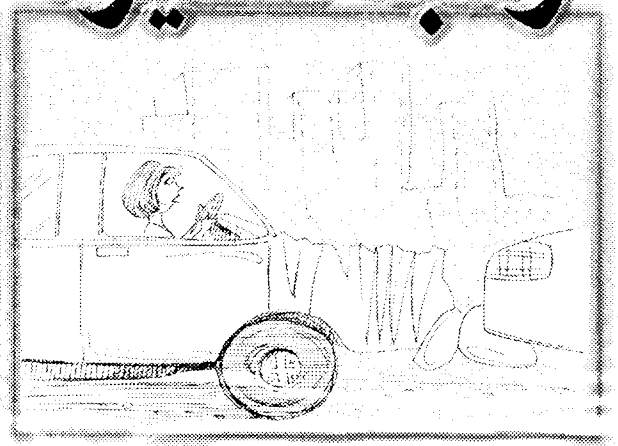
لا ياسيـدتى إنها لا تستحق فعلا كما تقـولين ان ينهدم من أجلهـا بيتك وأحلام سعادتك وأمان أطفالك وأمانك .

أمـا « التضحيـة » التى يتحـدث عنهـا زوجك .. إذا كـان مـازال مصراً بغـرور الـرجل على استمراء الحديث عنهـا .. فإننى حتى لـو وافقتـه على اعتبارهـا كذلك .. فإنى أراهـا كافيـة وحدهـا لو أمعن التفكير فيهـا بجلاء وبصيرة لأن يزداد تمسكاً بك أنت وبأطفالك ولئـلا يعدل بك انسانة أخرى مهما كان شـأنها معه ففى رواية فـرنسية قديمة ، التقت زوجة فى الأربعين من عمرهـا لرجل ثرى فى الستين وأم لأربعـة أبناء بشاب وسيم فى الثـامنة والثلاثين من عمـره وزوج لزوجة شابـة مخلصة وأب لطفلين ، فتدلهت فى حبـه خلال وقت خـاطف ، واستجاب لها الـرجل الوسيم متأثـراً بجمالها وبوحدته العارضة خلال سفر زوجتـه وطفليه لزيارة أهلها وقررت الزوجة العاشقة أن تتخلص من حياتها الـزوجية لكى تهرب مع الشاب الوسيم إلى بلدة أخـرى ، وتركت رسالة لـزوجها بذلك تطلب منه فيهـا ألا يبحث عنها ورسالة أخرى لأكبر أبنائها ترجوه فيها أن يلتمس لها « العذر » فيما فعلت

٢٥

٣٠ قصة حب واقعية

رغبة صغيرة



وألا يكرهها هو واخوته .. ثم وافت عشيقها فى مكان اللقاء فى الموعد المحدد ليركبا معا عربة ؟ تحملهما إلى حياتهما الجديدة .

فإذا به يجيء إليها فى موعده .. ولكن بلا حقيبة سفر .. وبشخصية مختلفة عن شخصيته خلال الأيام الماضية ويطلب منها العودة إلى زوجها وأبنائها ونسيان علاقتهما العابرة فلقد عادت زوجته وطفلاه إلى البيت فأفاق من نزوته وأدرك عمق الهاوية التى كاد يسقط بها وازداد تمسكا بزوجته المخلصة وأسرته الصغيرة ..

وانهارت الزوجة العاشقة حتى كادت تتداعى على الأرض وانهمرت دموعها كالمطر وراحت ترجوه وتتوسل إليه وتستعطفه ألا يتردد فى اقتناص السعادة المتاحة لهما .. وألا يحطم قلبها .. وهو يصر على الرفض بحزم مهذب ..

ففقدت الزوجة الخائنة أعصابها وثارت عليه ثورة هائلة واتهمته « بالغدر » و « الخسة » .. و « الخيانة » وقالت له بانفعال شديد :

— أتتخلى عنى بعد أن « ضحيت » من أجلك بزوجى الذى يحبنى ويحتاج إلى رعايتى وبأبنائى الأربعة الذين يحتاجوننى إلى جوارهم فأجابها بهدوء قاتل : .. بل إننى أتخلى عنك من أجل هذه التضحية « المخيفة » نفسها .. فمن تضحى بزواج عمره ٢٠ عاماً وزوج محب يحتاج إليها فى شيخوخته وأربعة أبناء من أجل رجل التقت به منذ أسابيع فقط لا أضمن عدم تقلب مشاعرها ولا إخلاصها لى إذا التقت ذات يوم قريب أو بعيد بمن هو أكثر منى وسامة وأنضر شباباً .. ولست أثق فى أن مثل هذه السيدة تستحق أن أفقد زوجتى المخلصة وأعرض أطفالى للتعاسة من أجلها ؟

ثم استدار من حيث جاء وعاد بخطوات بطيئة واثقة إلى زوجته وطفليه !

وهكذا كان ينبغى لزوجك أن يفعل ذلك مع هذه السيدة حين عرضت عليه « تضحيتها » المزعومة .

وهكذا ينبغى أن يفعل الآن تصحيحا لهذا الخطأ .. وتفضيلا لزوجته المخلصة وأبنائه الثلاثة .. وأمان أسرته واستقرارها .

أما مسئوليته عن حماية السيدة « المضحية » من أسرتها فيستطيع أن يقوم بها زملاؤه.. وبالقانون.. وليس بهدم الأسر السعيدة الآمنة.. وشكرا.

أنا سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى أعمل محاسبة بإحدى الهيئات تزوجت منذ عشر سنوات من شاب يكبرنى بخمس سنوات ويعمل بإحدى الهيئات السيادية وزوجى والحمد لله شاب فى منتهى الحيوية والشباب ولكنه كان قد أصيب قبل زواجنا بمرض ترك أثره عليه فى عدم قدرته على الانجاب فتقبلت أقدارى.. ورضيت عن حياتى وسعدت بها ولم يضايقنى شىء فيها سوى كثرة تغيبه بسبب عمله المستمر فى أماكن خارج القاهرة مما جعلنى وحيدة معظم أيام الشهر، وفى بداية حياتى معه لم أكن أشعر بالوحدة كثيرا — فقد كنا نقيم بشقة مؤقتة قريبة من أسرتى.. وكان أثاثنا بسيطا.. وحياتنا بسيطة فأكرمنا الله بعد خمس سنوات بتسلم زوجى لشقة مناسبة فى حى لائق وأصبح لدينا أثاث جميل وما نحتاج اليه من أجهزة وكماليات بفضل الحب.. وبفضل رغبتى فى تحسين مستوى معيشتى، فكنت أشترى هذه الأجهزة بالتقسيط من مرتبى، وأغير الأثاث بما أملك من بعض النقود كما ساعدت زوجى فى شراء سيارة. ووافقته بترحيب على أن يسجلها باسمه لكيلا أحرجه ولأنه أيضا اشترك فى ثمنها بمبلغ وأتكفل بمتطلباتى وأشترى كماليات البيت بإرادتى واختيارى ورغم أن زوجى لم يطالبنى قط بأى مبالغ مالية وهو ليس طماعا أبدا والحمد لله.. وقد ساعدت نفسى على التغلب على مشكلة الوحدة وعدم وجود أطفال بتنمية هواياتى واستثمارها فيما يفيد ويزيد من دخلى وحققت فى ذلك نجاحا يسعدنى.. ومضت حياتى هادئة جميلة وزوجى الحبيب يغيب فى عمله البعيد ١٥ أو ٢٠ يوما، ثم يرجع فى أجازة لمدة ٥ أيام أو ٦ أيام فأنتظره فى لهفة وأستقبله بشوق بالغ فنقضى هذه الأيام القليلة معا لا نفترق.. وظل هذا شأننا حتى بداية الصيف الماضى حين لاحظت عليه فجأة كثرة خروجه بمفرده فى أيام الأجازة القليلة وبأعذار مختلفة رغم أنى قد حصلت من عملى على أجازة بدون مرتب لمدة عام لكى أتفرغ له حين يرجع فى اجازته كل الوقت ولأستريح من بعض ظروف العمل غير المواتية وفى إحدى المرات أراد توصيلى بالسيارة لبيت أسرتى وتركنى فيه لكى يذهب

بمفرده لزيارة صديق مريض.. فعرضت عليه أن أصحبه وأبقى بالسيارة إلى أن ينتهى من زيارته لصديقه لكى نتحدث خلال الطريق فرفض وحين ألححت عليه فى ذلك ثار وقال لى: أنت تخنقيننى، أريد أن أكون وحدى، فتركته يذهب لشأنه.. ومرت الحكاية بسلام إلى أن عاد للبيت ذات يوم وأنا أجلس فى الصالون مع بعض الضيوف.. فلمحت فى وجهه بمجرد دخوله بقعة حمراء ظننتها بقعة دم فسحبته من يده إلى غرفة النوم لكيلا يلاحظ الضيوف ما رأيت ومسحت له وجهه فإذا بالبقعة الحمراء أثر من أحمر شفاه، وتماسكت إلى أن انصرف الضيوف بسلام ثم تفرغت له وطلبت منه تفسيرا لما رأيت.. واختصارا للتفاصيل فلقد اعترف لى بعد مراوغات طويلة وعناء شديد بأنه قد تعرف منذ شهور بسيدة مطلقة ولديها طفلة وتعمل مبرمجة كمبيوتر بإحدى السفارات الأجنبية.. وأنه قد «تزوجها» أو «سيتزوجها» أو يريد أن «يتزوجها» ولا تعجب لهذا التخبط فلقد روى لى القصة فى نفس الليلة بشكل مختلف عدة مرات.

أما كيف تعرف بها فلقد حدث أنه كان يركب سيارة العمل، فصدمته سيارة صغيرة تركبها سيدة ترتدى الشورت وبجوارها شاب كان يعلمها قيادة السيارات، فنزل زوجى غاضبا من سيارة العمل وطلب منها تعويضا لإصلاح سيارة العمل حتى لا يتحمله السائق اذا لم تفعل. فأعطته ٣٠٠ جنيه وحصل منها على بطاقة باسمها وعنوانها لكى يرد اليها باقى المبلغ اذا تكلف الاصلاح أقل.. وكان زوجى الذى روى لى القصة وقتها فخورا بما فعل معها بهدف أن يعلمها عدم الاستهتار بأرواح البشر، وتم اصلاح السيارة وتبقى من قيمة التعويض مبلغ فسألنى زوجى كيف يعيده اليها فأشرت عليه أن يكلف السائق بإعادته لها لكنه أصر على أن يذهب بنفسه لإعادة المبلغ المتبقى فكانت بداية القصة!

ولست فى حاجة لأن أقول لك أننى حزنت أو صدمت.. أو تزلزل كيانى.. وطالبت زوجى بقطع أية صلة له بهذه السيدة.. ولقد فعلت كل ذلك ووعدنى بأن يفعل.. وقال لى بعد أيام أنه قد قطع كل صلة له بها ولم يعد يتصل بها لكن الشك فى صدرى لم يهدأ.. مع تضارب كلامه وعوده.. فقررت أن أقطع الشك باليقين.. وأخرجت رقم التليفون الذى احتفظت به حين رأيته على بطاقتها القديمة واتصلت بها وطلبت مقابلتها ورحبت هى وحددت لى موعدا فى كافيتريا أحد الفنادق وخرجت لمقابلتها لأعرف منها

٣٥

مدى ما وصلت اليه علاقتها بزوجي فالتقت بى وهى خائفة منى فى البداية لكنها اطمأنت إلى أنى مسالمة ولا أريد فضحها.. كما أنى أتحدث معها بهدوء واحترام وأدب فتمالكت نفسها وقالت لى أن زوجي يحبني ولا ينفك عن الإشادة بى فى حديثه معها.. وهذا ما أعجبها فيه فضلا عن أنه متدين ويكره الحرام ولهذا فقد ارتبطت به ولم تتم بعد خطبة بينهما لكنهما قد اتفقا على الزواج من ناحية المبدأ مع استمرارى على ذمته بإذن الله! وشكرت لها «كرمها» بقبولها استمرارى على ذمة زوجي بعد زواجها المرتقب منه فى القريب وتحدثنا ثلاث ساعات كاملة.. وخرجنا من الفندق وتصافحنا باحترام كأى صديقتين ورأسى يدور مما سمعته ورجعت الى زوجي بما سمعت وعرفت وناقشته فيه وراوغني.. وجدد وعوده بالانقطاع عن هذه السيدة.. لكنه ويااللغرابة يطالبنى بعدم الضغط عليه بشدة لإنهاء هذه القصة على الفور لأنها لن تنتهى دفعة واحدة وانما يستغرق الأمر بعض الوقت ولابد لى من الصبر عليه حتى تنتهى نهاية طبيعية هادئة!

وهو يؤكد لى كل يوم أنه يحبني وأكبر دليل على ذلك أنه لم يتزوج هذه السيدة مراعاة لى وان كنت أنا المخطئة فى موقفى هذا لأنه كان يتوقع منى أن أتحمل وأضحى من أجله وأتركه يخوض تجربته معها للنهاية ويتزوجها ولا اعتراض من جانبى ولن أخسر شيئا فى النهاية ذلك أنه اذا أثبتت العشرة أنها سيدة طيبة وممتازة فلقد كسبنا «أختا» جديدة لى، واذا كشفت التجربة انها سيدة سيئة فسيطلقها.. ولن نخسر شيئا!

أما لماذا كان ينبغى على أن «أتحمل» و«أضحى».. فلكيلا يعيش و«فى نفسه شىء» و«تمناه» ولم يستطع تحقيقه «بسببى» وهذا هو منطقه والله العظيم ولا أعرف هل هو مقتنع حقا بما يقوله لى أم أنه يتظاهر بذلك ليبرر لى رغبته اعتمادا على حبى الشديد له؟

أما «الأخرى» فلم أجد فيها حين التقيت بها شيئا غير عادى فى شكلها ولا ملابسها ولا اكسسوارها سوى أنها ارتدت يوم مقابلتى لها البنطلون الضيق وجاءت وشعرها مصبوغ صباغة فجة، وركبت بعد انتهاء اللقاء «الميني باص» أى أنه لا سيارة هناك.. ولا جمال باهر ولا شىء مما قاله لى زوجي عنها فى حين اننى محجبة ولا أدعى كذبا اذا قلت أننى جميلة بدرجة معقولة جدا والحمدلله. وقد بدأت الأخرى تتصل بشقيقة زوجي المتعاطفة معى وتطلب منها أن يحسم «زوجي»الأمر معها.. حتى لا تظل معلقة الى

النهاية. وحتى لو أصررت على موقفى، وانتهى الأمر بطلاقى فهى قادرة بشخصيتها الساحرة وعطائها الدافق أن تعوضه عنى وتنسيه أحزان الماضى ولا خوف على حقوقى فهى محفوظة بإذن الله وسوف يترك لى زوجي الشقة، ويعيش فى شقة أخرى ورثها مؤخرا فى حى آخر.

أما زوجي فهو يتراوح بين التمسك الشديد بى.. والبكاء بين يدى بحرارة اذا أحس بأننى سأتركه وأعود إلى أسرتى، وبين إشعارى بأننى «أنانية» ولا أريد أن أضحى من أجله وأوافق على أن يتزوج هذه السيدة ونعيش جميعا فى ثبات ونبات. أخوة متحابين متراضين!

اننى أكاد افقد عقلى مما أسمع من زوجي.. ومن شكى فيه انه يلتقى بها كلما خرج وحده ويفتعل الأسباب لكيلا أصاحبه.. وقد انتقل للعمل فى القاهرة منذ شهور فاتسعت دائرة الشك والحيرة فى حياتى الى ما لا نهاية فبماذا تنصحنى أن أفعل يا سيدى؟ هل أترك زوجي لهذه السيدة لكى تأخذ كل ما بنيته بالعرق والحب والدموع.. وتأخذ الانسان الوحيد الذى أحببته بصدق واخلاص لا لشىء إلا لأنها تريد أن تتزوج مرة أخرى بعد طلاقها من زوجها الأول الذى طلبت منه الطلاق لأنه ليس طموحا مثلها! وهل اذا تركته سيعوضنى الله عنه بإنسان آخر أحبه وبحياة أسرية أخرى بعد أن حرمت من أمومتى طوال عشر سنوات؟ اننى لم أترك زوجي وأنا شابة صغيرة فى بداية زواجى لكى أتزوج غيره وأنجب أطفالا يملأون على حياتى ورضيت بما أراده لى الله وتحملت كل شىء بدافع حبى له.. فهل أتركه الآن وقد بلغت الخامسة والثلاثين من عمرى؟

وهل من العدل أنه بدلا من أن يقدر لى زوجي حبى له وتضحياتى من أجله أن يجيئنى ليقول لى ببساطة أنه قد عرف امرأة أخرى ويريد أن يتزوجها مع احتفاظه بى مع أنه ليس محروما من شىء فى حياته معى، ويؤكد لى كل يوم أنه يحبنى لكنه يزعم أن قلوب الرجال تختلف عن قلوب النساء لأنها يمكن أن تتسع لحب أكثر من واحدة فى نفس الوقت!

وهل هذا صحيح حقا يا سيدى؟

وهل من العدل أن أملأ بنقودى خزان السيارة بالبنزين.. لتركبها معه سيدة فاشلة فى حياتها الخاصة ومستهترة، تقضى معه أوقاتها بدلا من أن تقضيها مع طفلتها الصغيرة؟ ان زوجي سعيد للغاية بانها قد وافقت عليه كزوج رغم أنه صارحها بعدم قدرته على الانجاب.. ولا يصدق أن

هناك امرأة قد قبلت به مع ظروفه هذه مع أن سبب القبول واضح وهى أن لديها طفلة وليست فى حاجة لمزيد من الأطفال فما وجه التضحية فى ذلك؟

لقد أحببت زوجى كثيرا وحـاولت دائما أن أكون افضل زوجة فى الـوجود وأن أكون لـه الزوجة المحبـة المطيعة وفعلت أشياء كثيرة لا تفعلهـا سيدات أخريات حـولى ولم أرهق زوجى بأية مطالب فى الحياة ذات يـوم وقدمت له كل شىء وسهلت عليه كل شـىء فاستسهل أيضا كل شىء حتى المشـاعر الثمينة.. فهل ذلك هو ثمن الحب والعطاء. وماذا تقول لى؟

☐ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

لا شىء يعدل غرور الانسان وذاتيتـه فى بعض الأحيان! فهل يرى نفسه دائما جديرا بأفضل الأشياء، فاذا حـالت بينه وبينها حوائل العرف والعدل وحقـوق الآخـرين عليـه.. لم يتـورع فى بعض الأحيـان عن أن يستخـدم الأسـاليب الميكيـافيليـة فى لى الحقـائق ليسـوغ المنطق المعكـوس لنفسـه وللآخرين لتحقيق رغباته وأهـوائه.. وقد يتمادى أكثر من ذلك فيصر أيضا ليس فقط على قبول الآخـرين راغمين أو كارهين لـرغباتـه وانما أيضا على «مباركتهم» لها.. و«ابتهاجهم» بها .

وهذا بـالضبط هو ما يحاول أن يفعله معك زوجك الآن يـا سيدتى حين يلومك على «بخلك» عليه بهذه «التضحية البسيطـة» التى كان يتوقعها منك فتبتهجين للأنبـاء السارة وتتركينه ليتـزوج من الأخرى فإذا كـانت زوجة طيبة فلقد كسبت «أختا» عزيزة جـديدة، وإذا لم تكن كذلك فلسوف يطلقها فى هدوء وبلا خسـائر نفسية ولا معنوية لأحـد ولا عجب فى مثل هذا المنطق الغريب.. «فكل ما يتفق مع رغبـاتنا وأهوائنا يبدو فى نظرنـا ـ نحن ـ حكيما ومعقولا» كما يقول الأديب الفرنسى أندريه موروا.

ورغم تقديرى لما فى منطق زوجك من «حكمة» و«عدل» فإننى أقول لك أن «الظروف» التى قد يستند اليها زوج فى مطالبة زوجته بألا تبخل عليه بمثل هذه التضحيـة حتى ولو كرهتهـا فى أعماقها ليست متوافـرة بأى حال من الأحوال فى حالتك وبـالتالى فإن اتهامك بالأنانيـة وعدم التضحية من أجل زوجك ليس فى حقيقة الأمر سوى إسقـاط نفسى من زوجك عليك يدفع به عن نفسه تهمـة الذاتيـة والأنانيـة هذه فلست أنت الـزوجة المحـرومة من الانجاب وهـو الزوج القادر عليـه فيتلهف لأن يتزوج أخـرى تحقق له أمل الأبـوة ويرجـوك أن تتنازلى عن مشـاعرك الشخصيـة ارضاء لـه ولا أنت

الزوجة المريضـة العاجـزة عن تلبيـة احتياجـاتـه العاطفيـة والانسانيـة فيلتمس ما ينقصـه فيك لدى غيرك، ولا أنت الزوجـة الكارهة أو المكـروهة التى تنغص عليه حياته وتسومه سوء العذاب لكنه يتحمل عناء حياته معك لكيلا يهدم أسرتـه ويمزق أطفالـه بينكما.. فيهفو قلبه الى نسـائم السعادة والحب مع أخرى ويطالبك بقبول الأمر الواقع كخيار بديل للطلاق!

فبأى منطق يبرر زوجك مطـالبته لك بهذه «التضحيـة» المضـحكة وهـو الذى يتمسك بك ولا يتخيل امكـانية انفصـالك عنه، وينهار بـاكيا اذا أحس بقرب نفاد صبرك عليه؟

وبأى منطق يحاول اقناعك بأن قلـوب الرجال تختلف عن قلـوب النساء فتتسع لحب أكثـر من امرأة فى نفس الـوقت وبنفس الدرجـة من المشاعـر والأحاسيس؟ يا سيـدتى انها مغالطة فاضحة لا أتصـور أن يكون جادا فى الاقتناع بها، فقلـوب الرجـال كقلوب النسـاء لا تتسع فى الوقت الـواحد إلا لحب حقيقى واحد حتى وإن حملت بعض المودة لغيره. والحب طائر شديد الأنانية لا يقبل شراكة أحد فى نفس اللحظة.. ولا نفس المرحلة من العمر.

ومشكلتك هذه ما كان أسهل على زوجك من حلها لو واجه نفسه بصراحة وشجاعة نفسية، فسألها: هل يحبك حقا كما يؤكد لك أم لا يحبك؟ فإذا كان الجواب بالايجاب فـلا مجال لأى مناقشة فى هـذا الموضوع العجيب.. واذا كان الجواب بالنفى فليتصرف وفقا لما يراه محققـا لسعادته ومحققا للعدل معك ذلك أن أسـوأ حقيقة خير لنـا من أجمل زيف ونصف شقاء الانسـان دائما يرجع فى تقـديرى إلى عجزه عن مـواجهة مشاكلـه بواقعية وشجـاعة نفسية وأدبية بغير لى للحقائق، وبغير الاصرار على أسلـوب «حرب الخنادق» التى تطيل معانـاته وتعذبـه برغائب لا تتحقق.. ولا يتنـازل عنها فى نفس الوقت. ففى حـرب الخنادق يقف كل طـرف فى موقع ثابت ويطـالب الآخر بالاستسلام لمطالبه والقبول بها.. فتمضى السنـوات وكل طرف عند موقفه لا يغـادره ولا يتنازل فى نفس الـوقت عن مطـالبه مكتفيـا بانتظـار تهاوى الطرف الآخر وتسليمه برغباته.. ومتكبدا طوال ذلك المعاناة النفسية والآلام!

ولا حل لمثل هذا العذاب سوى أن نتعلم فى بعض مواقف حياتنا المصيرية استخـدام هذه القـاعدة البسيطـة فى التعامل والتى تترجمهـا هذه العبـارة الأمريكية الشائعة خذها.. أو اتركها!

بمعنى أنـه إمـا أن تقبل بما هـو معـروض عليك وتـرضى عنه وتكيف

حيــاتك وفقا له.. واما أن ترفضه وتتحمل تبعات ذلك وتوائم حياتك معها. أما أن تـرفض القبول بالمعـروض وترفض التخلى عنـه فى نفس الوقت لأنك تصر على تطويع هذا المعروض لرغباتـك.. فلا معنى له إلا استمرار المعاناة لجميع أطراف المشكلة..

لهذا فلست أرى لك أن تتنـازلى عن زوجك لأخرى ليس لها فيـه بعض ما لك عليـه من حقـوق ولا أرى لك بالطبـع قبول شراكتهـا معك فيـه.. لكنى أطالبك فى نفس الوقت بأن تحددى موعدا نهائيا وعادلا لوضع نهاية لعذاب حرب الخنادق التى لا تحسم موقفا.. ولا نصر فيها ولا هزيمة.

ولأنى استشعر حبك لزوجك وشدة رغبتك فيـه فإنى اطالبـك بإعطائه مهلة أخيرة يثوب فيها الى نفسـه ويخرج من خندقه فيكتفى بك ويطرح عن رأسه هـذه الخزعبلات التى يحاول اقناعك بها، أو يـواجه نفسه بشجـاعة وأمانة ويتصرف معك وفقا لما تمليه عليه هذه الأمانة.

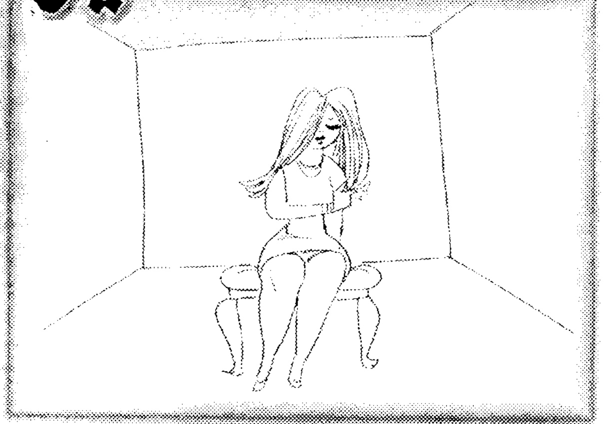
فإذا كان قـد سعد بتنازع امرأتين عليـه بعض الوقت.. فيكفيه مـا أحسه من « انتشــاء » حتى الآن بسبـب ذلك ولا يجوز لــه أن يطـالب الاثنتين بـاستمـرار «الـروايـة» أكثـر من ذلك، وان كنت لا أرى أى مبرر للنشـوة والانتشاء.. اذ لا يعدم أى رجل مهما كان شأنه أن يجد ذات يوم من ترغب فيه ولا تعـدم أية امـرأة مهما كان شأنها أن تجد طـامعا فيهـا، وما أسهل الضعف والخطأ على ذوى الإرادة الضعيفـة.. ومـا أسهل الترفع عنـه على ذوى النفـوس الكبيرة، وأكبر الكـوارث انما تبدأ دائما بـالأخطـاء الصغيرة لهذا يقـول لنا الشـاعر الانجليـزى وليم بليك انه من الأفضل لنـا أن نقتل مولودا فى المهد من أن نربى رغبات وأهواء لا نستطيع تحقيقها.

وزوجك لم يقتل المولود فى المهـد للأسف.. لهذا فهو يواجـه الآن موقف من ربى رغبـة مستحيلـة لا يستطيع تحقيقهـــا.. وبـدلا من أن يـرجع عن خيانته للحب والوفاء ويندم عليها ويعتذر عنها راح يطالبك بمساعدته على تحقيقها بقبـولك زواجه من الأخرى مع استمرارك معـه، لانه لا يحتمل أن يفقـدك ويضحى بك لتحقيق رغبتـه، ولا يحتمل أن يضحى بهذه الـرغبـة لسبب «رهيب» هو أنـه لا يريد أن يعيـش حياته معك وهـو ينطوى لك على احساس باللـوم أن كانت له ذات يوم «رغبـة صغيرة» فى امرأة أخرى لكنك بأنانيتك فى الحب ـ يا للقسوة ـ قد حرمته منها!

وصدق سبحـانه إذ قال: واذا أنعمنا على الانســان أعرض ونأى بجانبه.. واذا مسه الشر فذو دعاء عريض».

٣٠ قصة حب واقعية

الحافة الخطيرة



أنا شابة عمرى ٢٥ عاما حصلت على شهادتى الجامعية من احدى كليات القمة وعملت عملا حكوميا جيدا، وظروفى المادية لابأس بها ولى سيارة صغيرة لكنى لست سعيدة فى حياتى يا سيدى فأبى رحمه الله قد توفى منذ حوالى عشر سنوات.. وبعد رحيله عن الحياة مرضت أمى وعانت فى مرضها كثيرا وعانيت من أجلها كثيرا، فقد كنت أتألم لآلامها ولا أحتمل الحياة حين تشتد عليها آلام المرض ثم ساءت حالتها الصحية وتدهورت كثيرا حتى لقيت وجه ربها منذ حوالى سنة.. ومنذ رحيل أمى عن الحياة لم يبق لى أحد فيها، وأصبت بحالة اكتئاب شديدة وفقدت رغبتى فى الحياة، فأنا أعيش فى مسكن الأسرة مع شقيق يصغرنى ويدرس بكليته وله مشاغله الدراسية وأصدقاؤه وحياته.. فأذهب إلى عملى فى الصباح وأعود إلى مسكنى فى العصر فلا أجد شقيقى لأنه فى كليته أو مع أصدقائه.. وأظل أتجول فى حجرات الشقة، التى طالما شهدت صور حياتنا العائلية حين كان أبى على قيد الحياة وأمى تتمتع بصحتها.. وأنا وشقيقى طفلان نتمتع بحب أبوينا ورعايتهما. فأخرج من حجرة الى أخرى ـ ولا أجد إلا الصمت الموحش والفراغ، وأجلس أمام التليفزيون فلا أرى ما يعرضه. ولا أتابع ما أسمعه، وأدخل إلى فراشى ولما يعد شقيقى بعد فتتناوبنى المخاوف. والهواجس.. ويشرد النوم بعيدا عنى.

ومنذ عامين تعرفت فى عملى بشاب طيب فتبادلنا الاعجاب الصامت لفترة طويلة ثم تطور الاعجاب الى حب عميق لكنه لم يتطور فى طريق الزواج لأن امكانياته المادية ضعيفة.. ولم يستطع أن يقدم لى شبكة فالتقى بأخ أكبر لى يعيش فى مسكن مستقل مع أسرته وشرح له ظروفه ونيته فى خطبتى بعد أن تتوافر له الامكانيات اللازمة، ثم سافر للعمل فى إحدى الدول العربية منذ شهور فخلت علىَّ الدنيا تماما.. ولم يعد يربطنى بالحياة إلا خطاباته ومكالماته التليفونية كل بضعة أيام.

وقد ساءت ظروفى النفسية كثيرا بعد سفره.. واشتد افتقادى لأمى

الحبيبة التى كنت احكى لها عن كل شىء فى حياتى وتشاركنى همومى وتشير على بالرأى السديد فيما يشغلنى.

فأصبحت أمنيتى الوحيدة فى الحياة الان هى أن يعود فتاى من سفره ويستقر فى مصر مؤقتا ويعمل ونتزوج هنا فى شقتى وهى شقة صغيرة مناسبة بصفة مؤقتة، ثم نسافر بعد ذلك معا إلى اى مكان يتاح له العمل فيه، فأنا مستعدة لأن أعيش معه حتى ولو فى الصين — لكن المشكلة هى أن فتاى كأى رجل شرقى يريد أن يكون قادرا على شراء شقة للزواج ومقتنعا تماما بأن الخلافات بين أى زوجين انما ترجع أساسا إلى الأسباب المادية، ويريد أن يوفر الامكانيات المادية التى تضمن الاستقرار لحياتنا، وقد فشلت فى أن اقنعه بأن خلافات أى زوجين لا ترجع أساسا للأسباب المادية وإنما لعدم التفاهم وعدم الانسجام.

وهو الآن ظروفه غير مستقرة فى الدولة التى يعمل بها ولا يستطيع استقدامى اليها ويخطط لأن يبحث عن عمل أفضل فى دولة أخرى بعد أن ينتهى عقده بعد أربعة شهور وأنا أعرف جيدا أن الزواج يتطلب استعدادات كثيرة لكنى لا آبه بهذه الشكليات.. وأعرف أن ظروف معه أفضل كثيرا من ظروف شباب آخرين.. فلدينا على الأقل شقتى التى نستطيع أن نعيش فيها مؤقتا.. لكنى أخشى أن يرفض مطلبى منه بالعودة بعد أربعة شهور لنتزوج ويستقر مؤقتا فى مصر يعمل بعض الوقت هنا ولن يتعذر عليه ذلك إلى أن يجد عملا بالخارج يستطيع أن يصطحبنى معه فيه.

إننى لا أريد أن أكون أنانية وأحرمه من حقه فى أن يبنى حياته.. لكنى لا أستطيع ايضا أن اتحمل وحدتى هذه أكثر من ذلك.. ففى كل يوم أعود إلى سكنى فلا أجد فيه سوى الفراغ والحزن والذكريات الأليمة وكل ما أريده هو أن أكون معه هنا أو هناك فهل أطلب منه تضحية كبيرة حين أطلب منه أن نعيش مؤقتا فى شقتى الصغيرة إلى أن تتحسن أحواله؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لا يا آنستى ليست تضحية كبيرة ولا صغيرة أن تطلبى منه أن يعود لمصر بعد نهاية عقده الذى لن يجدده ليرجع إلى عمله السابق ويتزوجك

ويقيم معك فى شقتك الصغيرة بضعة شهور إلى أن يجد فرصة أفضل فى دولة أخرى كما يريد لنفسه ويحلم، بل انها عطاء منك ينبغى له أن يقدره لك ويزداد تمسكا بك واعتزازا، ولا يتعارض قبوله لعطاء الحب هذا مع رجولته ومسئوليته عنك مادام لن يستنيم إلى هذا الوضع وتخمد جذوة الكفاح داخله وإنما سيواصل كفاحه فى الحياة ليبنى نفسه ويشترى الشقة التى يريدها ويتكفل بكل مسئوليته عنك..

وهذا هو الفارق بين قبول عطاء الحب مؤقتا للاستعانة به على الظروف الصعبة وبين الاعتماد عليه وحتى النهاية.. وهو فى كل الأحوال لم يكن ليجدد عقده بالدولة التى يعمل بها وظروفه بها ليست مستقرة ولا تسمح له باستدعائك اليها.. ولهذا يتطلع للانتقال إلى دولة أخرى بعد نهاية عقده إذا أتيح له ذلك.. وهو أمر غير مؤكد.. وحتى لو كان متاحا ومؤكدا فماذا يمنع أن تكون محطته القادمة هى القاهرة وأن يطول توقفه بها شهورا قبل أن يعود لمواصلة كفاحه فى الحياة، لكى يجتمع شملكما ويبعد عنك شبح القلق والتعاسة والاكتئاب؟

إن زواجه منك لن يعترض طريق طموحه لبناء حياته بل ربما يسره له وأعانه عليه.. فالاستقرار العاطفى والعائلى من أهم أسباب النجاح فى الحياة.. والزوجة المحبة المخلصة مثلك قوة دافعة للأمام.. وليس إلى الخلف..

وهناك أولويات لأهداف الانسان ينبغى ألا يغيب عنه مراعاتها حرصا على من يهمه أمرهم واستشعارا لأهميتها التنازلية.. حتى لا ينشغل بأهداف لا يعوضه تحقيقها عما خسره من أهداف أخرى لا تعوض . فات أوان الحرص عليها.. فأنت فى حاجة نفسية وانسانية حرجة إلى اتمام زواجكما فى أقرب فرصة.

ولم لم يتحقق هذا الهدف فى الوقت الملائم فإن خسائرك النفسية لا يمكن تعويضها بسهولة أو خلال وقت قصير فانت بصراحة تقفين على حافة الاكتئاب الخطيرة.. وظروف وحدتك وأحزانك وافتقادك لصدر الام الحنون.. ورعاية الأب.. وخلو الدنيا عليك ترشحك كلها لمضاعفات نفسية لا يمكن تداركها بسهولة.

فى حين أن فتاك إذا رجع وتزوجك.. وتأخر حتى فى تنفيذ خطته للعمل فى دولة أخرى بضعة شهور أو عاما، فإن كل ما يخسره من جراء ذلك يستطيع تعويضه بكفاحه وشبابه.. بلا عناء كبير.. والانسان يستطيع دائما أن يعوض خسائره المادية لكنه لا يستطيع فى أحيان كثيرة أن يعوض خسائره النفسية بغير أن يدفع ثمنا باهظا من سعادته وسلامه. وهذا هو ما أقصده بالاولويات الجديدة بالاهتمام، فظروفكما المادية ليست حرجة بالقدر الذى يعجز كما عن بدء حياتكما والتعاون معا لاستكمال ما ينقصها خلال رحلة الحياة، لكن ظروفك النفسية هى الحرجة فعلا.. وهى الأجدر بأن يضعها فى مقدمة أولوياته إذ لن يستفيد شيئا لو كسب الدنيا كلها وخسرك.. إذا سقطت لا قدر الله فى بئر الاكتئاب، فإذا كان مقتنعا بأن الأسباب المادية وحدها هى المسئولة عن الخلافات بين أى زوجين فليعلم إذن أن لها أهميتها بالفعل فى تيسير الحياة وتجنب أسباب المشاكل، لكنها وحدها لم تخلق يوما السعادة.. ولم تصنع الحب.. ولم تؤمن حياة زوجية ضد أسباب التعاسة.. والشقاق. والنزاع. فالحب الصادق والتفاهم المتبادل أكبر أثرا فى ذلك يا آنستى كماتؤمنين حقا وصدقا مع عدم إغفال أهمية الجوانب المادية فى تيسير الحياة.

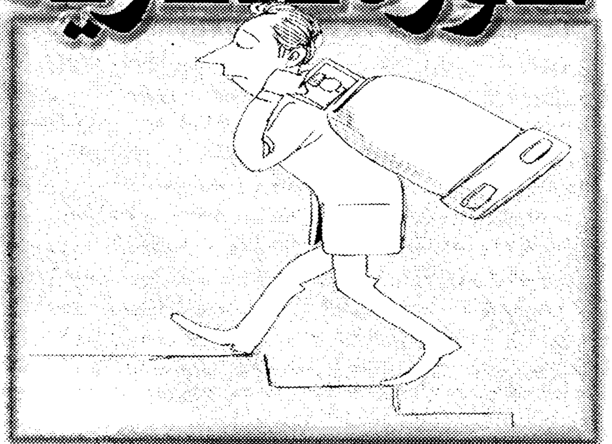
فاطلبى منه بلا تردد أن يرجع إلى القاهرة بعد نهاية عقده واعرضى عليه عرضك الكريم بأن تتزوجا على الفور فى مسكنك إلى أن يتاح له بكفاحه الشريف فى الحياة أن ينقلك إلى مسكنه الذى سيشتريه لك بثمار كده وعرقه فى أقرب فرصة.

وتماسكى أنت قليلا يا آنستى خلال فترة الانتظار والفراق حتى لا تعينى عليك أسباب الاكتئاب، ففراق المحبين رغم آلامه ليس شرا كله، والحكيم الفرنسى لارو شفكو يقول لك: ان النسمة الخفيفة التى تطفىء الشمعة هى نفسها التى تُذكى النار .. وكذلك الفراق فإنه يقتل الحب التافه. ويغذى الحب العظيم.

مع تمنياتى لك بالسعادة.. والأمان.

٣٠ قصة حب واقعية

صورة تذكارية



أكتب لك يا سيدى فى احدى مناسباتى العائلية لأحكى لك قصتى. فمنذ سنوات طويلة كان أبى موظفا بسيطا بالحكومة تزوج من أمى وأنجب منها ابنتين وولدا هو أنا، وقبل أن أتم عامى الثانى رحلت أمى عن عالمنا فتزوج أبى بعد فترة من سيدة ريفية بسيطة أنجبت له ٥ بنات فى ٥ سنين وهكذا وجدت نفسى حين بلغت سن الصبا ولدا وحيدا على سبع فتيات ووجدت أسرتى المكونة من عشرة أفراد تعيش فى شقة صغيرة من حجرتين وصالة تغالب قسوة الظروف وقلة الدخل، وحين تزوجت أختى الكبرى كادت الأسرة تتوقف عن الحياة من التقشف ووطأة التكاليف، ثم أحيل أبى إلى المعاش بعدها بعام واحد فانخفض الدخل إلى حوالى النصف وأصبحت الحياة أشد مرارة.

ورغم قلة الدخل وكثرة الأعباء فلقد كان أبى مصمما على تعليم أبنائه ليجدوا لأنفسهم موطىء قدم فى زحام الحياة، ولم تكن ظروفنا تسمح لنا بترف الرسوب فى المدرسة فواصلنا تعليمنا تحت ضغط ظروف لا ترحم حتى حصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير رشحنى للالتحاق بكلية الطب، وهنا توقفت قليلا لأفكر.. كلية الطب؟ ومن أين لى بنفقات الكتب والدروس الخصوصية فيها. وهل أستطيع أن أعتمد فيها على نفسى وحدها كما اعتمدت عليها فى المراحل السابقة، وأقنعت نفسى بعد جهد بأنى أستطيع ذلك فعلا فالتحقت بكلية الطب فى مدينتى الساحلية، لكنى اكتشفت بعد قليل كذب أوهامى، فلم أستطع الحصول على بعض الكتب حتى نهاية السنة.. وتعذرت علىّ متابعة بعض العلوم بدون مساعدة خارجية، ولم أجد مليما واحدا لأدفعه ثمنا لدرس خصوصى فضلا عما وجدت نفسى فيه من غربة داخل مجتمع الكلية بمظهرى البائس وبملابسى التى يرجع تاريخ بعضها إلى المرحلة الاعدادية، وهكذا رسبت فى أول سنة لى فيها رسوبا فاحشا، وانطويت على نفسى حزينا لمدة ثلاثة أيام أشفق خلالها أبى وأخواتى علىّ فلم يلمنى أحد، وبعد تفكير طويل وجدت

اننى أحتاج لكى أنجح فى الدراسة إلى العمل لكى أوفر لنفسى ثمن الكتب وبحيث لا يؤثر عملى على دراستى فبدأت من شهور الصيف أعمل واستذكر دروسى معا، وكان العمل الذى اخترته بسيطا للغاية وقد بدأ بثلاثة جنيهات اقترضتها من أبى، فصحوت ذات يوم فى الفجر وذهبت إلى منطقة الملاحات واشتريت من الصيادين «شروة» سمك بساريا وضعتها فى كيس كبير ورحت أطوف على بيوت الأحياء القريبة لأبيعها بالقطاعى للأسر لتستخدمها كطعام للبط والدجاج ولم يسفر اليوم الأول عن ربح يُذكر، وفى اليوم الثانى شكوت للصياد الذى اشتريت منه بالأمس ذلك وشرحت له ظروفى فقال لى متألما انه ظن أنى اشتريت السمك لأسرتى فأعطانى السمك بسعر المستهلك، لكنى مادمت أشتريه كوسيلة للرزق فسوف يخفض لى السعر ويوصى زملاءه أيضا بذلك، وأعطانى فى هذا اليوم السمك بنصف سعر الأمس تقريبا، وهكذا بدأت رحلتى «كتاجر» سمك صغير على باب الله وبعد أسبوع رددت لأبى القرض الذى اقترضته منه وبعد شهرين آخرين بدأت أمد أسرتى ببعض القروش الصغيرة، وجاء العام الدراسى وانتظمت فى الدراسة ولم يتغير فى نظامى شىء سوى أن أعود للبيت فى الصباح لأبدل ملابس بائع السمك بملابس طالب الطب وان كانت لا تكاد تفترق كثيرا عنها! ثم أذهب إلى الكلية.. ونجحت فى السنة الاعدادية بصعوبة، وفشلت فى السنة الأولى ثم نجحت فى العام التالى ولحقت بى إحدى شقيقاتى فى نفس الكلية وأنا مازلت فى السنة الثانية، ووجدت عائد المهنة لا يسعفنى كثيرا فضلا عن طول المشوار إلى الملاحات فى الفجر وقررت أن أبحث عن عمل آخر أكثر إيرادا، وذات يوم كنت عائدا من مشوارى الصباحى فوجدت أمامى مخزنا لأنابيب البوتاجاز والعمال يضعون الأنابيب على عربات ترولى صغيرة وينصرفون بها. وبلا تفكير وجدت نفسى أتقدم إلى صاحب المخزن وأسأله عما إذا كان يريد عاملا جديدا فتفحصنى برهة ثم قال لى: من أنت يا ابنى؟ فعرفته بنفسى وأخرجت له بطاقتى الشخصية وبطاقة الكلية فتفحصها باستغراب ثم قال لى انه لا يستخدم إلا من يعرفه شخصيا من العمال لانه يسلم كلا منهم عربة ترولى وبضع أنابيب لذلك فهو يخاطر إذا فعل ذلك معى، لكنه رغم ذلك يتوسم فىّ الأمانة وسوف يستخدمنى ابتداء من الغد «ورزقى ورزقه على

الله » ! .. فاندفعت أصافحه بشدة وأهز يده وأشكره من كل قلبى.

وفى صباح اليوم التالى كنت اقف أمام باب المخزن أنتظره حتى جاء، وجاءت عربة البوتاجاز ووزع على كل منا نصيبه ورحت أدفع الترولى امامى وأطوف على البيوت بعد أن حدد لى المنطقة التى أعمل بها فأدخل أول عمارة وأطرق بالمفك على الأنابيب، فتفتح أبواب الشقق ويجيء النداء فأحمل الأنبوبة على كتفى وأصعد للشقة وأتولى فك الأنبوبة الفارغة وتركيب الجديدة وأقبض الثمن وأنزل وتفرغ حمولة الترولى فأعود مسرعا إلى المخزن لأحضر حمولة جديدة وهكذا واستمررت فى هذا العمل أربع سنوات تحسنت خلالها ظروفى وظروف الأسرة قليلا فاشتريت الكتب لكن مظهرى لم يتحسن بل ربما ساء رغم انى كنت أحرص على ارتداء الأفرول فوق ملابسى فى المخزن.

ولأن للجسم طاقة لا يستطيع تجاوزها، فكثيرا ما كنت أبدو خلال الدروس العملية بالكلية التى تمتد أحيانا إلى ما بعد الظهر منهكا فاقد الحيوية واستلفت ذلك نظر زميلة لى بالكلية رقيقة وجميلة ومهذبة فوجدتها ذات يوم تقول لى: «مالك مبهدل ونايم على نفسك دائما هكذا؟» ثم احسست بالخجل مما قالت وحاولت الاعتذار فهوّنت عليها الأمر ووجدت فى سؤالها رغم قسوته نوعا من الاهتمام بى سعدت به، ولست فى حاجة لأن اقول لك اننى حتى هذه اللحظة وكنت فى السنة الرابعة من الكلية لم أكن قد تنبهت بعد إلى أن فى الكلية زميلات، أو ان فى الحياة فتيات عدا أخواتى، فأنا مشغول بعملى الشاق وبدراستى وبظروف حياتى عن مثل هذا الترف فسعدت جدا باهتمام هذه الزميلة واطمأننت إليه وأصبحت كلما لقيتها احييها وأتبادل معها الحديث.. وازدادت ثقة صاحب المخزن فىّ فأصبح يعطينى عربة بأربع عجلات تتسع لحوالى عشرين انبوبة وخصص لى صبيا صغيرا يخرج معى ليحرس العربة حين أحمل الانابيب إلى الأدوار العليا ولم يعد يضايقنى شيء فى هذا العمل سوى تحكم بعض بوابى العمارات وإصرارهم على عدم السماح لى بحمل الانابيب بالمصعد وتمسكهم بأن يكون التسليم ولو للدور العاشر عن طريق السلم المرهق.

وذات صباح حملت انبوبة بوتاجاز إلى شقة الدور الخامس من عمارة فاخرة جديدة أضافها صاحب المخزن إلى منطقتى بعد أن تركها أحد العمال

وسافر للعراق فدخلت إلى المطبخ وفككت الأنبوبة الفارغة وركبت الجديدة وأجريت لها الاختبار التقليدى وغادرت الشقة بسلام وحملت الأنبوبة الفارغة على ظهرى ومددت يدى إلى ربة البيت لأتسلم الأجرة فوجدت إلى جوارها فجاة زميلتى بالكلية إياها والتقت عيناى بعينيها فى لمحة خاطفة.. فتأكدت من انها عرفتنى رغم الأفرول المشحّم والمنديل الذى أربط به راسى، لكنها لم تبد أى انفعال وأسرعت أنا أهرول على السلالم.. وأنا لا أكاد أرى طريقى من الضيق والهم ووقفت على باب العمارة لحظات حتى تهدأ أنفاسى، ثم ساعدت الصبى فى دفع العربة وأنا شبه غائب عن الوعى والخواطر تتدافع داخلى ماذا ستفعل؟.. هل ستذيع سرى فى الكلية ويتغامز الطلبة علىّ.. وهل سترحب بصداقتى بعد ذلك أم سترانى غير جدير بها؟.

وأمضيت فى البيت ثلاثة أيام لا أذهب خلالها إلى الكلية ولا أكاد أنام.. وبعد يومين سألت نفسى لماذا كل هذا الضيق وأنا لا أخجل من ظروف أمام أحد؟ ووجدت الاجابة واضحة كالشمس أمامى.. لأنى غارق بغير أن أدرى فى حب هذه الزميلة الفاضلة حبا صامتا يملك علىّ عقلى وكيانى وأتطلع إلى مستقبل أفضل اتغلب فيه على صعوباتى وأصبح فيه جديرا بها وما حدث قد هدم هذه الاحلام!

وبقوة الألم وحدها شققت طريقى إلى الكلية فى اليوم الرابع وأنا أتحسب لكل نظرة من زميل أو زميلة فوجدت العيون خالية من أى تعبير ثم جاءت هى بنفس النظرة الهادئة المهذبة التى عهدتها فيها من أول يوم وقالت لى بلهفة: أين أنت؟ أريد أن أتحدث معك! وانتحت بى جانبا من الكلية وسألتنى باهتمام عن قصتى فوجدت نفسى أحكى لها كل شيء، وعندما انتهيت كانت نظرة الاحترام تطل من عينيها وهى تؤكد لى اننى شاب مكافح شريف وأنها تتمنى لنفسها إنسانا مكافحا أمينا مثلى، وانها لا تعترض على عمل البوتاجاز فى شيء إلا فى انه مرهق ويسلبنى معظم قدرتى على الدراسة والاستذكار لذلك فهى تفضل أن أبحث لنفسى عن عمل أقل مشقة.. واختتمت حديثها قائلة: وسوف نبحث عن هذا العمل معا!.

يا إلهى لماذا لا تأتى السعادة غالبا إلا بعد مكابدة العذاب؟!! لقد عشت ثلاثة أيام فى الجحيم.. فإذا بكل آلامى تذوب فجأة وأنا أسمع هذه الكلمات

السحرية وأقبلت على الحياة من جديد وواصلت العمل فى البوتاجاز لمدة شهرين فقط بدأت بعدهما أعمل كمدرس خصوصى لطلبة الاعدادى فى المنازل والمساجد، ورغم انخفاض الدخل فلقد كان ما يأتى به هذا العمل خير معين لأسرتى ولى، وساعدنى بالفعل على إعطاء جهد أكبر لدراستى، وتخرجت فتاتى فى الكلية قبلى بعام ولم تنقطع عنها ولا عنى وتقدم لها خطاب كثيرون رفضتهم جميعا وشجعتنى على انهاء دراستى وتخرجت بالفعل وعادت فشجعتنى على التقدم لأسرتها وأنا مشفق من ظروف ومن الرفض لكنى استجبت لها وتقدمت وليتنى ما فعلت، فقد سمعت كلاما كوى جسمى وقلبى بالنار، وخرجت مهزوما مدحورا ولم أشأ أن أحملها مالا طاقة لها به، فانسحبت من حياتها ومن المدينة كلها وطلبت نقل سنة الامتياز الخاصة بى إلى أحد المستشفيات فى أقصى الصعيد، وحملت ملابسى القليلة وسافرت إلى هناك ومضت الشهور ثقيلة مريرة وأنا أتابع أخبارها عن طريق شقيقتى طالبة الطب، وانتهت سنة الامتياز وبدأت سنة التكليف فى الصعيد وأفرغت كل طاقتى فى العمل وفى رعاية أسرتى على البعد.

ووجدت فى هذه المدينة الصغيرة البعيدة سلواى عن فتاتى التى لم أحب سواها وافتتحت بعد بضع سنوات عيادة صغيرة جعلت منها مسكنى وعملى، وعرفت وأنا هناك أن فتاتى قد أرغمت على الزواج من رجل أعمال «من بتوع اليومين دول» وانها غير موفقة معه، وحياتها جحيم لا يختلف عن جحيم حياتى.. ومضى عام آخر ونفسى لا تسلوها ولا تغيب عنى صورتها وفى الساعة الرابعة من مساء ذات يوم كنت جالسا فى غرفة الكشف بالعيادة أستعد لاستقبال المرضى حين فتح الباب ودخلت سيدة فرفعت رأسى إليها فإذا بها فتاتى بلحمها وشحمها، وقفزت أرحب بها وجلست تروى لى بدموعها قصتها، فقالت لى انها حصلت على الطلاق بعد حياة مريرة وزواج غُصبت عليه تحت ضغط الأهل، وانها بحثت عنى بعد الطلاق فى كل مكان من المدينة فلم تجدنى إلى أن عرفت أخيرا مقرى، وأقنعت أهلها بأن يعطوها حريتها فى اختيار شريك حياتها وركبت القطار فى الفجر لترانى.. وتسألنى هل مازلت راغبا فيها، ثم ترجع بنفس القطار بعد ساعة، فوجدت نفسى أقول لها على الفور: لن تعودى إلى مدينتك إلا وأنت زوجة لى على سنة الله ورسوله وتركتها فى العيادة وخرجت وعدت بعد

نصف ساعة ومعى مأذون البلدة وصاحب البيت الذى أقيم فيه وطبيب بالمستشفى الحكومى.. وعُقد القران، وشهد صاحب البيت والصديق الطبيب على العقد وطلبت منها أن تنهض لتلحق بالقطار، فقال لى الحاج صاحب البيت ولماذا تعود كل هذا الطريق فى الليل وهى زوجتك أمام الله والناس.. تعاليا معى إلى شقتى لنخاطب أسرتها فى التليفون ونبلغها بالخبر السعيد ونستأذنها فى بقائها معك إلى أن تنزلا بعد أيام فى اجازة، وسأعد لكما الشربات وعشاء الزفاف على بركة الله.. وفى مسكنه تم الاتصال التليفونى ووزع الشربات، وأطلقت احدى السيدات زغرودة فتساقطت معها دموعى ودموع زوجتى واحتفت بنا أسرته إلى أن نزلنا إلى مسكننا لنرتشف السعادة التى حرمنا منها طويلا ونهجع إلى السكينة بعد طول عذاب.

ثم سافرنا بعد يومين واسترضينا الأهل وباركوا زواجنا وسعدت به أسرتى وعدنا إلى البلدة الطيبة ونقلت زوجتى إليها، ووجدنا بعد شهور شقة أخرى لسكننا، وابتسمت لنا الدنيا أخيرا وتخففتُ من كثير من الأعباء فتخرجت شقيقاتى وأصبح لكل منهن حياتها، وكانت المناسبة العائلية التى أوحت إلىّ بالكتابة إليك الآن هو عيد الميلاد الثالث الذى احتفلنا به أمس لطفلتنا الوحيدة ثمرة الحب والعذاب «وفاء» فلقد وقفت مع زوجتى وبيننا طفلتنا لنلتقط صورة تذكارية لنا فوجدتنى فجأة أستعرض شريط حياتى ابتداء من «شروة السمك فى الفجر إلى سنوات البوتاجاز إلى سنوات الحب اليائس إلى الهزيمة والانحدار.. إلى عودة الحب الذى توجناه بالارتباط وبالطفلة التى اخترنا لها اسم وفاء!».

وقررنا أن نكتب إليك هذه الرسالة لعل البعض يجدون فيها ما يساعدهم على تحمل ظروفهم وما يحفزهم على ألا يفقدوا الأمل دائما فى غد أفضل يتحقق بالكفاح والإرادة والحب فنحن مازلنا نكافح لتحسين ظروفنا، لكن الكفاح فى ظلال الحب أهون كثيرا منه فى ظل الشقاء والتعاسة وهذا ما أردت أن أقوله لقرائك والسلام..

□ **ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

سعدت بنشر رسالتك هذه رغم انها لا تحمل مشكلة ولا تطلب رأيا.. لأن فيها فعلا ما يفيد الآخرين ويهدىء المشاعر ويبعث الأمل فى النفوس، فليس

برسائل المعذبين وحدها نتعلم الحكمة وإنما برسائل السعداء أيضا نثرى تجاربنا الانسانية ونفهم أسرار الحياة، ولو سطر كل إنسان تجربته فى الحياة على الورق سعيدة كانت أم شقية لأضافت بكل تأكيد إلى معرفة الآخرين بالنفس البشرية الكثير.. وفى الحق انه ليست هناك دائما تجارب شقية أو تجارب سعيدة من البداية إلى النهاية، لأن الحياة مزيج عجيب من الاثنين ولا بأس بذلك لأنه سنة الحياة، ولأن المهم هو أن يسقط المطر وينبت الخير فى النهاية لمن بذر الحب والوفاء والعطاء للآخرين كما فعلت. بل ولا عجب أيضا فى أن يعود إليك نصفك الغائب حتى ولو ضل الطريق إليك ثلاث سنوات، لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ولأن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون !.

ان أجمل ما فى رسالتك ياصديقى هى أنها تخلو من نغمة الرثاء للنفس التى تسود رسائل كثيرين من القراء ربما لم يكابدوا بعض ما كابدته أنت فى حياتك من كفاح ومعاناة، وأروع ما فيها هى أنها تقول للآخرين بالتجربة الصادقة أن الإنسان قادر دائما على أن يحقق لنفسه بعض ما تصبو إليه بالكفاح وبالإرادة والصبر، فلقد استطاع الإنسان أن يتغلب على كوارث الطبيعة ويروض الوحوش ويستأنس الجوارح بقدرته على الكفاح والتكيف وتلمس أسباب السعادة فى أبسط الأشياء، فى حين عجز الديناصور الذى تفوق قوته قوة الإنسان عشرات المرات، عن أن يغالب ظروفه ويتكيف معها فانقرض واندثر وبقى الإنسان ينسج كل يوم قصص حبه وكفاحه ويبنى أعشاشه كل يوم وإلى أبد الآبدين.

لقد كانت رسالتك هذه ياصديقى نسمة رقيقة تنسجها وسط «الأنين» الذى ينبعث من مئات الرسائل الأخرى.. لكن لماذا ياربى لا تخلو حتى رسائل السعداء مما يثير الشجن ؟ ولماذا تخفق قلوبنا معهم وهم يتحدثون عن معاناتهم حتى إذا ما وصلوا إلى لحظة السعادة والتنوير التى يتبدد فيها الظلام ويجتمع الشمل .. وجدنا العين تندى معهم فى أفراحهم كأنه لابد دائما مما يثير الأحزان ولو فى لحظات السعادة !

٢٨

٣٠ قصة حب واقعية

أيام الطفولة



أرجو أن تصدق كل كلمة أكتبها لك لكى تشير علىّ بالرأى السليم فأنا سيدة فى الثامنة والعشرين من عمرى.. نشأت فى أسرة متوسطة الحال فى حى شعبى، وكعادة أهل الحى كنا نلعب فى الشارع، الأولاد مع البنات معظم ساعات النهار وفى سن مبكرة وجدت نفسى أستكين تحت حماية «ولد» من أطفال الجيران فى التاسعة من عمره بدأ يمارس معى دور الأخ الأكبر فيمنعنى من اللعب مع هذا ويضرب من أجلى ذاك.. ولا أستطيع أن أتصرف أى تصرف بغير مشورته أو أن أذهب إلى مكان إلا بإذنه وكأنه الآمر الناهى فى حياتى!

وشجعنى على ذلك أنى كنت وحيدة بلا أشقاء ذكور وأنى تربيت فى أسرة تعمل فيها أمى وأبى معا فى محل تجارى صغير ولا تشعر كثيرا باهتمام أبى أو بسيطرته فالأم هى التى تعمل معظم ساعات النهار وهى التى تدبر حياتنا، وتشترى لنا ملابسنا أما الأب فغير مبال فى معظم الأحوال، وهكذا وجدت فى هذا الصبى ما افتقدته فى أبى من قوة وحزم ورعاية، ولن أطيل عليك فى سرد ذكريات طفولتى لكنى سأقول لك اننا واصلنا التعليم الابتدائى ونحن مرتبطان بهذا الشكل حتى إذا وصلنا إلى المرحلة الاعدادية كنا قد أصبحنا مشكلة حقيقية بالنسبة لأمى التى كثيرا ما هددتنى للابتعاد عنه وأيضا لأبيه الذى كثيرا ما هدده وضربه ليتوقف عن اعتبار نفسه مسئولا عنى!

وحين وصلنا إلى أوائل المرحلة الثانوية لم يجد أبوه مفرا من أن يصطحب ابنه معه إلى بيتنا ويقابل أبى ويعرض عليه الأمر ضاحكا.. ثم يطلب منه قراءة الفاتحة على خطبتى لابنه لكى يستريح من هذا الصداع! ورحب أبى وتمت قراءة الفاتحة، واعترف بنا الأهل كخطيبين وحين وصلت إلى الثانوية العامة عقدنا القران ودخلت الامتحان ونجحت ونجح هو أيضا والتحق بكلية الزراعة والتحقت أنا بمعهد الخدمة الاجتماعية.

وبعد عامين بدأ خطيبى يستعد لإعداد الجهاز فترك الدراسة مؤقتا

وعمل بائعا فى محل تجارى لكى يوفر متطلبات الزواج، وفى هذه الفترة بدأت معاناتى معه.. فكثرت مشاجراتنا.. وكلما تشاجرنا ترك العمل ويظل هكذا حتى أصالحه، وعرف هو نقطة ضعفى فاستغلها تماما، ونصحنى البعض بأن تكون لى «شخصية» معه لكنى لم أستطع قط يا سيدى، وكلما أفلتت أعصابه معى تحملت وقلت لنفسى انه يكافح لإعداد الجهاز ولا أحد يساعده وينبغى علىّ أن أصبر.

ثم تزوجنا بعد ٣ سنوات.. وطالبته بالعودة للدراسة فدخل امتحان السنة الثالثة من الخارج ونجح وحصل على البكالوريوس وحصلت أنا أيضا على شهادتى.

وكان المفروض أن تكتمل سعادتى.. لولا أنى لم أحمل خلال السنوات الخمس التى مضت من الزواج.. ولولا أن طبعه لم يتغير معى، فحياتنا معا دائما مزيج من السعادة والمشاكل فى نفس الوقت! وأيامنا إما سعيدة جدا.. وإما تعيسة جدا ومشحونة بالمشاجرات والغيرة والمشاحنات حول الحمل والانجاب، وكلما تشاجر معى امتدت يده علىّ بالضرب كما سبق أن ضربنى مرة ونحن مخطوبان فى الشارع ورغم ذلك فأنا أرفض تدخل أحد من أهلى أو أهله بيننا.. وواجهت معه مشاكل الحياة فبعد التخرج لم يعمل وإنما افتتح بمساعدة أبيه محلا صغيرا فى مكان بعيد لم ينجح واضطر أن يغلقه ويعود إلى الحى الشعبى الذى نشأنا فيه ويتخذ من «فترينة» على الرصيف مكانا لبيع بضاعته، وتحسنت الأحوال قليلا، لكنى كنت أضيق أحيانا بمشاجراته وضيق العيش فأترك له الشقة وأعود إلى بيت أبى غاضبة.. وأعجب لأنى لا أجد راحتى فى بيت أبى الذى طالما وجدت الراحة فيه من قبل.. أما أمى فتجدها فرصة لتكرار نصائحها لى بأن أنفصل عن زوجى، وأبحث عن الأمان مع غيره مادمت لم أنجب منه ولست مستقرة معه فيدخل كلامها من هذه الأذن ليخرج من الأذن الأخرى بلا أى تأثير، ثم بعد عدة أيام أجدنى أذهب إليه كالمنومة فى الشارع الذى يقف فيه وأشير إليه فما أن أرى ابتسامته حتى أنسى كل ما حدث وأرجع معه إلى البيت.

وذات يوم كانت أخت زوجى فى زيارتنا فخرجت فى الصباح الباكر لأمر ما ثم عادت بعد دقائق حاملة معها طفلا حديث الولادة «بالدم

والسرة» وعرضت حماتى علينا أن نحتفظ بهذا الطفل ونربيه لعله يهدىء نفوسنا ولم أتكلم وتمنيت من أعماقى أن يوافق زوجى.. فوافق وأخذنا الطفل فعلا وفرحت به فرحة كبرى وبدأت أنشغل به ساعات نهارى التى يغيب فيها زوجى، أما هو فلم يتغير فى شىء.. وراح يضربنى لاتفه الأسباب ولا ينقذنى منه حتى صراخ الطفل.. ورغم حبه له فلقد قال لى أكثر من مرة انه يريد طفلا من دمه.

ومضت الحياة بنا بالرغم من ذلك حتى عرفت انه اقترب من جارة له فى الركن التجارى الذى يقف فيه.. وانه يريد أن يتزوجها لكى ينجب منها فلم احتمل أكثر من ذلك وحملت «ابنى» وعدت إلى بيت أسرتى، وطلبت من أبى أن يقابله ويطلب منه الطلاق وذهب إليه أبى واتفق معه على كل شىء.. وحدد معه موعدا لكى نذهب إلى الشقة و«نفك» الأثاث وننقله إلى بيتنا ثم نذهب معه إلى مكتب المأذون لنتم إجراءات الطلاق.

وفى صباح اليوم المحدد احضر ابى عربة نصف نقل واثنين من الأقارب وذهبنا إلى شقتى لنتسلم العفش.. ووجدته ينتظرنا واقسمت لنفسى الا أضعف معه مرة أخرى مهما حدث فحييته تحية عادية وانشغلت مع الموجودين فى فك الأثاث وتحميله بالسيارة.. وبجمع الأوانى والصينى فى كراتين صغيرة ومضت ساعة ونحن نعمل وهو يساعدنا حتى انزلنا الأثاث ولم تبق سوى بعض الكراتين فبدأت أستعد للانصراف إلى المأذون وقبل أن نغادر الشقة قلت له فجأة: «ابقى اسأل علىّ» فهز رأسه صامتا ثم أمسك يدى وقبلها.. فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أقبل يده وأبكى وأبى واقف مندهش ومذهول أمامنا، وقريباى والسائق ينظرون إلينا متعجبين وبعد دقيقة أخرى من الصمت استجمعت إرادتى وطلبت من السائق وأقاربى على استحياء أن يعيدوا الأثاث إلى الشقة مرة أخرى فانفجر أبى فىّ صائحا: هو لعب عيال؟ والله لا أتدخل فى أمر لكما مرة أخرى وسأنصرف الآن، فإذا بسائق اللورى يقول لأبى منشرحا: انصرف انت فى سلام وقسما لأعيدن هذا الأثاث إليهما بغير أن أتقاضى من أحد أجر هذه «العطلة».. فلقد ذقت من قبل «مرار» هذه اللحظة وأعرف معنى خراب البيوت! ثم دفع القريبين إلى خارج الشقة وأعادوا الأثاث خلال دقائق وهم يتضاحكون وساعدونا

فى إعادة تركيبه وشكرناهم من أعماقنا وانصرفوا سعداء وهم يوصوننا بألا نفرط فى بعضنا البعض وأن نتقى وساوس الشيطان.

وعدت إلى حياتى مع زوجى من جديد يا سيدى.. لكنى أشعر أن شيئا بيننا قد انكسر فأنا أحبه لكنى أكره «أفعاله» وأنا لا أستطيع الاستغناء عنه لكنى أريد أن أعيش معه فى سلام، وهو يحبنى ولا يستطيع الاستغناء عنى لكنه لا يريد أن يحيا معى حياة طبيعية بلا مشاكل ولا مشاجرات.

إننى أقول لنفسى أحيانا اننى يجب أن أتحمل وأعيش معه وأرضى بالقليل لكى يحس بالأمان ويهدأ ويستقر.

وأقول لنفسى فى أحيان أخرى اننى يجب أن أنفصل عنه وأتعذب بعض الوقت إلى أن انساه ثم أبدأ حياتى من جديد.

وبين هذا وذاك احترت واحتار دليلى وقد كتبت لك هذه الرسالة وأنا فى اشد حالات الضيق راجية أن تشير علىّ بالرأى السديد وأعدك بأن أعمل به، لكن أرجوك ألا تطلب منى الطلاق لأن معناه أن أحكم على نفسى بالموت وأن احرم طفلا من أب يمكن أن يوجهه التوجيه السليم حين يكبر حتى ولو قال بعض الناس انه ليس ابننا.. فبماذا تشير علىّ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لم تدعى لى يا سيدتى مجالا للاختيار، فلقد حسمت الأمر كله برفضك أساسا لفكرة الانفصال.. وحسنا فعلت لأنك لن تستطيعى فعلا الانفصال عنه ولن يهدأ لك جانب إذا ما حُرمت منه، فهو تحت جلدك وممتزج بدمك وطفولتك وصباك، وأنت أيضا تحت جلده وممتزجة بدمه وحياته حتى ولو لم يدرك ذلك تماما الآن.

إذن فلا مكان لحل الانفصال فى القصة كلها.. لأنها قصة عمر وقصة حياة من هذا النوع الذى يقول فيه الشاعر:

كأن لم يكن فى الناس قبل متيّمٌ
ولم يك فى الدنيا سواك حبيبُ

وأنا أصدقك فى كل ما قلت.. وأعجبت كثيرا بشهامة هذا السائق الانسان وحكمته وأرى ان مثلكما لن يهنأ له عيش بعيدا عن الآخر ولو عاش فى قصور فاخرة، لأن سفينة كل منكما لن تلبث أن تعود إلى

مرفئها القديم مهما تقاذفتها الأمواج بعيدا عن الشاطىء فلا داعى للتجارب الفاشلة إذن.. ولا داعى لتكرار أخطاء الآخرين ممن تحدّوا انفسهم وجربوا حظهم بعيدا فظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم وبدأوا حياة جديدة مع الغير وقلوبهم رهائن لدى آخرين فشقوا بحياتهم وأشقوا غيرهم.

غير أن آفة هذا النوع من الحب الملتهب هو انه لا يعرف وسطا بين السعادة والشقاء أبدا فإما سعادة لاذعة حرّيفة وإما تعاسة حريفة ولاذعة ايضا، لأنه كالنار المتاججة دائما ومع ذلك فحتى التعاسة فيه لها مذاق خاص أرحم كثيرا من النوع الآخر البغيض.

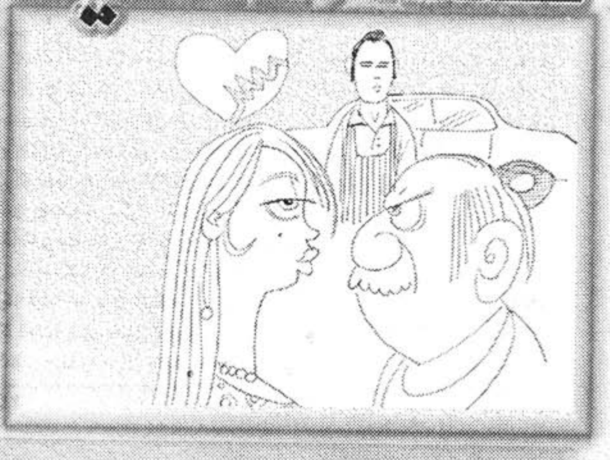
وإذا كانت القاعدة القديمة تقول: ان من يحب أقل يسيطر اكثر، فالواضح انك تحبين اكثر وتسيطرين أقل! لكن لا بأس بذلك فليس بين المحبين حساب، والمهم هو أن تتجنبى هذه الحياة «الحريفة» اللاذعة وتستمتعى بسعادتها، ولا مفر أمامك من الصبر عليه إلى أن يزداد نضجا وحكمة وفهما للحياة.. ولا مفر أيضا من أن تحاولى التماسك أمامه قليلا لكيلا تشجيعه على تكرار الأخطاء السابقة معك. وأن تتجنبى المشاحنات معه بقدر الامكان، وأن تحاولى إقناعه بانه حين يؤذيك جسديا إنما ينال فى الحقيقة من عمره وحياته ووجوده كله، وانكما قد شببتما عن الطوق ولم تعودا صغيرين يلعبان فى الطريق ويجوز بينهما ما كان يجوز وهما فى سن الطفولة أو الصبا.

وسوف تتحسن الأحوال بإذن الله حين تتحسن ظروفه المادية.. وحين تنضجه الأيام والليالى ويعرف قيمة الكنز الذى أعطته له الدنيا، وحين تعملين أيضا وتساعدينه فى تحمل أعباء الحياة، وحين يأذن الله لكما بالانجاب وحذار ساعتها أن تتخليا عن هذا الطفل المحروم فمن يدرى فلعل الله قد جمع بينكما من جديد وصان عشكما من الدمار حماية لهذا البرىء من الضياع.

٢٩

٣٠ قصة حب واقعية

القلعة الحصينة



أنا يا سيدى فتاة فى السادسة والعشرين من عمرى أنهيت دراستى بكلية الطب وأستعد الآن لدراساتى العليا للحصول على الماجستير ثم الدكتوراة إن شاء الله ولقد كانت دراستى ومازالت هى اهتمامى الأول لكنه ليس الوحيد فأنا حريصة أيضا على الاهتمام بمظهرى وقد وهبنى الله جمالا لا تخطئه العين كما وهبنى القدرة على حب الناس فكنت دائما ملجأ لزميلاتى فى أوقات ضيقهن، أما بالنسبة لزملائى فقد تقرب إلىّ كثيرون منهم محاولين استمالتى لكنى لم أجد فى نفسى أى ميل للاستجابة لهذه المحاولات المهذبة فكانت طريقتى هى الصد بمودة لا تقطع علاقات الزمالة ولكن بحزم أيضا يمنع الزميل من تكرار المحاولة بغير مرارة فى النفوس أو إحساس بالاهانة، وكذلك كان الحال مع من يتقدمون إلىّ عن طريق الأهل والأصدقاء ولم أكن أسأل نفسى لماذا لا أميل لهذا أو لذلك فقد كان قلبى موصدا كباب قلعة حصينة وكان هذا دائما مثار قلق أبى وأمى ومثار دهشة صديقاتى وأختى الصغرى خاصة انه لم يكن لدى وجهة نظر قوية أبرر بها رفضى المتكرر لمن يتقدمون لى.

ومنذ شهور لاحظت أن موتور سيارتى ليس على ما يرام فطفت بها على عدة ورش لميكانيكا السيارات لكن خلل الموتور ظل كما هو فنصحتنى احدى صديقاتى بالذهاب إلى ميكانيكى تعرفه مدحت لى كفاءته وحسن معاملته، فأخذت سيارتى وذهبت إليه وشرحت له ملاحظاتى عليها فطلب أن أتركها له وأعود لأتسلمها بعد ساعتين وعدت إليه فوجدته ينتظرنى وشرح لى العيب وكيف انه بسيط لهذا لم ينتبه إليه زملاؤه ثم رفض أن يتقاضى مليما مؤكدا انه لم يفعل ما يستحق عنه أجرا.

فغادرته شاكرة.. لكنى لاحظت انى طوال طريق العودة أفكر فيه.! نعم أفكر فيه هو هذا الميكانيكى الشاب وليس فى أحد من أساتذتى بالكلية ولا أحد من زملائى أو أقاربى.. لماذا تتعجب؟.. وأنت بلا شك تعرف هذه الأمور جيدا وتعرض عليك قصص أعجب منها؟

لقد وجدت نفسى منجذبة إليه بطريقة لم أعهدها فى نفسى من قبل فذهبت إليه بعد أسبوع بحجة الاطمئنان على حالة السيارة ووجدت عينىّ تتعلقان بوجهه الطيب السمح وعينيه الطفوليتين فتبادلت معه بعض العبارات عن السيارة ثم تركته وانا عازمة على ألا أعود إليه مرة أخرى حتى أجنب نفسى عناء التعلق به لكن بعد يومين أبلغنى شقيق صديقتى ان الميكانيكى الشاب قد عثر على قطعة غيار لسيارتى سوف تحل مشكلتها نهائيا فذهبت إليه بالسيارة وأنا واثقة من انه يريد أن يرانى كما أريد أنا أراه.. ووصلت إلى محله فوجدته مهندما أنيقا وعلى شفتيه ابتسامة حائرة، وأبلغنى بأننا سنذهب معا إلى محل صديق له لإحضار قطعة الغيار وركب إلى جوارى فأحسست بأنه يريد أن يقول شيئا ولا يجرؤ عليه. وذهبنا إلى محل الصديق واشترينا القطعة وعدنا لتركيبها وانصرفت وأنا أعرف فى داخلى انى سأعود إليه مرة أخرى، وعدت بالفعل وتكرر ذهابى إليه بحجة إصلاح السيارة وفى كل مرة أراه فيها أكتشف جانبا جميلا فى شخصيته لم اكن أتصور أن أجده فى شخص يعمل حرفيا منذ صباه ووجدت مشاعرى كلها معه خلال خمسة شهور فقط. أما هو فقد تعلق بى بصورة حيرتنى وكلما لمح حيرتى قال لى انه وجد فى ملامحى أو شخصيتى شيئا يذكره بحنان أمه التى فقدها صغيرا وكلما بدأنا نتحدث فى الزواج وأحس هو من كلماتى أن رد فعل أبوىَّ سيكون معارضا إلى حد اعتبار زواجنا ضربا من المستحيل تنساب الدموع من عينيه فى صمت.

والآن أجد نفسى يا سيدى عاجزة تماما عن التفكير وعن التركيز فى دراستى وعن ممارسة حياتى الاجتماعية التى اعتدتها وكل ما يشغلنى وأفكر فيه هو كيف سأواجه أبى وأمى.. وماذا سيكون موقفهما وهما كأى أب وأم يتمنيان الحياة المستقرة لأبنائهما والمشكلة هى انى لا أضمن لنفسى هذا الاستقرار إلا مع من اختاره قلبى فكيف أقول لهما كل ذلك وأقوله لكل من ينكر أن القلوب والمشاعر لا تعترف بالشهادات مع ان من اختاره قلبى ليس أميا ولا جاهلا بل هو مثقف ثقافة لا يعرفها كثيرون من الجامعيين ويناقش أدق الموضوعات وله رأى صريح فى معظم القضايا التى تتناولها الصحف، كما انه مستقر ماديا ويستطيع أن يتحمل مسئوليتى كاملة إذا وافق عليه أهلى.

وأنا الآن يا سيدى أنتظر ردك على رسالتى كالمتهم البرىء الذى ينتظر إما حكم البراءة وإما حكما قاسيا ولن أحاول التأثير على مشاعرك لكن فقط أود أن أذكرك أن ردك سيحدد مصيرى ومصير حبيبى لأنى عاهدت نفسى أن ألتزم بـه مهما كان مؤلما لى كحل أخير للخروج من حيرتى التى شملت كل شىء فى حياتى.

□ **ولكاتبة هذه الرسالة أقول :**

كل قلعة حصينة يا آنستى لها فارسها الذى يدك بابها فى الوقت المناسب فينفتح بابها أمامه على مصراعيه، وهذا ما حدث معك لكنك تواجهين اختيارا صعبا بالفعل وتضعيننى أنا أيضا فى اختيار أصعب! ورأيى فى مشكلتك أنى أؤمن بأن السعادة شىء نادر وثمين ويستحق المعاناة للحصول عليه والكفاح الضارى للوصول إلى شاطئه، لكن تجارب الحياة قد علمتنا أيضا ان الانسان لا يتزوج من فتاته وحدها وإنما من أسرتها معها ومن وسطها العائلى والاجتماعى كذلك وان كل إنسان هو ابن بيئته مهما حاول أن يتملص من تأثيراتها عليه. والحياة الزوجية ليست علاقة رومانسية عاطفية فقط وإنما شبكة متداخلة من العلاقات الاجتماعية والانسانية أيضا ويندر أن يصمد الحب على المدى الطويل لمشاكل اختلاف الطباع والعادات الاجتماعية والقيم السائدة بين بيئتين متفاوتتين بشدة اجتماعيا وثقافيا وإن كان ذلك لا يمنع صموده فى بعض الحالات القليلة لأن لكل قاعدة استثناء كما تعرفين. وأنجح الزيجات بصفة عامة هى الزيجات التى تتوافق فيها أحكام القلب مع أحكام العقل.. ويتوافر فيها التكافؤ بين الزوجين من كل الوجوه، وفى عوامل التكافؤ فإنى لا أتوقف طويلا أمام التكافؤ المادى لأنه أضعفها تأثيرا على الحب، لكنى أتوقف دائما عند التكافؤ الاجتماعى والثقافى بين الطرفين لأنه فعلا بؤرة الاختبارات التى تمتحن الحب وتعجم عوده، وفى حالتك فإن التكافؤ المادى متوافر، والتكافؤ الثقافى قد يمكن تجاوزه بصعوبة لأن المعرفة والثقافة متاحة للجميع من مصادر عديدة وهى ليست رهينة بالشهادات العلمية والجامعية وحدها وإنما باستيعاب الانسان لحقائق العصر واهتمامه بمتابعة ما يجرى حوله يبقى إذن العامل الهام وهو التكافؤ الاجتماعى بين

الأسرتين وبين القيم السائدة فى البيئتين وهو كما قلت أصعبها وأكثرها تأثيرا على استمرار الزواج ونجاحه أو فشله وانهزام الحب، لأنه امتحان يومى للتوافق.. أو الاختلاف حول أمور الحياة اليومية.. وأبسط سلبياته هو شعور الاستعلاء والتميز الاجتماعى الذى يمكن أن يحمله طرف تجاه طرف آخر فينعكس لدى الطرف الأخير فى الاحساس بالنقص الذى يفتح الباب لكثير من المشاكل، وغير ذلك كثير، وعلى سبيل المثال فإن ما يعتبر أمرا عاديا فى وسط معين قد يعتبر عيبا فى وسط آخر.. الخ واختلاف العادات والقيم سبب أساسى من أسباب انعدام التوافق وفشل الحياة الزوجية وحقائق هذا العامل بالذات ليست كاملة أمامى وأنت تعرفينها أكثر منى لذلك فإنى أترك لك الحكم عليه.. فإذا توصلت بعد تفكير هادىء إلى أن الوضع الاجتماعى لكل منكما شديد التناقض بما يمكن أن يهدد استقرار الحياة الزوجية فى المستقبل فمن واجبك أن تعترفى بذلك وأن تتخذى قرارك على أساسه، أما إذا توصلت إلى انه ليس متفاوتا بهذه الحدة، فاستجمعى إرادتك وشجاعتك وواجهى أبويك برغبتك فى الارتباط به وتحملى العاصفة حتى تمر.. واحرصى على أن تحصنى سعادتك بموافقة الأهل على زواجك وتأييدهم أو على الأقل قبولهم له. والأهل قد يرفضون ما لا يرونه محققا لسعادة أبنائهم بحساباتهم هم لكنهم إذا استشعروا صدق رغبة الأبناء فيما يريدون لأنفسهم واستقر فى يقينهم انهم لن يسعدوا إلا به فإنهم يسلمون برغبة الأبناء فى النهاية لأنهم لم يستهدفوا أصلا إلا ما تصوروه محققا لسعادتهم ولأنهم أيضا ومهما فعلوا لا يملكون لأبنائهم الراشدين سوى النصيحة والتحذير.

لهذا فالأمر كله بين يديك.. فإن اقتنعت اقتناعا كاملا لا يداخله الشك بأنه يستحق الكفاح مع أبويك لإقناعهما به فلا تترددى فى ذلك. أما إذا داخلك الشك ولو للحظة فى جدارته بالعناء وتحمل تبعاته فلا تترددى أيضا فى أن تضعى السطر الأخير لهذه القصة كلها وفورا لأن جرح الحب فى بدايته سريع الالتئام.. أما إذا تعمق واتسع وأصبح غائرا فإنه يحتاج إلى علاج طويل قبل أن يبرأ القلب منه ويسترد نضارته.. فاختارى لنفسك يا آنستى لأنك أنت من ستتحملين تبعة الاختيار وليس أحدا غيرك. وشكرا.

٣٠

٣٠ قصة حب واقعية

زورق الحب والسعادة

«قصة لم يكتبها أبطالها»



كان صديقى يعيش وحيدا فى شقة من غرفتين بعمارة قديمة بأحد أحياء القاهرة وكان فى ذلك الوقت شابا مكافحا يجاهد لإثبات ذاته وشق طريقه فى العمل ويخطط لنفسه ألا يتزوج قبل عدة سنوات يكون خلالها قد وضع أقدامه على أول طريق النجاح وتوافرت لديه الإمكانات المادية لبدء حياة عائلية لائقة، ثم غادر مسكنه ذات صباح متوجها إلى عمله فرأى فتاة جميلة تنتظر المصعد.. وبحركة عفوية نظر إليها فأحست بطريقة ما بوجوده فى الجوار والتفتت إليه لا إراديا فالتقت العيون وسرى التيار الغامض فى الأثير فتجرأ صديقى وحيّا الفتاة مبتسما فى ارتباك.. وبدلا من أن تنهره الفتاة أو تتجاهله فوجئت بنفسها تومىء برأسها إليه إيماءة خفيفة ردا للتحية فى خجل.

ولم يستطع الشاب احتمال «الموقف» أكثر من ذلك فاتجه إلى السلم وقبل أن يضع قدمه على أولى درجاته التفت إلى ناحية المصعد «فضبط» الفتاة ترقبه فى اهتمام فابتسم مرة أخرى.. وابتسمت.. وهرول على السلم مشغول الخاطر بهذه الفتاة.. من هى.. ولماذا ارتبك حين رآها؟.. وكيف تجرأ على تحيتها وهو الشاب الذى يتردد ألف مرة قبل أن يحيى إنسانا لا يعرفه، ولماذا نظرت إليه وهو يفر هاربا إلى السلم.. ولماذا ابتسمت؟.. وهل يراها مرة أخرى؟ وشغلته تساؤلاته طوال الطريق إلى العمل.

أما هى فلقد دارت برأسها مثل هذه التساؤلات فى نفس اللحظة وتعجبت لنفسها ماذا أعجبها فى هذا الشاب؟ ولماذا خرجت على طبيعتها الخجول معه فأومأت برأسها ردا لتحيته.. ثم تابعته بأنظارها وهو يتجه إلى السلم حتى «ضبطها» وهى تنظر إليه باهتمام؟.

وجاء المصعد فركبته إلى غايتها وهى تسأل نفسها من هذا الشاب ولماذا شعرت بهذا «الضعف» المفاجىء تجاهه وهى التى لا تأبه بنظرات الإعجاب فى كل مكان؟ وماذا دهاها حتى فعلت ذلك وهى الفتاة المخطوبة لشاب آخر تفخر به أسرتها وتعتبره فوزا عظيما!؟

أيكون هذا هو الحب من النظرة الأولى الذى يقولون عنه!؟

لابد أنه «الجنون» بعينه!

لكن «الجنون» أيضا قد يصلح فى بعض الحالات النادرة لأن يكون بداية لقصة سعيدة.

وكان هذا الصديق وهذه الفتاة هما إحدى هذه الحالات النادرة التى صنعها حب النظرة الأولى الذى يراه العقلاء ضربا من الجنون. فلقد التقيا مرة أخرى أمام المصعد فى اليوم التالى فى نفس الموعد.. وفى هذه المرة لم يتردد صديقى فى أن يحييها تحية الصباح ولا هى ترددت فى أن ترد عليه تحيته بابتسامة صريحة ولم يهرول مبتعدا ومتحرجا هذه المرة وإنما «وجد» الكلمات تتقافز على لسانه فسألها: هل أنت من سكان العمارة؟ فأجابته بأنها «ضيفة» مؤقتة على عمتها التى تقيم معه بنفس الدور فى اجازة قصيرة من حياتها ومن أسرتها لأنها على خلاف بسيط معها.

وكان «الخيط» جاهزا للالتقاط فالتقطه وسأل عن أسباب الخلاف وعرف أنها خطبت منذ شهور لشاب ممتاز من أسرة كبيرة يعمل بوزارة الخارجية وجاهز ماديا للزواج فى أية لحظة وقد خطبت إليه بالطريقة العائلية فرحبت بالخطبة فى البداية أملا فى أن يولد الحب بينهما خلال فترة التعارف، لكن اللحظة السحرية التى تولد فيها شرارة الحب فجأة بين شخصين لم تأت.. وتأكدت على العكس من ذلك من نفورها النهائى منه وعدم توافقها معه، وأبدت رغبتها فى فسخ الخطبة فاتهمتها أسرتها بالجنون.. وتعجبت أمها من أمرها كيف ترفض شابا مرموقا كهذا الشاب الذى تتمناه أى فتاة، مثلها. وماذا لا يعجبها فيه!؟ وبعد محاولات طويلة اتفقت الأسرة على أن تعطى الفتاة لنفسها فرصة أخيرة للتفكير الهادىء بعيدا عن الجو المتوتر فى بيت أسرتها، ورحبت عمتها باستضافتها خلال فترة التفكير والحسم فجاءت إلى هذه العمارة والتقى «الغريبان» على غير انتظار.

أما المصعد فلقد توقف أمامهما عدة مرات صاعدا وهابطا ولم يفكر أحدهما فى فتح بابه.

وأما «الغريبان» فلقد تبادلا الحديث لفترة طويلة «واتفقا» على تكرار

اللقاء لمزيد من التعارف والتفاهم وأما صديقى فلقد حكى لها فى اللقاءات التالية عن نفسه كل شىء «وأنذرها» بأنه ليس البديل المناسب لخطيبها القادر على توفير الحياة اللائقة لها التى كانت تنتظرها مع خطيبها المرموق لأنه شاب مكافح فى بداية طريقه العملى فلم تزدها صراحته معها إلا تمسكا به.. ثم خاضت الفتاة «معركتها» الخاصة مع أسرتها بإصرار حتى أقنعت أبويها بفسخ الخطبة ورد الهدايا والاعتذار للخطيب السابق.. وبدأت تمهد الطريق لفتاها لدى أسرتها حتى رضيت باستقباله.

وشهدتها أسرتها يوم الزيارة الأولى وهى تتفجر نشاطا وحيوية وبهجة.. ولاحظت بعجب الفرق الهائل بين حالها قبيل زيارة فتاها لأسرتها لكى يطلب يدها، وبين حالها حين كان يجىء خطيبها السابق فتشكو قبل مجيئه «الصداع» وتحاول الاعتذار عن مغادرة غرفة نومها لاستقباله فى الصالون، بحجة المرض.

وجاء الفتى فى زيارته الأولى لأسرتها فكانت هى أول من فتح الباب له واستقبلته بحفاوة ومرح وقدمته لأبويها فى افتخار، وتربصت لكل «بادرة» تحفظ أو فتور من جانب أمها أو أبيها فى معاملته، وتدخلت فى الحديث بلباقة وحسم حين سأله أبوها عن إمكاناته المادية وأجابت هى نيابة عنه بأنه شاب موعود بالنجاح وسوف يبنيان معا عشهما الجميل.. قطعة قطعة.

وسلمت لها أسرتها بما أرادت، فتزوج «الغريبان» بعد صعوبات ومشاكل هائلة.. وأقاما فى الشقة الصغيرة بأحد أحياء القاهرة غير الراقية، وتحول العش الصغير إلى واحة هانئة ينفث الحب فيها عطره الفواح.. وأضفت الزوجة الجميلة على الأثاث القليل لمساتها الساحرة فعوضت بساطة المسكن بعراقة الذوق الجميل.

ومضت الحياة بهما فى طريقها المرسوم فأنجبا طفلين.. وتحمل المحبان بشجاعة صعوبات البداية لسبع سنوات أو أكثر، حتى بدأ الفتى يجنى أولى ثمرات الكفاح فانتقلا من الشقة الصغيرة ذات الغرفتين، إلى شقة من ثلاث غرف فى حى أفضل وأرقى، وواصل الفتى صعوده بخطوات بطيئة فاشترى أول سيارة فى حياته لتنقلات الأسرة، ثم استقام ظهره ورسخت أقدامه فى مجاله المهنى.. فانتقل بأسرته بعد خمس سنوات أخرى

إلى شقة من أربع غرف فى الحى الذى تقيم فيه أسرة زوجته الحبيبة، واشترى كل ماكان ينقصه من أثاث لائق.. وغمر زوجته بالهدايا والملابس الفاخرة وألحق طفليه بمدرسة راقية، وكلما حقق خطوة جديدة على طريق نجاحه.. رجع إلى زوجته طائرا على جناح الحب ليزف البشرى إليها ويستمتع بنظرة الرضا والفخر فى عينيها.. ثم يترقب سماع الكلمات الساحرة التى يطرب لها فى كل موقف مماثل حين تقول له فى اعتزاز جميل

— أرأيت؟ ألم أقل لك من البداية أنك سوف تصبح «أفضل الجميع» فلم تصدقنى وقتها؟

فلا يملك إلا أن يلثم يدها وصدره يجيش بطوفان من مشاعر الحب والعرفان والامتنان.ومازال زورق الحب يشق عباب النهر بصديقى وزوجته وأولادهما فى رحلته السعيدة حتى الآن.

نعم قد يتعكر ماء النهر فى بعض الأحيان كما يحدث فى كل حياة.. لكنه لا يلبث أن يعود لصفائه خلال وقت قصير.. ويشف من جديد عما فى قاعه من جواهر ولآلىء!

وقد تهب عاصفة عابرة تتلاعب بالزورق الصغير وتميل به ذات اليمين وذات الشمال كما قد يحدث فى كل رحلة مماثلة.. لكن قائدى هذا الزورق يتشبث كل منهما عند العاصفة بموقعه ويحتضن أطفاله لكيلا يفزعهما صوت الريح فلا تلبث العاصفة أن تخمد وتنقشع الغيوم العابرة ويهب النسيم العليل.

ومن موقفى على الشاطىء أرقب «بالمنظار البحرى» زورق صديقى المحب هذا وزوجته المفتونة بزوجها وهو يشق ماء النهر فى أيام الصفاء الطويلة.. وأيام «النوّات» القليلة فلا أزداد لهما إلا حبا واحتراما.. فحتى نواتهما النادرة والقصيرة كنت أرى فيها «خلاف الحب»، ولاأرى فيها أبدا خلاف البغضاء أو التشاحن.. أو الأنانية.

وهذا هو الفارق الجوهرى بين زواج الحب الحقيقى وبين كل زواج آخر لم يجمع الحب قبله أو بعده بين قلبى طرفيه.

وإذا كان صوت العقل يقول لنا دائما: إن حب النظرة الأولى هو قرين الجنون، لأن الحب ليس وليد نظرة واحدة وإنما وليد تفاعل بطىء

للمشاعر والأحـاسيس فلقد أفلح «الجنون» فى حياة صـديقى هذا وزوجته وحقق نتائج باهـرة، ربما لايحققها فى الحالات المماثلة.. وكلمات اقتربت من حياتهما ولمست مساندة هذه الزوجة الجميلة لـزوجها فى المواقف المختلفة «وايمانها» المطلق به وبقدراته وتميزه، تـذكرت كلمات الشاعرة الأمـريكية إلزى هى التى تقول:

أومن بك
قدمت حياتى بين يديك
وعاهدتك على السعادة
وحين تهوى النجوم من السماء
وتغطى البحار سطح الأرض
فلسوف تحمى أنت عشنا الجميل
وتسند كل ما يهوى ويسقط
لأن ثقتى فيك تمدك بالقوة
وحبى لك هو انتصارك العظيم!

فإذا سألتنى بعد ذلـك.. ألم تغير الأيام وطول العشرة وطبيعـة الإنسان الملول من أنغـام سيمفونية الحب القديمـة هذه.. أوهل يمكن حقا أن يكـونا مازالا حتى الآن يتبادلان الحب الـرومانسى الجميل الذى جمع بين قلبيهما منذ أكثر من عشرين سنة وبنفس الأحاسيس الرقيقة؟

إذا سألتنى ذلك أجبتك بـلا تـردد بأن كل شىء يتغير إلا قانـون التغير كما قال لنا ذلك الفيلسـوف الاغريقى القديم، لكن هناك فارقا جـوهريا بين تغير المشاعر.. وبين تغير أساليب التعبير عنها تبعا لاختلاف مراحل العمر.

ولقد شكا لى صـديقى نفسه من بعض أعراض هـذا التغير الذى أصاب زوجته فى السنـوات الأخيرة، فقال لى أنـه كان فى مـرحلة الكفـاح لبناء عش الزوجيـة بعد عقـد القران يقترض أحيـانا من بعض زمـلائه عشرين جنيها لكى يدعو زوجته إلى العشـاء فى كازينو صـغير على النيل ويأتى الجارسون فيسأل زوجته برقة: ماذا تأكلين ياعزيزتى؟

فتجيبه بحزم: عصير ليمون!

وتفشل محاولاته معهـا لكى تطلب العشاء.. وتنسى للحظـات إجراءات

التقشف التى تفرضها على نفسها وعليـه لتدبير نفقات الزواج، فلا يلبث أن يسلم بالفشل بعد حين ويطلب كوبين من عصير الليمون!

أما الآن فإنه حين يدعوها إلى بـاخرة نيلية ملتهبة الأسعار وقت الغروب ليرقبا معـا «القرص الأحمر الـدامى» وهو يغيب فى صفحـة النهر كما كـانا يفعلان فى فترة الخطبة ثم يسألها أمام الجارسون:

ـ ماذا تشربين ياعزيزتى؟

فإنها تجيبه بنفس الحسم القديم:

ـ إسكالوب بانيه!

هاها.. هاها.. هاها

ويضحك صديقى من قلبه.. وتزمجر زوجته وهى تغالب الابتسام.

وأزداد أنا حبا للاثنين واحتراما!

هـــذا الكتاب

أروع قـصص الحب هى القصص الواقـعيـة التى لم يتدخل خـيال أديب فى نسج وقائعـها .. أو يفتـعل أحداثاً أو انفعـالات لابطالها .. فـتأتى هذه القـصص حيـة ويشعر الـقارىء بسخـونة أحـداثها وصـدقـها .. ومن خـلال هذه القـصص أيضـا يمكننا ان نـحكم على عـلاقـات الناس وخـصوصـا الرجل والمرأة والتـقاليـد والحيـاة الحقيقية داخل المجتمع ..

وعبـدالوهاب مطاوع من خلال عمله مشـرفا على بريد القراء لاكثـر من ١٤ عاماً اسـتطاع ان يحـصل على ثـقـة النـاس .. يأتمنونـه على أسـرارهم ويفـتـحـون له عـقـولهـم وقلوبهم .. وأصبح يملك آلاف القـصـص الواقـعـيـة التى تضـمنتهـا هذه الرسـائل التى يحـتفظ بهـا فى أرشيف خاص .. وقد اختار من تلك الرسائل ٣٠ قصة حب .. الهدف ان يكون هذا الكتاب تصويرا حقـيقـيا للحب هذه الأيام .. والقـاء الضوء على علاقة الرجل بالمرأة فى مجتمعنا الحديث ..

انه كتاب مثير وفى نفس الوقت مفيد .

نبيل أباظة

عدد خاص

٥ جنيهات

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم